رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أعلام من الإمارات

(3)

شرح

مقصورة ابن دريد

تأليف

أبي بكر بن الحسن بن دريد الأزدي

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

شرح
مقصورة ابن دريد
في فنون الشعر والحكمة والموعظة والأدب والغزل

تأليف

أبي بكر بن الحسن بن دريد الأزدي

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أعلام من الإمارات :

(3)

شرح
مقصورة ابن دريد
في فنون الشعر والحكمة والموعظة والأدب والغزل

تأليف

أبي بكر بن الحسن بن دريد الأزدي

المتوفى سنة 321 هـ

شرح تكميلي للأستاذ

عيد الوصيف محمد

من علماء الأزهر الشريف

◆ الكتاب: شرح مقصورة ابن دريد
◆ الطبعة الأولى : 2012.
◆ الترقيم الدولي : ISBN978-9948-416-63-0
■ حقوق الطبع محفوظة لمؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية:
ص.ب : 14300 – دبي – أ. ع. م. (www.alowaisnet.org).
◆ تنفيذ وإخراج : لوتس للدعاية والإعلان – دبي 04 2232750
◆ تصميم الغلاف : محمد فهمي
◆ الطباعة : مطبعة جولدن سيتي.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

هذه السلسلة

سلسلة أعلام من الإمارات التي تبنتها مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية في محاولة لإلقاء الضوء على الأعلام الذين أثروا الحياة في الإمارات بشكل عام والثقافة على وجه الخصوص.

هي سلسلة لا تقف عند منتصف الطريق بل تحاول أن تضم معظم الأعلام من السلف وما لحقهم من شخصيات مؤثرة حقاً في الحياة، وتركوا بصماتهم، وهم كثر، بينهم الشاعر والمفكر والأديب، إضافة إلى رجال التنوير وحملة المشعل الحضاري الذين شكلوا بمجملهم ماضي الإمارات الحضاري، الوجه الآخر للدولة والذي يؤكد أنها ليست استثمارات مالية وحركة اقتصادية، وأسواق نفطية، ومراكز تسوق وشوارع حديثة، بقدر ما لها أوجه أخرى مكملة لتلك الوجوه التي عرفت بها.

إن أرض الإمارات غنية بثراء أولئك الذين أعطوا ثمرة حياتهم كل في زمنه وهو ما يجعلنا نتابع سيرتهم وإنجازاتهم وإبداعاتهم وظروفهم الحياتية، وبذلك نعيدهم إلى الذاكرة الحية وإلى دائرة الضوء، ونساعد من لم يطلع عليهم وعلى دورهم وإنجازاتهم من الأجيال التي جاءت من بعدهم التعرف عليهم، والاعتزاز بهم وبإنجازاتهم وتجاربهم، مثلما نتعلم

منهم ما قد يكون قد فاتنا من معارف أو من درر الكلام شعراً ونثراً، أو لعلنا نستفيد من أفكارهم النيرة الطموحة التي تخطت العواقب والحواجز وكافة الظروف الصعبة التي عاشوا بها ليتركوا لنا أثراً نعتز به ونفاخر بأسمائهم بين أعلام البلدان الأخرى.

إلا أن المشروع لا يتوقف عند السلف ممن رحلوا، بل يتعدى إلى الأحياء الذين ينبغي أن نكتب عنهم إن كانوا قد أنجزوا ما يفيد أن نسجله لهم، وأثروا ساحتنا المتعددة الوجوه في محاولة للربط بين الماضي وما نعيشه من حاجز مزدهر، وأن نقدم هذه الأصوات إلى القارئ لتصبح صورة الإمارات متكاملة أو نحاول أن نكمل أوجهها المختلفة التي اجتازت الحدود التقليدية إلى فضاءات أوسع من المعرفة والمشاركات الحضارية.

وهي أيضاً دعوة لكل الكتاب القادرين على المشاركة في هذا المشروع من مواطني الدولة أو المقيمين عليها من الأخوة العرب، بل حتى الكتاب خارج الدولة ممن يستطيع أن يوظف قلمه في إطار المنهج العام الاستراتيجي لهذه السلسلة.

آملين أن يستمر مشروعنا لاستكمال الكتابة عن كل الذين رحلوا، أو الذين عاصروا هذا الزمن من الأحياء وإن يشكل جانباً مهماً في مكتبتنا الوطنية.

الأمانة العامة

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بين يديْ
مقصورة ابن دريْد

د. يوسف نوفل

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بيـن يديْ مقصورة ابن دريْد

د. يوسف نوفل

ولـد ابـن دريـد[1] سـنـة (223 هـ/838م) في خلافة «المعتصم بالله» (218 هـ ـ 279 هـ ـ 87هـ/892م)، ونشأ في البصرة التي تمصّرتْ، واحتلتْ منزلتها سياسياً وتجارياً وعلْمياً، حتى بلغت أوْجها في العصر الذهبي للعلوم والحضارة، ليصير ابن دريد إمام عصره لغة، وأدباً، ونحواً، وصرفاً، وشعراً، وأحد علماء الحديث الشريف، من بين علماء طبقة اللغويين في عصر الدولة العباسية أمثال: الخليل بن أحمد الفراهيدي، والأصمعيّ؛ فقام مقام الخليل، وجمع إلى اللغة إبداع الشعر ونظمه، ونهل من العلم ما نهل؛ ليتصدر في العلم أكثر من ستين عاماً، حتى توفي ببغداد حاضرة الخلافة (في الثامن عشر من شعبان سنة 321هـ/الرابع من أغسطس 933م)، وذلك منذ أنْزله علي بن محمد الخواري في جواره، وأكرمه، وأخبر «المقتدر بالله» (ولد 282هـ/895) بفضله وعلمه، فعامله بما يستحق، حتى توفي عن ثمانية وتسعين عاماً تقريباً .

وكان ابن دريد متمتعاً بذاكرة قوية لا تفْلت شاردة ولا واردة، وفي كلّ ذلك كان متلقياً العلم بقراءاته الواسعة، وحفظه النادر لما يعرض عليه من

دواوين العرب وأشعارها، وقد أشارالسيوطي إلى ملكة الحفظ لديه؛ حيث ذكر إملاءه (الجمهرة) في فارس، ثم في البصرة، ثم في بغداد، وبرغم تعدد الأماكن والأزمان كان ذلك كله :

«من حفظه، ولمْ يستعنْ عليها بالنظر في شيء من الكتب» [2] .

وقد أخذ العلم، منذ ميلاده ونشأته بالبصرة، على أيدي علماء عصره، ولغوييه، كما أجمع ابن خلكان، وابن النديم، والسيوطي [3].

كانت له مجالس علمية أدبية يسأله الحاضرون في قضايا الأدب والشعر واللغة؛ فيفتيهم، كما حكى الرصافي، والسيرافي، فيأخذ على هذا البيت « إقواء »، أو يشرح غامضاً في أبيات، وليتلقى العلم عنه علماء مشاهير.

ومن ناحية ثانية نشأ الشعر التعليمي الذي أشاعه «أبان بن عبد الحميد اللاحقي» (ت. 815 م) الذي نقل كتاب كليلة ودمنة شعراً؛ فنظم الشعراء في موضوعات تعليمية عديدة، أثّرتْ، بدورها، في الإخباريين، فعمّتْ ، وانتشرتْ في كتاباتهم .

وكان قد ذاع صيت ابن دريْد فاستدعاه عبد الله بن محمد بن ميكال، والي الأهواز وفارس لتأديب ابنه الشاب الأديب أبي العباس إسماعيل وتثقيفه، ليتبوأ مكانته المرموقة، وليقلده عبدالله ديوان فارس، فلا ينْفذ أمر إلاّ بتوقيعه، على نحو ما أشار في المقصورة منوّهاً برفاهيته، ومن الشواهد

على ذلك الكثير في ديوانه [4]، ومنها ما في مقصورته :

حاشا الأميرين اللذيْن أوْفدا
عليّ ظلاًّ من نعيم قد ضفا
هما اللذان أثبتا لي أملاً
قد وقف اليأس به على شفا
تلافيا العيش الذي رنّقه
صرْف الزمان فاستساغ وصفا
وأجْريا ماء الحيا لي رغداً
فاهتزّ غصْني بعد ما كان ذوى
هما اللذان سموا بناظري
من الرجاء كان قدْماً قد عفا

إلى أن يقول :

إن ابن ميكال الأمير انْتاشني
من بعد قد كنت كالشيء اللقى

تلك القصيدة المطوّلة التي نظمها في ذلك الوالي وابنه، والتي ذاع صيتها واشتهرتْ باسم مقصورة ابن دريد[٥]، وعرفتْ بأنها أجود شعره، وهي على رويّ الألف المقصورة، وقد بلغتْ مئتين وستة وأربعين بيتاً، وتعدّ أهمّ مدائحه وأشعاره على الإطلاق، ماضية ، في جانب منها يحتلّ القافية، في إطار الشعر

التعليمي، إلى جانب جمالياتها الفنية المتنوعة العالية، ومع شهرتها كثر شراحها [6]، كما كثرتْ تخميساتها .

هو، إذن، من الشعراء العلماء، أو من العلماء الشعراء، حتى قيل إنه لم يزدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر «خلف الأحمر» « ت. 796 »، و«ابن دريد»، على بعْد الشقة بينهما.

ويطالعنا من شعره التعليمي ما يذكّرنا، أحياناً، بمتون اللغة، لكنْ، ليس على نحو ما صنع في النحو والصرف «أبو عبد الله محمد بن مالك» (نحو 1274/1203) في ألْفيته التي جاءتْ على الرجز، أو في لاميته في الأفعال، ومن قبله «ابن معطي»، الذي أشار إليه ابن مالك بقوله :

فائقة ألفية ابن معطي

أو من بعد ذلك:أبو عبد الله الصنهاجي آجرّوم(ت 1323/723م) صاحب الآجرّومية ـ مقدمة في مبادئ العربية .

المقصورة :

قام وزن المقصورة على بحر الرجز التام (مستفعلن مستفعلن مستفعلن)؛ بما لهذا البحر من رصيد في تراث الشعر العربي، ولم تقتصر تلك المطوّلة الشهيرة على المديح، باعثها الأصلي، وإنما شملتْ أغراضاً أخرى من فنون الشعرعلى رأسها :

الحكمة، والأمثال، والموعظة، والفخر، واستيحاء التاريخ، ووصف الإبل، والمطر، والخيل، والنسيب والغزل، الذي يكثر فيها، وبخاصة في مقدمتها، بمثل ما يكثر الفخر، والاعتزاز بالنفس، والشكوى .

وقد جمع في قافيتها ما ضمّنه المعاجم من «المقصور»، محاولاً، بحقّ، إجادة صياغتها، وإيداعها كل مأثور من القول، وما شاء من الألفاظ الغريبة، ومع ذلك كله فإن من الظلم لها وله الزعم بأنها تجردتْ للهدف اللغوي فحسب، أو أنها كانت تنشدّ الإغراب فقط. بل جمعتْ إلى ذلك اللغة الشعرية الرائقة التي تحتل منزلة وسطى بين الإغراب والسهولة، والصرامة اللغوية، من ناحية، والنضرة والجمال الفنيين، والتصوير البياني الرائع، والخيال المجنح المركب من ناحية أخرى.

وفي كتب اللغة إشارات واستشهادات من المقصورة ، تكشف عن أهداف لغوية أخرى غير (المقصور) فيما عمد إليه ابن دربّد في مقصورته ، من ذلك ما نجده في (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) [7] من تعليق نحوي على قول ابن دريد في المقصورة، وهو قول يتشكل، أحياناً، في شكل الصور البيانية مثل قوله:

واشتعل المبيضّ في مسْودّه

مثل اشتعال النار في جزْل الغضا

بما فيه من تمام للتشبيه، والاستعارة « أيّ واشتعالاً مثل اشتعال النار» .

وتعليقه (ابن هشام) على «المهدوي» ، شارح الدريدية في هذا البيت :

ثـمّـت راح في المـلـبّـين إلى
حيث تحجّى المأزمان ومنى

والمأزمان، ومنى: جبلان بين المزدلفة ومنى ، وتعليقه على بيت المقصورة عن رحلة الشاعر الجاهلي امرئ القيس إلى « قيصر» مستنجداً، كما نعلم من قصته المشهورة :

إن امرأ القيس جرى إلى مدى
فاعْتاقه حمامه دون المدى

وقوله يصف الحاج :

ينوي التي فضّلها ربّ العلا
لمّا دحا تربتها على البنى

ومن الإنصاف ألاّ نقْصر القيمة الفنية للمقصورة على مراميها اللغوية؛ ذلك أنها، من الناحية الفنية، تلتزم بتقاليد القصيدة العربية لزمانها، سواء أكان ذلك قبل قرن ابن دريْد، أمْ في أوائل قرنه؛ فعلى سبيل المثال نجد أنّ «ابن سلام» يرى الشعر صناعة وثقافة.. يعْرفه الناقد عند المعاينة[8]، ويراه «الجاحظ» صناعة وضرباً من النسج وجنساً من التصوير [9]، ورأى القدماء أن الشعر «عقل المرء يظهره» ، و«شرح البيان، وشاهد الصواب»، وأن الشعر «يقوم على المثل السائر، والاستعارة الغريبة، والتشبيه الواقع

النادر، وما عدا ذلك فهو وسط» ، حتى ذهب بعضهم إلى أنّ «الشعر ليس إلا التشبيه بما فيه من إصابة ومقاربة، والاستعارة والمثل»، وكان التشبيه النوع المستحب لديهم جميعاً، وكانت المبالغة والوضوح وقصد التحسين والقبيح، والتنفير والترغيب أو المغالطة، بما يحدث من توهم، كان ذلك كله معياراً لذلك التصوير البياني، وبالمبالغة يجود التشبيه والاستعارة وبدونها يبطل التشبيه والاستعارة. [10] من هنا كان شعر ابن دريد ماضياً وفْق سنن القدماء، محتلاً منزلته الفنية وفْق نواميسهم.

ويبرز في هذا الشأن : الوزن والقافية، وما هو أبعد من الوزن والقافية، وهو الخيال، ومنه ينتج التشبيه، والاستعارة، والكناية، والمجاز المرسل، وما في كلّ ذلك من توهّم وخيال وتجاوز للحقيقة.

وفي المقصورة ذلك كله ؛ ففيها الألوان البيانية المألوفة والشائعة ، من: تشبيه:

وذلك منذ مطلعها الذي يستدعي الصور الملائمة للنسيب والغزل، والذي يبدأ بصورة متنامية في أبيات متتالية، ثم لا تلبث الصور أن تتجمع لتتنامى زرافات ووحدانا ، وكان قد بدأ المطلع المبنيّ على التشبيه البليغ :

يا ظبية أشبه شيء بالمها

ترعى الخزامى بين أشجار النقا

وقوله :

والناس كالنبْت فمنهم رائق

غضّ نضير عوده مرّ الجنى

وقوله : **فهو كقدح النبع محنيّ القرا.**

وقوله : **أبيض كالملح .. ، وقوله : كأنّ بين عيره وغربه ..**

وقوله : **إلى نسور مثل ملفوظ النوى.**

وقوله : **كان كالليل ... ، كأن قرن الشمس ... ، كأن نور الروض**

وقوله :

كأنما الجوزاء في أرساغه والنجم في جبهته إذا بدا

ومن توظيف صوتي يتعدى إمكانات البديع ، ومظاهره الخارجية في مثل قوله : **برّ برى طول الطوى ..**

بين عيره وغربه

ومن **استعارة :**

على نحو ما نجد في البيت الثالث المذكور من قبل: واشتعل المبيضّ ..

وفي قوله :

وآض روض اللهو يبْساً ذاويا

من بعد ما قد كان مجّاج الثرى

فروض اللهو هنا استعارة ؛ لأن اللهو لا روض له ، وتسميته في الأرض حقيقة، وتسميته في اللهو مجاز.

بل إن الأبيات الأولى ـ مجتمعة ـ في مطلع المقصورة هي صورة فنية كلية متكاملة تحلق في مجال التشبيب بالمرأة المحبوبة على نحو بياني جمالي، ويتكرر مثل ذلك في مجموعات متتابعة من الأبيات في القصيدة، ومثالها مجموعة وصف رحلة الحج ومشاعره.

ومما نجده من تناص ما يبدو في مثل قوله:

واشتعل المبيض في مسودّه ..

من قوله تعالى :«واشتعل الرأس شيباً» ـ 4 مريم .

ومثل : **وغاض ماء شرّتي دهر رمى .. ...**

من قوله تعالى : «وغيض الماء» ـ 44 هود .

والتناص مع الحكمة الشهيرة : «بلغ السيل الزبى» في قوله :

لست إذا ما بهظتني غمرة ممّنْ يقول بلغ السيل الزبى

هذا إلى مفردات لا تكاد تحصى من مثل :

النأي، وجذوة، وتأتلي، والمشتّ، والصفا، وثوى، ووألتْ، ونازعتْني ... ... وغيرها من مفردات تستدعى مفردات، أو اشتقاقات قريبة منها، أو مماثلة لها في القرآن الكريم، وهو كثير .

وفي هذا السياق ما نجده في المطولة مما نسميه اليوم **التوظيف** ، أو **الاستدعاء التراثي** باسدعاء الأعلام والشخصيات، ممن حفلتْ سيرهم بالأحداث الحسام، أو المواقف اللافتة، مستهدفاً العظة والحكمة، وكأنه

يتخذها قناعاً لما يرمز إليه، ومفتاحاً لما يريد أن يربّي به أميره، ولما يستنبطه من عبر التاريخ، والأحداث، والمواقف، والمبادئ، والأعلام، والشخصيات، والنماذج البشرية، وطارقاً، في الوقت نفسه، أبواب القصّ والحكْي الشعري، مثلما رأينا في حديثه عن عدد من الأعلام من: «أبي الجبر» أحد ملوك قبيلة كندة التي حكمتْ اليمن ثم نزحتْ للحجاز ونجد وسادوا، ومنهم كان الحارث ملك الحيرة، وحجْر والد امرئ القيس، وحديثه عن: «**ابن الأشج**»، **وهو الأمير «عبد الرحمن بن الأشعث بن قيس الكندي»**، الذي قضى عليه «الحجاج بن يوسف الثقفي» (ت. 95هـ)[11]، وخروج «يزيد بن المهلب» (53هـ ـ 102/564 ـ 721م) بالبصرة على بني أمية، ولّي، وسجن وفرّ، ورام الخلافة لنفسه فقتله مسْلمة بن عبد الملك، و«**عمرو بن ربيعة بن نصر**» ، ابن أخت «جذيمة بن الأبرش»، وقصته مع «**الزّبّاء/ زنوبيا / زينب**» ملكة تدمر (266–272)، تلك التي خلفتْ زوجها «أذينة» بالوصاية على ابنها «وهْب اللات» ، فتحتْ مصر، وآسيا حتى اقتيدتْ أسيرة إلى روما، وخبر الشاعر الأمير«امرئ القيس»، وفي قصة الملك الحميري «سيف بن ذي يزن» (ت. 574) ملك اليمن كما شاعتْ، والذي طرد الأحباش من جنوبي بلاد العرب «اليمن» ، وقد اشتهرت سيرته الشعبية بما فيها من حسّ قوميّ راقٍ، ووضعتْ هذه السيرة في مصر بين القرنين الرابع عشر، والخامس عشر. والأمثلة عديدة .

ومن ذلك قوله:

وسيف اسْتعْلتْ به همّته حتى رمى أبعد شأو المرتمى

وعمرو بن هند (ت. نحو 578) ملك الحيرة في الجاهلية ، ابن المنذر الثالث اللخمي وهند الكندية ، وقد عرف عنه التجبر والقسوة والشراسة، وعلى الرغم من تقريبه الشعراء إليه فقد قتل طرفة بن العبْد ، إلى أنّ قتله الشاعر عمرو بن كلثوم :

ثم ابن هند باشرتْ نيرانه

يوم أوارات تميماً بالصلا

ليخلص إلى الفخر بأشراف العرب وليتبعها بأربعة أبيات مكرراً فيها أربع جمل ، موظّفاً طاقات التكرار بلاغياً، وذلك في تكرار مطلع كل منها ثلاث مرات :

همو الألى ....

منتقلاً إلى الفخر بنفسه ، وإلى الاعتزاز بصاحبيْه :

السيف والرمح :

وصاحبيّ صارم في متنه

مثل مدبّ النمل يعلو في الربى

وإنّ سارع في بيتين متقدمين إلى تطبيق العبْرة على نفسه :

هل أنا بدّع من عرانين علا

جار عليهم صرف دهر واعْتدى

فإنّ أنالتني المقاديـــر الـذي

أكـيـــــده لمّ آل في رأب الثـــأى

« والثأى : الفساد» ، ومعناه : لم أقصر في إصلاح الإفساد .

ومن هنا يجدر بنا أنّ نلتفت إلى ما في المقصورة من قيمها، ودلالاتها، وتعبيرها عن تجربة فكرية وأدبية ولغوية لدى عالم كبير، تكاد تجعل المقصورة، في كثير منها، صفحة من صفحات السيرة الذاتية التي يسجّل فيها الكبار بعض تجاربهم في أخريات حياتهم، مبيّنين خبرتهم بالحياة، كاشفين عما نسميه اليوم (**رؤية العالم**)، وذلك بما في تلك المطوّلة، المقصورة من مزج بين : العام والخاص، القديم والحديث، الشخصيّ، وغير الشخصي ، وأعود إلى (قصّ ما قصّه ابن دريد في مقصورته) ، حيث انتقل إلى الحديث عن الوطن الثاني : العراق وإلى مدح أهلها وأعلامها، جامعاً بين لونين من الفخر هما: الفخر الفردي (بشخصه)، والفخر الجماعي (بوطنه وأهله):

إن العراق لم أفارقْ أهله

عـن شنآن صدّني ولا قلى

واصلاً إلى مدح أميريه الممدوحيْن المعروفين :

حاشا الأميريْن اللذين أوْفدا

عليّ ظلاًّ من نعيم قد ضفا

هما اللذان أثبتا لي أملاً

قد وقف اليأس به على شفا

تلافيا العيش الذي رنّقه

صرّف الزمان فاستساغ وصفا

وفي ذلك كله ما يدعوني إلى القول باقتراب المقصورة ، مع ما فيها من ذاتية ، من مجال (**أدب الأخلاق**) الموجّه إلى الطبقة الحاكمة ، وهو ما كان قد بدأ في الظهور على يد «عبدالله بن المقفع» (ت.759) الذي نقل (كليلة ودمنة) إلى العربية من البهلوية على لسان الحيوان ، ذلك الأدب ذو الطابع الفني الجمالي الذي يعتمد على الجمع بين: المأثور المخلّد الموروث، والتجربة الحياتية المعيشة المتجددة، وبذلك أرى المديح هنا مدخلاً صادراً من لدن ذلك العالم الشاعر لكي يقدّم نموذجاً لأدب السياسة لمدوحيّه؛ فليس المدح، هنا، مدحاً لذات المدح، ولا بسبب ما أغدقا عليه من خير ، وما بدّلا به حالته من معاناة وأسى إلى سعادة ويسْر. بل إنه أراد أن يجعل المقصورة، كما سنذكر بعد قليل، بيت الحكمة يسوقها مؤدّباً تلميذه، ومقدماً الخبرة الواسعة في مجال الأدب الأخلاقي، أو أدب السياسة للأب والابن معاً ، تلك الخبرة التي تحدث عنها كثيراً، وعن تجاربه في ثنايا مقصورته وفي ختامها، ومنها، على سبيل المثال لا الحصر :

وقد علتْ بي رتباً تجارب

أشفيْن بي منها على سبل النهى

وما سبق هذا البيت، وما تلاه من أبيات يتحدث فيها عن طباعه، أو مبادئه، أوما يكرهه، أو ما يعانيه، ومن كل ذلك تمتزج التجارب الذاتية بالدلالات العامة والموضوعية يسوقها لأميريْن في مجال أدب الأخلاق، أو أدب السياسة. بل يسوقها للناس عامة ؛ ليكون ختام المقصورة حديث الخبير عن الذات والطباع والتجارب، أو بمعنى أدقّ، استكمالاً للحديث عن الذات والطباع والتجارب، لاسيما في خمسة الأبيات الأخيرة التي هي ختام القول وخلاصته، ومنها قوله، وما بعده :

منْ كل ما نال الفتى قد نلْته

والمرء يبقى بعده حسن النثا

(والنثا بسبق النون : الكلام العام حسناً كان أو قبيحاً ، أمّا بتقديم الثاء فهو للحسن فقط).

وفي المقصورة من الأبنية اللفظية المقصودة قصداً من مثل :

آض ـ أسأره ـ أجرضني ـ أصلاد ـ مسّويل ـ الكدى ـ لغام ـ وألتْ ـ الثأى ـ إعليطيْن ـ العجى ... إلخ ،

وفي الوقت نفسه نجد السلاسة والسهولة في مثل قوله :

أراجع لي الدهر حولاً كاملاً

إلى الذي عوّد أمْ لا يرتجى

يا دهر إنْ لم تك عتبى فاتّئدْ

فإنّ إروادك والعتبى سوا

رفّهْ عليّ طالما أنْصبْتني

واسْتبْق بعض ماء غصن ملتحى

لا تحسبنْ يا دهر أنّي جازع

لنكبة تعرقني عرق المدى

مارست منْ لوْ هوت الأفلاك من

جوانب الجوّ عليه ما شكا

ومثلها مجموعة الأبيات عن العراق، ومجموعة الأبيات في المديح، أو الوصف: وصف المحبوبة، أو وصف الأشخاص، أو وصف حالته، أو وصف الخمر.

بينما نجد التعبير المقذوف بقوة، ينطلق كالقذيفة الملتهبة، أو السهم النافذ:

وإن تكن مدتها موصولة

بالحتف سلّطْت الأسا على الأسى

المقصورة بيت الحكمة :

وانطلاقاً من تلك النظرة التي نؤمن بوجودها في حديث السيرة الذاتية وصاحبها، وتسهيده، وأحلامه، ومعاناته، وخبراته، وتوجّهه بتلك الخبرات إلى غيره من المعاصرين واللاحقين (الأبيات من 7 إلى 25، ثم ما يتكرر بعد ذلك لماماً)، ثم ما فيها من أدب الأخلاق، وأدب السياسة ـ نصل إلى دور الحكمة التي شاعت وذاعت في شعره بعامة، وفي المقصورة بخاصة، وهي،

أي الحكمة، نابعة من خبرته وتجاربه في الحياة، فهي علامة من علامات المجرب العليم، وهي وثيقة الصلة بمنهجه السائد في المقصورة في المزج بين الذاتي والموضوعي، الشخصي وغير الشخصي، ونسوق لذلك تلك الطائفة من حِكمه في المقصورة:

- إن الجديدَيْن إذا ما استوليا
على جديد أدنياه للبلى
- يرى المنون حين تقفو إثْره
في ظلم الأكباد سبْلاً لا ترى
إذا هوى في جثّة غادرها
من بعدما كانت خسّاً وهو زكا
- وصوْن عرض المرء أنْ يبذل
ما ضن به مما حواه وانتضى
والحمد خير ما اتّخذْت عدّة
وأنْفس الأذخار من بعد التقى
وكلّ قرن ناجم في زمن
فهو شبيه زمن فيه بدا
والناس كالنبت فمنهم رائق
غض نضير عوده مرّ الجنى
- منْ ظلم الناس تحاموا ظلمه
وعزّ عنهم جانباه واحتمى

وهـــم لمـنْ لان لـهـم جـانـبـه
أظلـم من حيـات أنـبات السـفا

وما بعده من بيتين .

ثم الأبيات البادئة بالشرط المكرّر في قوله :

منْ لمْ يعظْه الدهر.....

من لمْ تفدْه عبراً أيامه ....

وعددها أحد عشر بيتاً متتالية في موقف واحد ودفقة شعورية وفكرية واحدة، وهي حكم مركزة عميقة تفتح باب الحكمة مدراراً حتى يبلغ نهاية المطوّلة وختامها في جملة من الأبيات المتتابعة دون توقف، وكأنه أراد أن يختم سيرته الذاتية بما استخلصه من حياته الخصبة الحافلة من عبر وعظات، وفهم ودروس، ويضيق المقام عن حصر هذا الكمّ الضخم، وأحيل قارئي الكريم إلى المقصورة، وبخاصة الجزء الأخير منها.

ومع كثرة ما دار حول المقصورة ، لم تقتصر معارضاتها على العصور المتقدمة فحسب، بل امتدّتْ إلى العصر الحديث ، حيث عارض الشاعر العراقي المعاصر محمد علي اليعقوبي (1313 هـ ـ 1385هـ/ 1894م ـ 1965م) تلك المقصورة لابن دريد بمطوّلته (المقصورة العلية في السيرة العلوية) في 450 بيتاً[12].

وفي العصر الحديث،أيضاً، ظل صوت ابن دريد واضحاً ؛ فقد أشارت نازك الملائكة [13] في معرض حديثها عن اللون الجديد «شعر التفعيلة» إلى ما ذكره الباقلاني في (إعجاز القرآن) مما قاله ابن دريد نثراً ، وصاغته نازك شعراً على هيئة الشعر الجديد (شعر التفعيلة):

ربّ أخ كنت له مغتبطاً
أشدّ كفّي بعرى صحبته
تمسّكاً منّي بالود ولا
أحسبه يغيّر العهد ولا
يحول عنه أبدا
ما حلّ روح جسدا

(1) **اقرأ عن ابن دريد وعن شعره :**

المرزباني، معجم الشعراء، تحقيق عبد الستار فراج، دار إحياء الكتب العربية 1379هـ/1960ص425، وابن خلكان، معجم الأدباء 12718، وابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، م، السعادة، مصر 1367هـ/1948، ومحمد بن إسحاق (ابن النديم)، الفهرست، م، الرحمانية، مصر 1348هـ، ص 97، ومحمد بن الحسن (الزبيدي)، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر 1973، وعبد الحي بن العماد (الحنبلي)، شذرات الذهب، م، القدسي،القاهرة 1350هـ، 289/2، والمسعودي، مروج الذهب 229/4، والسيوطي، المزهر، الحلبي، مصر 91-94، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الحلبي، مصر 1384هـ/1964، وشوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، القاهرة، دار المعارف، ط6، 1986، ص 424-428، وعمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت ج2 ، ط5، 1985، ص 416-420، ورسالة الماجستير: أبو بكر بن دريد الأديب، تحقيق وتعليق من أماليه، للسيد مصطفى عمر السنوسي، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم،1981، بإشراف د. أحمد محمد الحوفي، وأخرى بعنوان: ابن دريد شاعراً، لعبد الغني إبراهيم مهدي ، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، وكتاب المميز في الإنشاء والتعبير ، لسمير كبريت، دار النهضة العربية، القاهرة 1995.

طباعة المقصورة، وشروحها:

تعددتْ طبعاتها وشروحها بين :

المقصورة الدريدية ، نشرها أحمد جودت القدسي المشهور بالعكّاوي، د. ب 1319هـ، وديوان شعر الإمام، تحقيق السيد محمد بدرالدين العلوي، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة 1946، وشرح مقصورة ابن دريد للصاوي، الخانجي، مصر 1951، وديوان ابن دريد، تحقيق عمر سالم، الدار التونسية للنشر، تونس 1973 في 186ص، ومقصورة ابن دريد، تحقيق فخر الدين قباوة، حلب 1978،

وممن عنوا بشرح ديوان ابن دريد وشرح مقصورته :

الخطيب التبريزي، المطبعة المحمودية التجارية 1936، وقدّم له ووضع هوامشه وفهارسه راجي الأسمر، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت 1995 في 283ص ، وطبعة معهد المخطوطات العربية، القاهرة 2007، ودمشق، المكتب الإسلاميّ للنشر 1961، وشرح مقصورة ابن دريد المنسوب إلى محمود بن عمرالزمخشري، مع كتاب أعجب العجب في شرح لامية العرب، ومعه محمد بن يزيد المعروف بالمبرد، م. الجوائب، القسطنطينية 1300هـ/1883، ولحازم القرطاجني: رفع الحجب المستورة على محاسن المقصورة ، شرحها أبو القاسم محمد، م. السعادة، القاهرة 1926، وهناك شرح المقصورة الدريدية، قسطنطينية، م. الجوائب 1300هـ ــ 1319هـ، مع شرح لامية العرب، وشرح مقصورة ابن دريد، مكتبة محمد علي صبيح ، مصر د. ن،

وقد شرحها أبو عبد الله محمد بن جعفر القيرواني (ت.412هـ) وشرح وإعراب المقصورة الدريدية، حامد العبدلي، ط العاني، بغداد 1975، كما شرحها الحسين بن أحمد بن خالويه، وشرحها أبو عبد الله محمد بن أحمد بن هشام اللخمي، دار ومكتبة الحياة، بيروت 1980، وعنها: رسالة ماجستير تحقيق مهدي عبيد، بغداد 1982، وبتحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بعنوان «الفوائد المحصورة في شرح المقصورة ـ بحث تاريخي أدبي مقارن»، دار مصر للطباعة، القاهرة، وشرح مقصورة ابن دريد لابن خالويه ، رسالة ماجستير، تحقيق محمود جاسم، كلية الآداب، بغداد 1982، وشرح مقصورة ابن دريد للجواليقي، تحقيق عبد المنعم صالح، وحاتم الضامن، مجلة المورد العراقية 1985، ومختصر شرح القلادة السمطية في توشيح الدريدية للحسن بن محمد الصاغاني، تحقيق سامي مكي العاني، وهلال ناجي، ط العاني، بغداد 1977، وإلى سنة 1939 يرجع صدور شرح المقصورة «في فنون الشعر والحكمة والموعظة والأدب والغزل» وعليها شرح تكميلي، وتصحيح للأستاذ عيد الوصيف محمد، من علماء الأزهر، مكتبة، ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مؤرّخة في يوم الاثنين السابع من جمادى الثانية 1358هـ/24 من يوليو 1939 في 144 ص.

وقد كثر شرّاحها أمثال: القاضي التنوخي ، وكان من أبرع شرّاحها «الفقيه أبو عبد محمد بن هشام بن إبراهيم اللخمي السبتي» ، إلى جانب منْ قاموا بتخميساتها .

(2) السيوطي، المزهر، تحقيق محمد أحمد جاد المولى، والبجاوي، ومحمد أبو الفضل، الحلبي، مصر 94/1.

(3) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت 1968، 498/1، والفهرست ط.التجارية، مطبعة الرحمانية 1348هـ ص 91 .

(4) اعتنى بجمعه وتهذيبه السيد محمد بدر الدين العلوي، سلسلة تراثيات، طبعة وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة 2008 في صفحات ترشد إليها القافية.

(5) و (6) انظر هامش رقم (1).

(7) ابن هشام الأنصاري، دار الفكر العربي، بيروت، ط5، 79 ،ص 548، و556، و557، و567، و692، و857.

(8) محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، الحلبي، مصر 1394هـ/1974، 5/1.

(9) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، الحلبي 1357هـ، 131/3.

(10) أبو علي الحسن بن رشيق الأزدي القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت 551.

(11) عبد الحكيم راضي، نظرية اللغة في النقد العربي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2003، ص15، وانظر عبد القادر حسين، أثر النحاة في الدرس البلاغي، نهضة مصر 1970.

(12) النجف 1344هـ، وط2، 1369هـ/1950، وط2، 1399هـ/1978، في 44 صفحة .

(13) قضايا الشعر المعاصر، بيروت ط 5، 1978.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مقدمة الشرح التكميلي[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا استوجب ذو فضلٍ الثناء على ما أولى، فالله مصدره أحق به وأولى، وما شكر نائل على عظيم نواله إلا عذب شكر الله المنعم على الحقيقة واحلولى.

وأزكى الصلوات وأتمها، وأبهى التحيات وأكملها، على ينبوع العلم والأدب، سيدنا محمد مبعث الكمال في العجم والعرب، أفصح ناطق بالضاد، وعلى آله وصحابته الأئمة الأمجاد.

وبعد: فلما كان فن الأدب، لب لباب لسان العرب، وكان من أسمى ما ألف فيه «مقصورة العلامة ابن دريد» فقد جمع فيها ما تفرق في شتى المعاجم من كل مقصور، وأبدع نظمها، وأحسن سبكها بكل مثل مأثور، حتى بدت طرفة فن الأدب، ونادرة المتندرين في نوادي العرب: تنافس في شرحها المتنافسون، وتبارى في حفظها المتسابقون، بيد أنها تداولت بشرح قل مبناه، وغزر معناه، لعلامة لغوي جليل، ترك فيه ما وضح معناه لديه، وأجمل ما سهل مبناه عليه.

غير أن المشتغلين بفن الأدب في عصرنا عنوا بما خلبهم رواؤه في الصحف السيارة، والروايات المستعارة، مما أبعدهم – وأيم الحق – عن الأدب وحياضه، وطوّح بهم عن جَنْي أزهار رياضه، بل ترى الجم الغفير من

(1) الشرح الأصلي بين دوائر هكذا ( )، والشرح التكميلي ببيان المعنى بين دوائر هكذا ﴿ ﴾.

مدرسي الأزهر المنكوب بهم يلهجون بلغة آبائهم الأميين، ويبنون المراد برطانة القرويين، مما يجعلهم للغة العربية خصماء، ومن الوصول إلى مراد الشعر والفصحاء برآء، فإذا عثر من تلقى عنهم أسلوبهم الركيك بعبارة لغوي أديب، كان أحوج الناس إلى الكشف والبحث والتنقيب!!!

وما الأدب العربي النفيس إلا كالبساتين الفيحاء، والرياض الغناء، تقصّد الرواد منها ما تفتح زهرها، وسهل جناها، وعذب مبتغاها.

لهذا عمدت إلى الإكمال، وبيان ما كان من إجمال، لأوفر على الأديب وقته النفيس، ولله وحده الكمال المطلق، لا ربّ سواه، ولا نقصد إلا إياه، إذا وفق هدى، وهو أعلم بمن اهتدى.

عيد الوصيف محمد

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

التعريف بالإمام ابن دريد

نسبه السامي[1]

هو الإمام أبو بكر محمد بن الحسين[2] بن دريد بن عتاهية بن حنتم بن حمامى بن واسع بن (كذا) وهو ابن سلمة بن حنتم بن حاضر بن حنتم بن ظالم بن أسد بن عدي بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهير ويقال زهران بن كعب بن الحارث بن عبد الله بن مالك بن نضر بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، فهو عربي الأرومة، شريف النسب.

مولده المبارك ووفاته

ولد بالبصرة في عصر العلم الذهبي «عصر هارون وولده المأمون» سنة 223 هجرية. وتوفي ببغداد سنة 321هـ. وشيعه جلة من المبرزين في العلم آسفين على فراق علم العلم والأدب، رغم حقد من لم يبلغوا فيهما شأوه.

نبوغه بين طبقات عصره

كان العلامة ابن دريد إمام عصره في اللغة والأدب والنحو والصرف

---

(1) ملخصاً من بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي، وتاريخ آداب اللغة العربية للمرصفي، وجورجي زيدان، وغيرهم من مشاهير المؤرخين.

(2) هكذا في بغية الوعاة وطبقات المؤرخين لكن صحح الأستاذ الأديب مصطفى السقا أن اسم أبيه الحسن لا الحسين فأثبتنا ما صححه في الديباجة.

والشعر الفائق، من مشاهير علماء الطبقة الرابعة الذين نبغوا في بدء عهد الدولة العباسية المبتدأة بخلافة أبي العباس «السفاح» الذي بويع له في سنة 132 هـ، وهو آخر عهد بني أمية، فقضى السفاح على البقية الباقية منهم، ولذا سمي بالسفاح ولم ينج إلا عبدالرحمن الداخل الذي فر إلى الأندلس وأسس بها دولة حكمت 250 سنة، ثم توفي السفاح سنة 136 هـ فبويع لأخيه أبي جعفر المنصور سنة 137 هـ.

وفي عصره وبعلو همته وحسن ثقافته علا شأن اللغة العربية وأخصبت رياضها، وأينعت ثمارها، وتفتحت براعم وردها، وباهت علماء الدنيا بجهابذتها، فتكونت أربع طبقات علمية، إليها يرجع الفضل في نشر معارف الدين الحنيف، وتحقيق سمو بلاغة القرآن الشريف، ورفع منار اللغة العربية إلى حدّ مشرف لدى نصرائها وخصومها.

أجل بنوابغ هذه الطبقات الأربع رفلت اللغة العربية في أبهى ثيابها، وأفخر حليها، ولاسيما في عصر الخليفتين الجليلين «هارون الرشيد وولده عبدالله المأمون» من سنة 170 هـ - 217 هـ. فقد كانت لهما الأيادي البيض في تدرج العلوم العقلية واللغة العربية إلى حدّ الكمال.

ذلك بفضل ما كانا يهبانه رجال العلم من عظيم الإكبار، ونهاية الاعتبار وحفظ المقدار، مما جعل الطبقات الأربع ترتع في هذا الوادي المخصب المترعرع بالهطل الهنيء.

الطبقات الأربع ومن أخيرتها ابن دريد

1 - طبقة الفقهاء: وهم الأئمة المجتهدون أصحاب المدونة، أولهم سيدنا:

- مالك بن أنس: عالم المدينة المولود في سنة 93 هـ المتوفى بها في سنة 179 هـ ينتهي نسبه إلى قحطان.

▫ أبـو حنيفة النعمان: هو ابن ثابت المولود في سـنة 80 هـ المتوفى ببغداد سنة 150 هـ يكنى بالإمام الأعظم.

▫ محمد بن إدريس الشافعي: يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في عبد مناف ولد بغزة الشام بفلسطين 150 هـ وتوفي بمصر سنة 204هـ ودفن بها.

▫ أحمـد بن محمد بن حنبـل: حجة أهل الحديث أخذ عنه ببغداد البخاري ومسلم، ولد سنة 164هـ وتوفي ببغداد سنة 241 هـ.

2 - طبقة المحدثين: وهم الأئمة الثقات الذين اشـتغلوا بتدوين الحديث وتصـحيح روايتـه ونقله، أولهم سـيدنا مالـك بن أنس جامـع الموطأ، وقد أدخلـه البخاري في صـحيحه لصـحة روايته كلها، ومنهم أصـحاب الكتب السـتة المجمع على صـحتها بيـن أهل الحديث، وهم في علـو الدرجة على هذا الترتيب:

▫ البخاري محمد بن إسماعيل: وهو أبو عبدالله، ولد في شوال سنة 194هـ وتوفي في غرة شوال سنة 256 هـ.

▫ مسلم بن الحجاج القشيري: وهو أبو الحسين، ولد في سنة 204هـ وتوفي في سنة 211هـ.

▫ الترمذي محمد بن عيسـى: وهو أبو عيسـى، ولد في سـنة 209هـ، وتوفي في سنة 279هـ.

▫ أبو داود سـليمان بن الأشـعث السجستاني: ولد سـنة 202هـ، وتوفي في سنة 274هـ.

▫ النسـائي أحمد بن شـعيب: وهو بكسـر النون أبو عبدالرحمن، ولد سـنة 215هـ، وتوفي في سنة 303هـ.

▫ ابـن ماجـه محمد بن يزيد بـن ماجه: وهو أبو عبدالله، ولد سـنة 209هـ وتوفي في سنة 273هـ.

وبعض المؤرخين كالأستاذ المرصفي محمد حسن نائل يذكر بدل ابن ماجه الدارقطني المتوفى سنة 385هـ، لكن الكثير عند المحدثين الأول، وهو المعتمد في النقل عنهم.

3 - طبقة المؤرخين: وتبتدئ بسيدنا عروة بن الزبير رضي الله عنهما، المتوفى سنة 93هـ. وهو الذي قال لابنه هشام: كتبت؟ قال: نعم، قال: عرضت كتابك؟ قال: لا، قال: لم تكتب! وتمتد إلى العلامة الثقة محمد بن جرير الطبري المتوفى في سنة 310هـ المولود سنة 224هـ.

4 - طبقة اللغويين والنحاة: وتبتدئ بأستاذ اللغة الخليل بن أحمد الفرهودي البصري، صاحب كتاب العين، أول معجم ألف في اللغة العربية، مخترع فن العروض بمقاطعه من نغمات دق قطعتين من الخشب اليابس على قطعة من النحاس تشبه الطبل، المتوفى في سنة 170هـ. واشتهر الخليل وبعُد صيته بعد إمام كل إمام سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه، وبعد أبي الأسود الدؤلي وولده. وأشهر من أخذ عن الخليل سيبويه إمام النحاة، والنضر بن شميل النحوي اللغوي الثقة، وأشهر مشهوري هذه الطبقة من البصريين ثلاثة:

- الخليل بن أحمد الفرهودي.
- أبوسعيد عبدالملك بن قريب الشهير بالأصمعي، المولود في سنة 122هـ المتوفى في سنة 216هـ.
- أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي المترجم له.

شيوخ ابن دريد وتلاميذه

من أشهر شيوخه ثلاثة: عبدالرحمن ابن أخي الأصمعي، وأبو حاتم السجستاني، وأبو الفضل الرياشي.

ومن أشهر تلاميذه: أبو سعيد السيرافي، والمرزباني، وأبو الفرج الأصبهاني صاحب كتاب الأغاني، وأبو علي القالي صاحب كتاب الأمالي، وابن خالويه النحوي اللغوي الثقة.

مصنفاته

منها الجمهرة في اللغة، والأمالي، والمجتبى، واشتقاق أسماء القبائل، والملاحن والمقتبس، والمقصور والممدود، والوشاح، والخيل الكبير، والخيل الصغير، والأنواء، والسلاح، وغريب القرآن، لم يتممه، وفعلت وأفعلت، وأدب الكاتب، والمطر، وزوار العرب، والسرج واللجام، وتقويم اللسان، لم يبيض، والمقصورة التي حلى بها تاج الممدوح بها.

أشهر مصنفاته

منها كتاب الجمهرة مرجع أهل الأدب، أملاها بحلب تلميذه الإمام أبوعبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه، المتوفى في سنة 370هـ على جهابذة مشاهير، منهم العلامة أحمد بن عبدالرحمن بن قابوس، وكانت عند تلميذه أبي علي القالي بمنزلة الروح للجسد، حتى إنه أعطي فيها ثلاثمئة مثقال ذهباً فأبى! فلما اشتدت حاجته إلى الإنفاق على عياله باعها بأربعين مثقالاً!!! وكتب عليها هذه الأبيات:

أنست بها عشرين عاماً وبعتها ... وقد طال وجدي بعدها وحنيني
وما كان ظني أنني سأبيعها ... ولو خلدتني في السجون ديوني
ولكن لعجزٍ وافتقارٍ وصبية ... صغار عليهم تستهل شؤوني
فقلت ولم أملك سوابق عبرتي ... مقالة مكوي الفؤاد حزين

وقد تخرج الحاجات يا أم مالك كـرائـم مـن ربّ بـهـن ضنين

فلما رأى الذي اشتراها هذه الأبيات كاد يذوب أسى وعطفاً على صاحبها، ثم أرسلها إليه ومعها أربعون مثقالاً ذهباً أخرى، فلما وصلته كان كأنما ردت إليه روحه!

الحاقدون على ابن دريد

وقـد حقد عليه خلق كثير مـن أهل الأدب لإخراجـه الجمهرة كمعجزة في الفـن، ولاسـيما وقـد أملاها من حفظـه في سـنة 297هـ ولم يسـتعن عليها بالنظر في شـيء من الكتـب إلا في الهمزة واللفيف، فقال بعضـهم فيه قولاً لينال منه، وما هو منه بالنائل:

ابـــن دريـــد بـقـره وفـيـه عـيّ وشـره

ويـدّعـي مـن حمـقـه وضـع كـتـاب الـجـمـهـره

وهـو كتـاب العيـن إلـا أنـه قـد غيّـره

وقد أملى ابن دريد هذه الجمهرة عدة مرات: بفارس، وبغداد، والبصـرة. والنسـخة المعول عليها نسـخة عبيد الله بن أحمد حيث كتبها من عدة نسـخ وقرأها على المؤلف، فأصبحت بهذا العمل الجليل حجة.

الشاهدون بفضله ونبوغه

قـال المسـعودي في كتابه «مروج الذهب»: كان ابـن دريد ببغداد ممن برع في زماننا هذا في الشعر، وانتهى في اللغة، وقام مقام الخليل بن أحمد فيها، وأورد أشـياء فـي اللغة لـم توجد في كتـب المتقدمين، وكان يذهب بالشـعر كل مذهـب، فطـوراً يجزل، وطـوراً يرق، وشـعره أكثر من أن يحصـى، ومن جيده قصـيدته المشهورة (بالمقصـورة الدريدية) التي يمدح بها الشاه ابن

ميكائيل وولديه، وهو الأمير أبو العباس إسماعيل بن عبد الله بن ميكائيل رئيس نيسابور. أحاط فيها بأكثر المقصور، وقد عارضه فيها جماعة من الشعراء أولها:

إما تري رأسي حاكى لونه طرة صبح تحت أذيال الدجى

واشتعل المبيض في مسوده مثل اشتعال النار في جزل الغضا

واعتنى بها خلق كثير من المتقدمين والمتأخرين فشرحوها إطناباً وإيجازاً منهم العلامة ابن أحمد بن خالويه. اهـ

وقال أبو الطيب اللغوي في مراتب النحويين: ابن دريد هو الذي انتهت إليه لغة البصريين، كان أحفظ الناس وأوسعهم علماً، وأقدرهم على الشعر، وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الأحمر، وابن دريد، وتصدر ابن دريد في العلم ستين سنة، وكان يقال: ابن دريد أشعر العلماء، وأعلم الشعراء. اهـ

وقال الخطيب البغدادي: كان ابن دريد واسع الحفظ جداً، تقرأ عليه دواوين العرب كلها أو أكثرها فيسابق إلى إتمامها وحفظها. اهـ

وقال ابن خالويه في شرح المقصورة: كان ببغداد عباد بن عمر بن الحليس بن عامر بن زيد بن مذكور بن سعد بن حارث الكرماني صاحب لغة، وكان يطعن على ابن دريد وينقض عليه الجمهرة، فجاء غلام لابن دريد فجلس بحذائه في الجامع ونقض على الكرماني جميع ما نقضه على ابن دريد قال: اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم، قال أبو بكر بن دريد – أعزه الله تعالى – عننت الفرس إذا حبسته بعنانه، فإن حبسته بمقوده فليس بمعن. قال الكرماني الجاهل: أخطأ ابن دريد لأنه إن كان من عننت يجب أن يكون معنوناً، وإن كان من أعننت فيجب أن يكون معناً. وأخطأ لكذا وكذا، فوقف شاعر على الحلقة فقال: اكتبوا:

أذللت كرمان وعرضتها لجحفل مثل عديد الحصى
وابن دريد غرة فيهم في بحره مثلك كم غوصا
جثا على الركبة حتى إذا أحس نزراً قعد القرفصا
والله إن عاد إلى مثلها لأصفعن هامته بالعصا

فلم يلتفت إلى الكرماني بعد ذلك. اهـ

وقال الزمخشري في كتابه ربيع الأبرار: جمع ابن دريد ثمانية أسماء في بيت واحد فقال:

فنعم أخو الجلى ومستنبط الندى وهيجاء محزون ومفزع لاهث

وقال محمد بن المعلى في اشتقاق اسم دريد في كتاب الترقيص: أرى أن اسم دريد من قولهم رجل أدرد. والدرد: ذهاب الأسنان فصغر الاسم تصغير ترخيم.

وقال جمال الدين بن الجوزي ملغزاً في هذه المقصورة: ما يقول سيدنا إمام أئمة الأمصار، وصدر الأقطار، وجامع مسانيد السير والأخبار، في عروس جليت في ساعة على بعلين، وزفت في ليلة إلى محلين خطباها بظهور السماح، لا بصدور الرماح، وملكاها بحل الصحاح، لا بعقد النكاح، وافترعاها في الملا فلم يكن على أبيها ولا عليها من جناح، وهي من المشهورات في الأيام، والمقصورات لا في الخيام، باسقة الفرع، ثابتة الأصل، فائزة عند النضال، بالفضل والإفضال، جامعة المناقب والفضائل ساحبة ذيل البلاغة على سحبان وائل.

نظم ابن دريد

ومن حسن نظمه في وصف النرجس قوله:

عيون ما يلم بها الرقاد ولا يمحو محاسنها السهاد
إذا ما الليل صافحها استهلت وتضحك حين ينحبس السواد
لها حدق من الذهب المصفى صياغة من يدين له العباد
وأجفان من الدر استفادت ضياء مثله لا يستفاد
على قضب الزبرجد في ذراها لأعين من يلاحظها مراد

وقوله أيضاً وقد ناوله غلامه أبو الفوارس طاقة نرجس: ما أصنع بها اليوم! وأنشد:

صباما صباحتى علا الشيب رأسه فلما علاه قال للباطل ابعد

بدء المقصورة وما قيل فيه

قال في بغية الوعاة (فائدة) ابتدأ ابن دريد مقصورته بقوله:

إما تري رأسي حاكى لونه طرة صبح تحت أذيال الدجى

فاستغنى بذكر الشرط في قوله إما وتاء الخطاب في قوله ترى عن تقدم ذكر المخاطب لدلالة المذكور على المحذوف. وقد تكلف الكمال بن الأنباري نظم أبيات جعلها مطلعاً لها فقال:

شرد عن عيني الكرى طيف سرى عن أم عمرو في غياهيب الدجى
زار وسادي والظلام عاكف وأنجم الليل مديدات الطلا
أهلاً بشخص ما رأينا مثله في يقظة تزهو لنا طول المدى
إذ نحن نزهو والزمان مولع بأعين الغيد وأجياد الظبا
نواعس مثل المها نواهد خمص البطون عاليات المنتمى
والغانيات لا يردن من بدا في عارضيه الشيب لو رام الصبا

لما رأت شيبي عم مفرقي قالت غبار يا خليلي ما أرى
ولم تزل تمسحها بمرطها والقلب ما بين إياس ورجا
قلت لها موعظة لعلها تعي صروف ما رأت بي قد علا
ياظبية أشبه شيء بالمها راتعة بين الهشيم والحشا
إما تري رأسي حاكى لونه طرة صبح تحت أذيال الدجى

رثاء جحظة لابن دريد

ولما أصيب العلامة ابن دريد في آخر حياته بالفالج الذي لم يدعه حتى قضى على حياته رثاه جحظة البرمكي قائلاً:

فقدت بابن دريد كل فائدة لما غدا ثالث الأحجار والترب
وكنت أبكي لفقد الجود منفرداً فصرت أبكي لفقد الجود والأدب

والإمام جدير بالبكاء عليه والأسف على فراقه الأبدي، وما ظنك بمن تصدر في العلم ستين سنة معظمها في بغداد بلد النبوغ!

وقد أخذ عنه أمثال السيرافي، والمرزباني، وأبي علي القالي، وأبي فرج الأصبهاني، والحسين بن أحمد بن خالويه.

رحمه الله رحمة واسعة بآثاره الجليلة، وأكرمه بما أفاد به العباد والبلاد من لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

الأحد غرة ذي الحجة من سنة 1357هـ

22 يناير من سنة 1939م.

عبد الوصيف محمد

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قال أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي﴾

(رحمه الله تعالى آمين)

يـا ظَبيَـةً أَشبَـه شَـيءٍ بِالمَهـا تَرعى الخُزامى بَينَ أَشجارِ النَّقا[1]

---

(1) الظبية: أنثى الغزال، وتطلق على الشاة، وعلى البقرة. والأولى هي المرادة هنا ليشبه بها فتاته المتغزل فيها، والجمع ظباء وظبيات. المها، والمهاة: البقرة الوحشية، يشبه بها في حسن العينين، وتطلق على الشمس وعلى البلّورة، والجمع مها. يقال: مها يمهو مهاً البقرة الوحشية: نصع بياضها ولمع أديمها. والخزامى، أو الخزام: نبت زهره من أطيب الأزهار، يشبه شجره شجر الورد. والنقا: القطعة من الرمل المحدودب، والمثنى نقوان ونقيان، والجمع أنقاء، ونقى ونقيان.

﴿المعنى﴾ على التشبيه البليغ ـ وهو ما حذفت منه الأداة ووجه الشبه ـ: يا فتاة قد أسل خدّها، واعتدل قدّها، وهيف خصرها، ونعم جسمها، ولمع أديمها، وطاب منبتها، كالظبية التي ترعى نبت الخزامى الطيب الرائحة، النابت بين أشجار نبتت في النقا ـ وهو الرمل الصافي ـ وقد أشبهت المها ـ وهي البقرة الوحشية ـ في نصوع بياضها، وحور عينيها الكحلاوين النجلاوين الساحرتين: إما تري إلخ.

إمّـا تَـرَيْ رَأسِـيَ حاكـى لَونُـهُ طُرَّةَ صُبحٍ تَحتَ أذيـالِ الدُّجى[1]
وَاشتَعَـلَ المُبْيَـضُّ فـي مُسْـوَدِّه مثلَ اشتعالِ النـارِ في جَـزْلِ الغَضا[2]
فَكـانَ كَاللَيْـلِ البَهيـمِ حَـلَّ في أرجائِـهِ ضَـوءُ صَباحٍ فَانجَلى[3]

(1) إمـا تري: الأصـل إن تريـن، وما زائدة، وإن حرف شـرط، تري جزم بالشرط، وجزمه بسـقوط النون من ترين، والخطاب لمؤنث، والنون مدغمة في ما. وحاكى: أشبه. وطرة صبح: يعني وجه صبح، وطرة كل شـيء حافته وجانبه، ومنه طرة الكتاب، وهي الحاشـية التي لا هدب لها، ويقال لها كتفه أيضاً. الأذيال: الأطراف واحدها ذيل، ومنه ذيل القميص. الدجى: الظلمة وهي جمع دجية، وهـو من قولهم ليل داج أي مظلم.

(2) واشـتعل: فشـا وانتشـر، من قول الله عزّ وجلّ: (واشـتعل الرأس شيباً). الجزل: ما غلظ من الحطب. الغضـا: ضـرب من الشـجر له جمر يبقى طويلاً، واحده غضاة.

﴿المعنى﴾ إن تبصـري تباريح شوقي إليك، وتلهفي عليك، مما أسرع الشيب إلى رأسـي سـرعة النار في وقود يابس قابل للالتهاب، حتى صـار شـعر رأسـي المبيض بين الشـعر المسـود، كفلق الصبح يغطي ضـياؤه غسق الليل وظلامه ـ يعني أن شـيب الرأس المشتعل نذير الموت وأمارة الأسى وخور الأعصاب ـ لرققت لحالي، وجدت بوصالي.

(3) البهيم: الأسـود، ليل بهيم أي لا ضـوء فيه إلى الصـباح. وحل: نزل، قال الله عـز وجـل (أو تحل قريبـاً من دارهـم). وأرجاؤه: أطرافـه، وواحد الأرجاء رجا، وهي مقصـورة قـال الله عز وجل: (والملك على أرجائها) وأما الرجاء من الأمل فممدود. انجلى: ذهب وانكشف قال الله عز وجل: (لولا أن كتب الله عليهم الجلاء).

وَغاضَ ماءَ شرَّتي دَهرٌ رَمى خَواطرَ القَلبِ بتَبريحِ الجَوى[1]

وَآضَ رَوضُ اللَهْوِ يَبساً ذاوِياً مِن بَعدِ ما قَد كانَ مَجّاجَ الثَرَى[2]

---

(1) وغاض: نقص من قوله تعالى: (وغيض الماء) أي نقص، يقال غضت الماء فغاض إذا انساب في الأرض أي غاض وذهب، وقوله: ماء شرّتي: اسم لماء شبابه وقوته، والشباب لا ماء له، ولكنه استعارة وأصل الشرّة الحدة والنشاط، فاستعارها هاهنا للشباب. الخواطر: الهمم وهو ما يخطر بالقلب من الفكرة وأراد بالخواطر الفطن وحدة القلب والذكاء. والتبريح البلوغ في المشقة إلى غايتها، وهو من قولهم برح بي هذا الأمر إذا بلغ غاية الحزن. الجوى: سقم الجوف من طول المرض، وقيل تأثير الحزن في القلب يقال جوى يجوي جوى مثل ضنى يضني ضنى.

﴿المعنى﴾ صار الشعر المسود القليل بين المبيض الكثير كالليل الأسود الذي لا ضوء فيه إذا أعقبه الصبح قضى على ظلامه وأزاله ـ واسوداد شعر الرأس أمارة قوة بقيت في الشباب ـ وجفف ماء حياتي دهر رماني في صميم فؤادي بسهام حبك، يريد رفقاً بما بقي من ماء الحياة، وعصارة الشباب، فلا تقضي بتيهك على البقية الباقية منهما، وقوله الخواطر الهمم: الذي يؤخذ من مراجع اللغة كالمنجد وغيره أن الهمم جمع همة. والهموم جمع همم بمعنى ما خطر بالقلب من الفكر وهو المناسب هنا.

(2) آض: رجع، يقال: آض يئيض أيضاً. روض اللهو في هذا الموضع استعارة، لأن اللهو لا روض له، والروض هو المكان المعشب، وتسميته في الأرض حقيقة، وتسميته في اللهو مجاز، والروض بهذا اللفظ جمع، الواحدة روضة مثل نور ونورة وجوز وجوزة، ويجمع أيضاً على رياض مثل صحفة وصحاف، ويجمع أيضاً على روضات مثل بيضة وبيضات، وقوله يبساً أي يابساً. ذاوياً: ذابلاً، المجاج: الصباب من قولهم مج الغصن الماء

وَضَـرَّمَ النَّـأيُ المُشِـتُّ جَـذوَةً ما تَأتَلي تَسفَعُ أَثنـاءَ الحَشا[1]

إذا ألقاه على قشـره الأعلى، ومج الرجل الماء إذا ألقاه من فيه. ومجاج الثرى أيضـاً مثله، وإنما يعني بهذا التحول أيام شـبابه شـبهها بروضـة وماء يقول آضـت هذه الروضة أرضـاً ميتة لا منفعة فيها. الثرى: التراب الندي مقصور. وأما الثراء بالمد فالغنى والسعة.

(1) ضرم: أي أشعل وأوقد. النأي: البعد يقال نأى ينأى نأياً إذا بعد قال الله عز وجـل: «أعرض ونأى بجانبـه» وقال: «وهم ينهون عنـه وينأون عنه». المشـت: المفرق يقال أشـت يشت إذا فرق فهو مشـت، وشت يشت شتاً إذا تفـرق هـو، والقوم الأشـتات المتفرقون واحدهم شـت. قال الله عز وجل: «يومئذ يصـدر الناس أشتاتاً» أي متفرقين، وفي الاثنين شتان مثل الزيدان. الجـذوة: الجمرة العظيمة، وقيل الجذوة القطعة من الخشـب تحتـرق فتبقـى منها بقية قـال الله عز وجـل «أو جذوة من النـار لعلكم تصـطلون» وقوله: ما تأتلي: أي ما تقصـر، وتأتلي وزنه تفتعل من قولهم مـا ألـوت أن أفعل كذا أي ما قصـرت. قال الله عز وجـل: «ولا يأتل أولو الفضـل منكم والسـعة» أي لا يقصر. تسـفع: تحرق وقيل تسفع تؤثر من قولك سـفعته النار إذا أحرقته وتركت في جسـمه آثاراً. وأثناء الحشـا: يعنـي ما رق مـن البطن، وأراد به القلب والجوف، وقيل أثناء الحشـا أي نواحي الحشا.

﴿المعنى﴾ عاد جسـمي الغض البض النشيط بقوة الشباب ـ وقد كان شبيهاً بالروضـة الغناء الخضرة النضـرة طيبة التربة يجري في قنواتها الماء العذب فيرويها وينمي ما فيها ـ عوداً يابساً ذاوياً ذابلاً مريضاً لا تماسك بيـن أجزائه، وقد عدّه لهوه ومرحه وتحركه، وأوقد نأيك وبعدك عني في هذا الهيكل ناراً تتأجج تكاد تذيب ما تلتهب فيه بين الضلوع والحشا.

وَاتَّخَذَ التَّسْهيدُ عَينيَ مَأْلَفاً لَمَّا جفا أَجْفانَهَا طَيفُ الكَرَى[1]

فَكُلُّ مَا لاَقَيتُهُ مُغتَفَرٌ في جَنب مَا أَسْأَرَهُ شَحطُ النَّوى[2]

لَوْ لاَبَسَ الصَّخْرَ الأَصَمَّ بَعْضُ ما يَلْقاهُ قَلْبي فَضَّ أَصلادَ الصَّفا[3]

---

(1) التسهيد: والسهاد السهر وهو فقد النوم. مألفاً أي صاحباً والمألف: هو الموضع الذي تقع فيه الألفة أي الاجتماع والصحبة مثل المحضر والمشهد فأقام المألف هنا مقام الإلف، والإلف هو الصاحب، والمألف هو الموضع وقوله جفا: أي هجر، والجفوة والجفاء الهجران يقال: جفاني فلان إذا هجرني، والجافي أيضاً في غير هذا: الخشن. الأجفان: أغطية العيون واحدها جفن بمنزلة جفن السيف وهو غمده. الطيف: ما يراه الإنسان من خيال محبوبته. الكرى: النوم.

(2) قوله مغتفر: أي متجاوز عنه متروك، ومنه قولهم في الدعاء غفر الله لك. معناه تجاوز الله عنك، وأصل الغفران التغطية، ومن سمي مغفر الدرع مغفراً لأنه يغطي الرأس فقول الداعي: اللهم اغفر لنا ذنوبنا: معناه اللهم غطها واسترها وقوله: أساره: أي أبقاه، والسؤر: البقية، وفي الحديث «إذا شربتم فأسئروا» أي أبقوا بقية في الإناء. وإنما يريد بهذا الكلام أن يهون على نفسه زمان شبابه وكبره عند اغترابه.

﴿المعنى﴾ من شدة ما أصابني من نار بعادها امتلأ رأسي بالأفكار في شخصها المحبوب حتى اتخذ السهاد أي الأرق عيني مألفاً ومأوى حين هجر فلأسهد لأحضره في يقظتي. وكل الذي ألاقيه وأتكبده من الأرق وتعب السهاد مغتفر مستور قليل إذا قيس بما أبقاه بين جنبي شحط النوى ومر الفراق من ألم مبرح ولهيب محرق.

(3) لابس: خالط. الأصم: الصلب. فض: كسر، وأصل الانفضاض التفرق قال الله تعالى: «وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها» أي تفرقوا. الأصلاد:

إِذَا ذَوى الغُصنُ الرَّطيبُ فَاْعلَمَنْ أَنَّ قُصــاراهُ نَـفـادٌ وَتَوَى[1]
شَجيتُ لاَ بَـلْ أَجْرَضَتنـى غُصَّةٌ عَنودُها أَقتَلُ لي مِـنَ الشَجى[2]

جمع صـلد وهي الحجارة الصلبة الشديدة قال عز وجل: «فتركه صلدا». الصفا: الصـخر الصلاب، والواحدة صـفاة والمذكر صفوان، قال الله تعالى (كمثل صفوانٍ عليه ترابٌ).

(1) قولـه ذوى: أي جـف وذبل، يقال ذوى يذوي ذيّاً وذويـاً وفي الحديث (إن عمر بن الخطاب رضـى الله عنه كان يستاك وهو صائم بعود قد ذوى). الرطيـب: الناعم الرطب. قصـاراه: آخر أمره ومنتهـاه وغايته. النفاد: الفناء، والذهـاب، والانقطاع، والفراغ. التوى: بالتـاء المنقوطة باثنتين مـن فوق هو الهلاك، والثـواء بالثاء المثلثة ممدودة الإقامة. قال الله عز وجل: «وما كنت ثاوياً في أهل مدين» أي مقيماً.

﴿المعنـى﴾ لـو حلّ بعضـ ما يتحملـه قلبي من لظـى جواها، وحـرّ جفاها، بصخر صلب صلد قوي يابس، لتفككت أجزاؤه وتلاشت قوته. فلا عجب أن يذوي جسـمي الغضـ الرطيب، ويتراجع إلى التلاشـي والهلاك، كما يذوي العود الأخضر النضر بعد تكامل نموه ليصير إلى الفناء والهلاك، فأكبر شاهد على تباريح شوقي وهيامي نحول جسمي.

(2) شـجيت: أي حزنت فالشجا الحزن والشجا أيضـاً الغصص، والغصص الاختناق يقال من ذلك: شجى يشجي شجاً إذا غص بالشيء. أجرضتني: أي خنقتي غصـة الموت، والجرضـ هو الاختناق بالريق، يقال شـجيت بالعظـم، وغصصـت باللقمة، وشـرقت بالماء، وجرضـت بالريق، وفي المثل حال الجريض دون القريض. عنودها: معارضها وهو ما عاند منها أي ما عارض. الشـجا: الحزن ويقال له الشجو أيضاً يقال شجى يشجي، وشجا يشجو شجواً، فالأول من ذوات الياء، والثاني من ذوات الواو.

إنْ يَحْم عَنْ عَيني الْبُكا تَجَلُّدي فَالقَلْبُ مَوْقوفٌ عَلى سُبْلِ الْبُكا[1]

لَوْ كانَتِ الأَحْلامُ ناجَتْني بِما أَلقاهُ يقْظانَ لأَصْماني الرَّدَى[2]

---

(1) إن يحم: إن حرف شرط، ويحم جزم بالشرط، وجوابه مدخول الفاء في قوله فالقلب: وقوله يحم يمنع. التجلد: التصبر. السبل: الطرق واحدها سبيل، وعنى بذلك الهوى الذي يأتي البكاء من أجله وسببه. البكا: يمد ويقصر.

﴿المعنى﴾ حزنت حزن الثكلى، وغصصت بريقي وما عاند منه في المسيغ حتى كان وقوفه في حلقي، وتردده في فمي، أضر عليّ من الحزن الدفين، وإن منع دمع عيني تجلدي وتصبري ومجاهدتي لجيش البكاء فالقلب الحزين الذائب شوقاً وحنيناً وتلهفاً لا يقوى على دفع البكاء الملح الغالب.

(2) الأحلام: جمع حلم، وهو ما يراه الإنسان في منامه قال الله عز وجل (وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين). ناجتني: أخبرتني، يقول لو كانت الأحلام أرتني الأمر الذي رأيته في اليقظة لهلكت عندما أرى في المنام. اليقظان: الذي ليس بنائم وجمعه أيقاظ. قال الله عز وجل: «وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود». لأصماني: أي لقتلني مكاني بلا تأخير، والإصماء القتل دون تلبث، والتلبث: المكث، يقال رمى فلان الصيد فأصماه أي أصاب مقتله فإن لم يصب مقتله قيل رماه فأشواه، والشواء: إخطاء المقتل قال ابن مقبل:

أرمي النحور فأشويها وتثلمني ثلم الإناء فأغدو غير منتصر

قال الأصمعي: يقال أشواه إذا لم يصب مقتله، وشواه بغير ألف إذا أصاب منه المقتل، والشوى في غير هذا الموضع اليدان والرجلان، قال امرؤ القيس:

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا له حجبات مشرفات على الفال

مَنْزِلةٌ مَا خِلْتُها يَرْضَى بِهَا لِنَفسِهِ ذو أَرَبٍ وَلاَ حِجَا[1]

والشوى أيضاً: الشيء الهين الحقير، قال الشاعر:

وكنت إذا الأيام أحدثن هالكاً أقول شوى مالم يصبن صميمي

أي هين، ويقال: كل ذلك شوى ما سلم دينك، أي هين ما لم يصب دينك لأن المصيبة أعظم ما تكون في الدين، وهي في غير الدين صغيرة، ومنه قولهم في الدعاء، اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، والشوى أيضاً: رذال المال، قال الشاعر:

وإنك ما سليت نفساً شحيحة عن المال في الدنيا بمثل المجاوع

أكلنا الشوى حتى إذا لم ندع شوى أشرنا إلى خيراتها بالأصابع

والشوى أيضاً: جمع شواة وهي جلدة الرأس، قال الله عز وجل: «إنها لظى نزاعة للشوى»، أي لجلود الرؤوس، وقال الأعشى:

قالت قتيلة ماله قد جللت شيباً شواته

أم لا أراه كما عهد ت صحا وأقصر عاذلاته

الردى: الهلاك وتصريفه ردى يردى ردى. قال الله عز وجل(واتبع هواه فتردى): أي فتهلك.

(1) قوله: منزلة: أي درجة وجمعها منازل وقوله: ما خلتها: أي ما حسبتها. ذو أرب: ذو عقل يقال فلان أريب أي عاقل، الحجا: العقل أيضاً.

﴿المعنى﴾: لو أني أشعر في منامي بما أشعر به في يقظتي من ألم النوى المبرح، وانقطاع الوداد، وبعد الأمل: لهلكت حين أيأس على وسادي، وما نفعني جلادي. وتلك المنزلة والدرجة التي بلغتها من ضعف القوى، ووهن العزيمة، بحيث لا يملك الجسم تراجعه إلى ما يحميه، أو يقويه، لا أحسب أن عاقلاً يرضى بها لنفسه، مادام قوي الشكيمة، سليم الوجدان.

شَـيْـمُ سَـحـابٍ خُـلَّـبٍ بـارِقُـهُ وَمَـوقِـفٌ بَـيْـنَ ارْتِـجـاءٍ وَمُـنى[1]
فـي كُـلِّ يَـوْمٍ مَـنْـزِلٌ مُـسْـتَـوبَـلٌ يَشْتَفُّ ماءَ مُهجَتي أَوْ مُجتَوى[2]
ما خِلْتُ أَنَّ الدَهْـرَ يُثْنيني عَلى ضَرّاءَ لا يَرْضى بِها ضَبُّ الكُدَى[3]

(1) الشـيم: النظر إلى البرق خاصـة، ولا يقال شـمت الرجـل بمعنى نظرته ولكـن يقال شـمت البرق إذا نظـرت إليه من أي النواحـي يأتي. الخلب: الذي لا ماء فيه.

(2) المنـزل: الموضـع الـذي ينزل فيـه. المسـتوبل: المسـتثقل. المحتوى: المسـتكره، قوله يشـتف: أي يستقصي، والاشـتفاف الاستقصاء، يقال اشـتف فلان ما في الإناء إذا استقصاه. المهجة: النفس، وجمعها مهج، وقيـل المهجـة دم القلب، والمجتـوى المكروه، يقال اجتويـت البلاد إذا كرهتها، وإن كانت موافقة لك، واسـتوبلتها إذا لم توافقك وإن كنت غير كاره لها.

﴿المعنـى﴾ إن نظـري إلى ما يقربهـا مني وأملي في وصـلها وتدانيها كنظر الإنسـان إلى البرق الخاطف، والسـحاب المترقرق وسـط الصـحراء، يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، وإن موقفي معها لا أمل منقطع، فأتسـلى عنها، ولا وصـل حاصـل فأتمتع، بل كل ما عندي رجاء وأماني، ومنى: جمع منية كمدى جمع مدية بمعنى أمنية، على حين أراني كل يوم في موضـع بغيض يمتص ماء مهجتي وقلبي يقصـد ما قصـدته بقولي في الشكايه:

والفكر في المحبوب نار تلتظى والقلب وقّد والضلوع الموقد

فأين تكون الهناءة مع هذا الاحتراق ؟!!

(3) مـا خلت: أي ما توهمـت. ويثنيني: يردني ويعطفني، يقـال ثناه يثنيه إذا عطفه. الضـراء: الصـخرة الصـماء وقيل الضـراء الأرض المشـرفة،

أُرَمِّــقُ العَيْشَ عَلـى بَـرْض فَـإن رُمْـتُ ارْتشافاً رُمـتُ صَعبَ المُنتَشى [1]
أَراجِـعٌ لـي الـدَّهْـرُ حَـوْلاً كامِـلاً إلـى الَّـذي عَـوَّدَ أَم لا يُرتَجى [2]

والضــب مولع به أبداً، والضــراء مأخوذ من الضــر الذي هو ضد النفع، ويجمع على ضــراوات على القياس، وقال الأخفش لا واحد لها. الضــب: واحد الضباب وهي دواب تسكن الأرض الصلبة: جمع كدية.

(1) قوله: أرمق العيش: أي أسـدده وأقطعه عن التعليل، واختلف قول أبي بكر فيه فقال مرة أرمق بكســر الميم وقال مرة أرمق بفتحها فإذا كان أرمق بكســر الميم كان الفعل مبنياً للمعلوم والفاعل أنا، وإذا كان أرمق بالفتح كان الفعــل لغيره على ما لم يســم فاعله فكان التقديــر أعطى منه بقدر ما يمســك رمقي وهو مقدار القوت. البرض: العطاء القليل، وقال بعض اللغويين البرض هو القليل من الماء وقوله، فــإن رمت: أي هممت وقيل عالجت. الارتشاف: أن يستقصى شرب ما في الإناء، وهو دون الاشتفاف في الاستقصاء، والاشتفاف عندهم عيب. المنتشى: المطلب البعيد.

﴿المعنى﴾ ما كنت أظن أن الزمن يحملني على أن أكون كمن آوى إلى الارتقاء إلى صــخرة صــماء صــعبة المرتقى، جافية الإيواء ليــس لديها ما ينقع الغلة، ويزيل العلة حتى لا يرضــى بمقامها ضــب الجبل الشغوف بالإيواء تحت الصخور، وأجدني أتعاطى من العيش ما يسد رمقي، ويحفظ بعض مــاء الحياة قانعاً بالقليــل غير طامح إلى الكثير، حيــث إني عليل بل إذا طلبت المزيد تعلقت بالمطلب البعيد.

(2) المعنى هل يســمح الدهر بهناءة كانت، فيعيد الزمن السعيد الذي مضى بوصل لا ينسى حلاه، وحبور لا يحد مداه، أم لا يرتجى منه أن يعيد شيئاً مما مضى، ولا حولاً كاملاً مما غبر فإن أمس الدابر لا يعود، وإذا انقضى الشباب فلن يعوض !؟

يا دَهرُ إنْ لَم تَكُ عُتبى فَاتَّئِدَ فَإنَّ إرْوَادَكَ وَالعُتْبى سَوَا[1]
رَفِّهْ عَلَيَّ طَالَمَا أَنْصَبْتَنِي وَاستَبْقِ بَعْضَ مَاءِ غُصْنٍ مُلْتَحَى[2]
لا تَحْسَبَنْ يا دَهْرُ أَنِّي ضَارِعٌ لِنَكبَةٍ تُعْرِقُني عَرقَ الْمُدى[3]

---

(1) العتبى: الرضى وهو الرجوع إلى المراد. فاتئد: أرفق يقال من ذلك اتأد يتئد اتئاداً، واسم الفاعل متئد. والإرواده: الرفق والمهل، أرود يرود إرواداً فهو مرود، ويقال أرود به أي أرفق، ومنه قوله عز وجل: (فمهّل الكافرين أمهلهم رويدا). سوا: أي مثل ومستو.

﴿المعنى﴾ يا دهر إن لم ينفع العتاب معك في رقك لحالي، وتحقيق آمالي، فاتئد وأرفق بي وتمهل ولا تسرع في تعذيبي، فإني وطنت النفس على ما يرضيك فإروادك بي، وعتباك لي بعد هذا سواء، أي سيان عندي متماثلان.

(2) قوله: رفه: أي وسع عليَّ، ورغد عيشي. أنصبتني: بالصاد غير المعجمة أتعبتني من النصب وهو التعب. ويروى أنضيتني بالضاد المعجمة وياء بعدها نقطتان من تحتها بمعنى هزلتني وأضعفتني، والضنى الهزال يقال من ذلك ضنى يضني ضنى إذا ضعف وهزل، وأضناني المرض أهزلني.

(3) الملتحى: المقشر يقال لحوت العود ألحوه لحواً، ولحيته أيضاً ألحاه لحياً، واللحاء قشر العود، الضارع: الذليل الخاضع، النكبة: المصيبة والشدة. تعرقني: أي تزيل لحمي عن عظمي من قولهم عرقت العظم أعرقه عرقاً إذا أكلت ما عليه من اللحم. المدى: السكاكين واحدها مدية.

﴿المعنى﴾ ارحمني برغد العيش فطالما أذقتني كؤوس التعب والنصب، واستبق بعض عصارة بقيت من ماء حيائي فلا خير في عود يبس ولا جسم ذوى، وكفى هزال جسمي وضياع لحمي كعود قشر جلده فالتحى،

مارَسْتَ مَنْ لَوْ هَوَت الأَفلاكُ مِنْ جَوانِبِ الْجَوِّ عَلَيهِ ما شَكا[1]
لَكِنَّها نَفْثَةُ مَصْدُورٍ إِذَا جَاشَ لُغَامٌ مِنْ نَوَاحِيها غَمَا[2]

ثم لا تظنن أني ذليل لنكبة ومصيبة ذبحتني ذبح السكين لحيوان حي فإنني صبور شكور:

وتجلدي للشامتين أريهم أني لريب الدهر لا أتزعزع

(1) مارست: عالجت وقيل خالطت وقيل قاسيت. هوت: سقطت يقول لو سقطت عليه الأفلاك بالشدائد والمصائب ما شكا ذلك إلى أحد. الأفلاك: هي التي تجري فيها الشمس والقمر والنجوم، واحدها فلك. الجو: الهواء الذي بين السماء والأرض.

(2) قوله: لكنها. الهاء والألف كناية عن هذه القصيدة التي قالها. والنفثة: ما يلقيه الرجل من فيه إذا بصق، يقال نفثت الحية تنفث نفثة ونفثاً إذا ألقت ريقها، وذلك الريق سم قاتل. المصدور: الذي يشتكي صدره ومنه المثل: لا بد المصدور أن ينفث. وقوله. جاش لغام: أي علا وارتفع، يقال جاشت إليه نفسه أي ارتفعت، وقيل جاش اجتمع، وكذلك جاشت النفس: اجتمعت والأول أصح قال الشاعر:

أقول لها إذا جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

اللغام: الزبد وهو ما يلقيه البعير من فيه، يقال لغم البعير يلغم لغامة إذا رمى اللغام وهو الزبد، والملغم الفم، ومنه تلغمت بالطيب إذا جعلته في ملاغمك، والملاغم ما حول الفم، وهي جمع ملغم، ويقال أيضاً لغمت الشيء ألغمه لغماً إذا خلطته فالتغم أي اختلط وقوله: من نواحيها. أي من جوانبها. غما بالغين المعجمة: سقط يقال غما البعير الزبد إذا رماه ينفض رأسه ومشفره يتناثر من فيه، ويقال غما: غطى من قولهم: غميت الإناء إذا غطيته.

رَضيتُ قَسْراً وَعَلى الْقسْرِ رِضَى مَنْ كانَ ذا سُخْطٍ عَلَى صَرْفِ الْقَضَا[1]
إنَّ الجَديدَيْنِ إذَا مَا استَوليَا عَلَى جَديدٍ أَدْنَيَاهُ لِلبِلَى[2]

(1) قوله: رضيت قسراً أي منعاً. والقسر: المنع يقال قسرت فلاناً عن كذا أي منعته. والقسر أيضاً: القهر على المكروه، يقال قسره على كذا أي قهره عليه. السخط: الغضب.

﴿المعنى﴾ رميت بمكايدك من هو أصلب من الحديد، وأقوى على الدهر من مكايد الدهر، من لو سقطت خطوب الأفلاك وشواظها النارية على جسمه ما شكا وقعها، ولا أنّ لحدوثها ومصابها، غير أن هذه القصيدة المفيدة الشاكية المعبرة عن الأنين ورفع الألم نفثة مصدور، جرت بها عادة من ازدحم صدره بما يفيض عنه كما يجيش صدر البعير فيرتفع زبده إلى فيه ويتساقط من جوانبه، على أني راضٍ على القهر، مقسور غير مختار، وإنما يقسر على الرضا من لا يقدر على تغيير تصاريف القضاء.

(2) الجديدان: الليل والنهار، وكذا الأجدان، والعصران، والملوان قال:

ألا يا ديار الحي بالسبعان أمل عليها بالبلى الملوان

والأسودان: التمر والماء. والأسودان أيضاً: الليل والحرة، والأبيضان اللبن والماء، والأصفران: الذهب والزعفران، والأحمران: اللحم والخمر، والأطيبان النوم والنكاح، والأعذبان: الريق والخمر، والحجران: الذهب والفضة، والأزهران: الشمس والقمر، والقمران أيضاً: الشمس والقمر، والخافقان: المشرق والمغرب، والثقلان: الإنس والجن: ومثل هذا كثير، ومذهب العرب في هذا الضرب من الكلام إذا كان الشيئان يتواخيان ينسب الأنكر منهما إلى الأشهر كقولهم العمران في أبي بكر وعمر، فنسبوا أبا بكر إلى عمر، لأنه أقام في الناس أكثر من أبي بكر يعني أنه دامت مدة خلافته أكثر مما دامت خلافة أبي بكر لأن أبا بكر كانت

مَـا كُـنْـتُ أَدْري وَالـزَّمـانُ مُولَـعٌ بِشَتِّ مَلـمُـومٍ وَتَـنـكيـثِ قُوَى[1]

مدة خلافته سـنتين وثلاثة أشـهر وتسـع ليالٍ، وكانت خلافة عمر عشر سـنين وسـتة أشـهر وخمس ليالٍ فلذلك صـار عمر أشـهر من أبي بكر، وقال بعض النحويين إنما يغلب هنا الأخف على الأثقل كقولهم القمران للشـمس والقمـر، فغلبوا القمر لأنـه مذكر، والمذكر أخـف من المؤنث. كمـا أن المفرد أخف من المضـاف. ولهذا غلبوا عمر علـى أبي بكر لأن عمر غير مضـاف وأبوبكر اسـم مضاف لأنك أضـفت أبا إلى بكر وقوله استوليا: يعني غلبا وملكا، ويجوز أن يكون استوليا تبعاً ولزوماً من قولهم ولـي فلان عملـه إذا تبعه ولزمه، وأتى على بناء اسـتفعل. أدنياه: قرباه. البلـى: الإخلاق يقال ثـوب بالٍ وخلق ودارس، والبلا يمد ويقصـر، فإذا كسرت أوله قصرته كما قال الشاعر:

ألا يـا ديـار الـحـي بالسبعان أمـل عليـها بـالـبلـى الـملـوان

وإذا فتحت أوله مددته كما قال الآخر:

والـمـرء يبليـه بـلا السـربـال مـر الـلـيـالـي وانـتـقـال الـحـال

(1) قولـه: ما كنت أدري: أي ما كنت أعلـم ثم حال بين أدري، وما علمت فيه بحشـو هذا البيت وجاء بالمعمول فيه في البيت الذي بعده، وهو أن، وأن إذا وقعـت في باب الظن كفت عن المفعولين تقول: ما ظننت زيداً عاقلاً ومـا ظننـت أن زيداً عاقـل، فزيداً في المسـألة الأولى مفعـول أول لظن وعاقلاً مفعول ثانٍ. وفي المسـألة الثانية كفـت أن عن المفعولين وعاقل خبـر أن. وقولـه: والزمان مولـع: أي ملازم ومغرى به يقـال أولعت بكذا إذا لزمته، الشـت: التفريق. والملمـوم: المجموع من قولهم لمه يلمه إذا جمعه. التنكيث: النقض مأخوذ من قولهم نكث العهد أي نقضـه. القوى: جمع قوة وهي إحدى قوى العهد أي طاقاته ومن هذا أخذت القوة.

أَنَّ الْقَضَاءَ قَاذِفِي فِي هُوَّةٍ لا تَسْتَبِلُّ نَفَسُ مَنْ فِيهَا هَوَى[1]
فَإِنْ عَثَرتُ بَعْدَهَا إِنْ وَأَلَتْ نَفْسِيَ مِنْ هَاتَا فَقُولاَ لاَ لَعَا[2]

﴿المعنى﴾ إن مرور الليل والنهار على أي مخلوق جديد يسلمه إلى الهلاك والبلى، يقصد أن توالي الليل والنهار وتعاقب الحدثان على بني الإنسان من أكبر عوامل الهدم، فما ظنك بعبء التفكير في محبوب نأى، ووصل بعد ؟! ثم قال ما كنت أظن أن يلقي بى القضاء إلى ما ترى، والدهر مولع أي شغوف بتفريق المجموع، وتحطيم القوى، شأنه في كل العوالم والمواليد حيوان ونبات وجماد، لان أو يبس، تفرق أم اجتمع.

(1) قوله: قاذفي: أي رامي، والقاذف: الرامي يقال يقذفه في بئر إذا رماه فيها. الهوة: الحفرة يتسع أسفلها ويضيق أعلاها وقوله: لا تستبل: أي لا تبرأ ولا تفيق يقال بلّ من مرضه وأبل واستبل إذا برئ. هوى: سقط من فوق إلى أسفل، يقال: هوى يهوي هوياً قال الشاعر:

فشج بها الأماعز فهي تهوي هويّ الدلو أسلمها الرشاء

(2) قوله: فإن عثرت بعدها: أي زللت والعثر: الزلل. يقول: إن زللت بعد هذه النكبة فلا سلمت، ومعنى وألت: نجحت وخلصت. يقال: وأل فلان من كذا بيئل وألاً إذا خلص منه ونجا والموئل مفعل وهو الملجأ، يقال هذا موئل فلان أي ملجؤه ومفزعه الذي يفزع إليه أي يلجأ إليه قال الله جل ذكره: (بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلاً) أي ملجأ ومفزعاً، وأما آل فلان إلى كذا بالمد فمعناه رجع. يقال آل الأمر إلى كذا يؤول أوْلاً مثل قال يقول قولاً وقوله: هاتا: إشارة إلى مؤنث بمنزلة هذا للمذكر لأنه عائد على العثرة المضمرة التي دل عليها قوله: وإن عثرت، وتقديره إن عثرت عثرة بعدها ثم وألت نفسي من هذه العثرة، وإن شئت كان الضمير عائداً على الهوة في البيت الذي قبل هذا، والهوة: الحفرة وجمعها هوى،

وَإنْ تَكُنْ مُدَّتُهَا مَوصُولَةً بالحَتْف سَلَّطتُ الأُسَى عَلى الأَسَى[1]

إنَّ امْرَأَ القَيسِ جَرَى إلى مَدَى فَاعتاقَهُ حِمامُهُ دُونَ المِدَا[2]

هاتا: بمعنى هذه تقول العرب هاتا فعلت كذا، وللمذكر هذا فعل كذا، وقوله لا لعا: أي لا نجا ولا خلاص. ولعل دعاء للعاثر بالسلامة إذا جئت به دون لا. فإن أتيت معه بلا فمعناه لا سلامة.

﴿المعنى﴾ ما كنت أدري أن قضاء الله نفذ عليّ بتعلقي بما لم أنل منها بغيتي، رمى بي في حفرة وهوة عميقة لا تبرأ نفس من سقط فيها، هذا لأن تعشق الدلاء، نأى مكانها، وشط وليها، هوّة القلب السحيقة، فإن عثرت فيها بعد هذه النكبة الدهماء، والمصيبة الصماء، فلا رجاء في السلامة، ولا أمل في النجاة.

(1) قوله: وإن تكن مدتها: الهاء في مدتها عائدة على النكبة. الحتف: الموت وجمعه حتوف. الأسى: بضم الهمزة جمع أسوة أي تعزية. قال الشاعر:

ولقد علمت وإن ضربت لي الأسى أن الرزيئة يوم قتل دؤاد

أي التعدي. والأسى بفتح الهمزة أي الحزن.

(2) قوله: إن امرأ القيس جرى إلى مدى: أي إلى غاية وقوله: فاعتاقه حمامه: أي منعه، يقال: اعتاقه وعاقه بمعنى واحد. الحمام بالكسر: الموت مأخوذ من قولهم حم الأمر أي قرب.

وكان من حديث امرئ القيس أن أباه طرده لما قال الشعر، فكان ينتقل في أحياء العرب ويستتبع الصعاليك منهم فكان يغير بهم، وكان أبوه ملك بني أسد فعسفهم عسفاً شديداً فتمالأوا على قتله فقتلوه. فلما بلغ امرأ القيس الخبر وهو يشرب قال: ضيعني صغيراً وحملني ثقل الثأر كبيراً. اليوم خمر، وغداً أمر، فأرسل مثلاً. ثم جمع جمعاً من بكر بن وائل وغيرهم من صعاليك العرب فخرج بهم يريد بني أسد فخبرهم

كاهنهم بخروجه إليهم فارتحلوا وبينهم امرؤ القيس فوقع ببني كنانة فقتلهم قتلاً ذريعاً، وأقبل أصحابه يقولون: يا ثارات الهمام يا ثارات الهمام قالت عجوز منهم: واللات أيها الملك ما نحن بثأرك، وإنما ثأرك بنو أسد وقد ارتحلوا فرفع عنهم القتل وأنشأ يقول:

ألا يا لهف قلبي من أناس هم كانوا الشفاء فلم يصابوا
وقاهم جدهم ببني عليّ وبالأشقين ما كان العقاب
وأفلتهن علباء جريضاً ولو أدركنه صفر الوطاب

قوله: بني علي: يريد بني كنانة. نسبوا إلى علي بن مسعود الغساني وكان تزوج أمهم بعد أبيهم وربوا في حجره فنسبوا إليه. ثم إن اصحاب امرئ القيس اختلفوا وقالوا: وقعت بقوم براء وقتلتهم! فخرج إلى اليمن إلى بعض مقاويل حمير، وكان اسمه قرمل فاستجاشه فثبطه قرمل. فذلك حيث يقول:

وكنا أناساً قبل غزوة قرمل ورثنا الغنى والمجد أكبر أكبرا

ثم توجه إلى قيصر ملك الروم وجعل طريقه على تيماء ـ حصن للسموأل بن عاديا ـ فأودعه درعاً وسلاحاً، وكان قد مشى معه صاحب يقال له عمرو ابن قميئة. فلما رأى عمرو بن قميئة الدرب ـ وهو حاجز بين بلاد العرب وبين بلاد العجم ـ بكى جزعاً لفراقه بلاد العرب ودخول بلاد العجم ففي ذلك قال امرؤ القيس:

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا

ثم سار حتى وصل إلى قيصر في ملكه. فاستأذن عليه فأذن له. فلما دخل عليه قرب مجلسه وأدنى مكانه، واتخذه نديماً، وجمله، وخلع عليه

وأحسن إليه، ثم استعان به فوعده أن يرفده بجيش، وكان امرؤ القيس جميل الوجه، وكان لقيصر ابنة حسنة جميلة فأشرفت يوماً من قصر لها فرآها امرؤ القيس في دخوله إلى أبيها فتعلق بقلبه حبها وراسلها فأرسلت إليه فسار إليها فطرقها ليلاً فذلك حيث يقول:

فقلت يمين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

وكان سبقه إلى قيصر رجل من أعدائه من بنى أسد يقال له الصحصاح فوشى به إلى قيصر فتذمم أن يقتله، فوجه معه جيشاً ثم أتبعه رجلاً ومعه حلة مسمومة، وقال له اقرأ عليه السلام، وقل له إن الملك قد بعث إليك بحلة قد لبسها ليكرمك بها، وأدخله الحمام فإذا خرج ألبسه إياها، فلما لبسها نفط بدنه، فكان يحمل في محفة، فذلك حيث يقول:

لقد طمح الطماح من بعد أرضه ليلبسني من دائه ما تلبسا

وبدلت قرحاً دامياً بعد صحة لعل منايانا تحولن أبؤسا

ثم نزل إلى جانب جبل وإلى جانبه قبر لبعض بنات ملوك الروم وكان اسم ذلك الجبل عسيباً، فأنشأ يقول:

أجارتنا إن الخطوب تنوب وإني مقيم ما أقام عسيب

أجارتنا إنّا غريبان هاهنا وكل غريب للغريب نسيب

فإن تصليني فالمودة بيننا وإن تبعديني فالمزار عصيب

أجارتنا ما فات ليس يؤوب وما هو آتٍ في الزمان قريب

وليس غريباً من تناءت دياره ولكن من وارى التراب غريب

فلما أيقن بالموت قال:

كم طعنة مثعنجره وخطبة مسنحفره

وَخامَرَتْ نَفْسُ أَبِي الجَبرِ الجَوَى حَتَى حَوَاهُ الحَتْفُ فيمَن قَد حَوَى[1]

وجـفـنـة مـدعـثـره مـتـروكـة بـأنـقـره

قولـه متعنجرة: منتصبة. مسـنحفرة: ماضـية. مدعثرة: مكسـرة، أنقرة: موضـع. يرثي بهذا نفسـه. يقول: كم من خصـلة جلية تجمعت قد تركت فـي هذا الموضـع إذ دفن فيه. فتضـمنها قبره، وأسـلمه أحبته ثم مات فهناك قبره.

﴿المعنـى﴾ وإن طالـت مدة هذه النكبـة، وأمد هاتيك المصـيبة إلى الموت وانقضـاء الحيـاة فلـن أزال أعالجها ما اسـتطعت إذا قدرت بالتصـبر والتسـلي والتعزي حتى تتغلب رماح المجالدة فتؤخر تقدم جيوش الحزن والأسـى – وإنما يهلك أسـى وحزناً من لم يتدرع بأسـوة تمحو آثاره، أو على الأقل تقلل غباره – على ضد قول أخي مالك بن نويرة يرثيه:

يـقـولـون تبـكي كـل قـبـر رأيـتـه لقبر ثوى بين اللوا فالدكادك

فقلت لهم إن الأسى تبعث الأسى دعـونـي فـهـذا كـلـه قـبـر مـالـك

وإن امـرأ القيس قبلي قد امتدت به نكبتـه حتى الوفاة، دون أن يحقق غايته، ويقضـي وطره الذي طالما صـبا إليـه، وجدّ من أجـل تحقيقه كل الجد فأخشى أن أنتهي إلى ما انتهى، ويعوقني دون الوصول إلى غايتي ما عاقه فأنشد من الآن: أضاعوني وأي فتى أضاعوا !!!

(1) خامرت: خالطت، ومنه سميت الخمرة لمخالطتها العقل وتغطيتها عليه. الجوى: مقصـور مفتـوح داء في الجوف، وقيل الجـوى: تأثير الحزن في الجوف. يقال من ذلك جوى يجوى جوى، والجواء مكسـور وممدود: اسم أرض. قال الشاعر:

عـفـا مـن آل فـاطـمـة الـجـواء فـيـمـن فـالـقـوادم فـالـحـسـاء

ويقـال الجواء هنا: جمع جـو وهو البطن من الأرض وقولـه: حواه: أي حازه.

الحتف: الموت وجمعه حتوف.

وكان مـن حديث أبي الجبـر وهو رجل من كندة، وكان اسـمه وكنيته واحداً، وكان من الملوك. أنه خرج إلى كسرى يستجيشه على قومه فأعطاه جيشاً من الأسـاورة. فلما صـاروا بكاظمة نظروا إلى وحشة بلاد العرب فقالوا أين نذهب مع هذا؟ فسـموه، فلما اشـتد وجعه قالوا له قد بلغت إلى هذه الحال فاكتب إلى الملك أنك قد أذنت لنا، فلما كتب لهم ورجعوا خف ما به، فرحل إلى الطائف إلى الحارث بن كلدة الثقفي طبيب العرب، فداواه فبـرئ، وارتحل يريد اليمن فانتقضـت علته، فمات فـي الطريق، فقالت عمته كبشة ترثيه:

ليت شعري وقد شعرت أبا الجبر ... بمـا قـد لـقيـت فـي الـترحـال
أتمطت بك الركاب أبيت اللعن ... حـتـى حـلـلـت فـي الأقـتـال
أشـجـاع فـأنـت أشـجـع مـن ليث ... هـمـوس الـسـرى أبـي الأشـبـال
أجـواد فـأنـت أجـود مـن سيل ... تـداعـى مـن مـسـيـل هـطـال
أكـريـم فـأنـت أكـرم مـن ضمت ... حصان ومـن مشى فـي النعال
أنـت خيـر مـن عـامـر وابـن وقا ... ص ومـن جمعوا لـيوم المحال
أنت خير من ألف ألف من القوم ... إذا مـا اكفهرت وجـوه الرجال

﴿المعنى﴾ أن أبا الجبر أودت به علته بالسم عندما خامرت باطنه، وقد حاول علاجها بشـتى الوسائل، فكل شـيء يهون من ألم الجراح الظاهرية، أما ألـم الجراح الباطنية فنذير البؤس ومبعث الردى والدمار، وقد أمات أبا الجبـر ما أمات من اعتل بالجوف قبله، وإن علتي مكمنها قلبي، ومأواها فؤادي، وهي أنكى وأشد من علة أبي الجبر، فإن كان أبو الجبر وجد منها براءً وعلاجاً يبعده عن الردى الذي حواه فإني واجده، والخلاصة إعلانه

وَابْـنُ الأَشَـجِّ القَـيْلُ سَـاقَ نَفسَهُ إلى الرَّدَى حِذارَ إِشْمَاتِ الْعِدَى[1]

يأسه من برء دائه.

(1) العدى: والعدى، والعداة، والأعداء واحد، والعدى أيضـاً مكسـور مقصور الغرباء، ويكتب بالياء قال الشاعر:

إذا كنت في قوم عدى لست منهم فكل ما علفت من خبيث وطيب

وأما العداء بالكسر والمد: فالموالاة بين الشيئين، وهي المتابعة.

قال الشاعر:

فعـادى عـداء بيـن ثـور ونعجة دراكـاً ولـم ينضح بماء فيغسل

والقيـل: الملك دون الملك الأعظم وجمعه أقيال وأقوال، وقوله: سـاق نفسـه إلـى الـردى: أي إلى الهلاك يقـال من ذلك ردى يـردى ردى إذا هلك..

قال الله تعالى: (فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى).

وكان من حديث أبي الأشج، واسمه عبدالرحمن بن الأشعث بن قيس الكندي: أن الحجـاج ولاه سجسـتان فخلـع الحجـاج دون عبدالملـك بـن مروان واتبعـه أهل العراق قراؤهم وعلماؤهم، منهم الشـعبي واسـمه عامر بن شـراحيل ومنهم سـعيد بن يسار أخو الحسـن بن أبي الحسن البصرى. ومن أشـبههم فغلـب على البصـرة والكوفة، وقاتل الحجـاج مدة طويلة ثـم انهزم ورجع إلى ريتقل سـلطان الترك. فبذل لـه الحجاج مالاً كثيراً فغدر به ريتقل، وأسـلمه إلى رسـل الحجاج، فلما صاروا بالري باتوا على سـطح حصـن مرتفع فكان يؤمر وهو أسـير، وكان قد قرن إلى رجل من بني تميم بسلسـلة فـي أيديهما فلما كان بعض الليالـي قال للتميمي: قم معي لأبول. فلما قام معه أشرف من السطح إلى الأرض وجمع ثيابه فقال له التميمي: ما تصـنع أيها الأمير ؟ قال السـاعة أعلمك. ثم رمى بنفسه فوقـع هو والتميمي فماتا جميعاً، وحمل رأسـه إلـى الحجاج. فهذا معنى

وَاخْتَرَمَ الوَضَّاحَ مِنْ دُونِ الَّتي أَمَّلَها سَيْفُ الحِمَامِ الْمُنْتَضَى[1]

قوله: ساق نفسه إلى الردى حذار إشمات العدى.

﴿المعنى﴾ أن الأمير عبدالرحمن بن الأشعث بن قيس الكندي الشهير بابن الأشج فضل الموت على الحياة المصاحبة لشماتة الأعداء حين وقع أسيراً بغدر ريتقل سلطان الترك به وكان قد لجأ إليه يستغيث به نظير مال بذله الحجاج إليه – والترك كأهل العراق أهل نفاق ومعدن اللؤم وأس الخيانة – يقصد ما فائدة حياة يلازمها الألم المبرح ثم يعقبه شماتة الأعداء عند عضال الداء !؟ على حد قول عنترة العبسي:

لا تسقني ماء الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الحنظل

ماء الحياة بذلة كجهنم وجهنم في العز أطيب منزل

وقول الآخر:

لا تسقني ماء الملام فإنني صب قد استعذبت ماء بكائي

وقول الشارح: العدى والعدى والعداة والأعداء واحد إلخ الأول بكسر العين جمع عدو، والثاني بضم العين اسم جمع لعدو، والثالث بضم العين جمع المعادي بمعنى المخاصم وقوله وأما العداء بالكسر وبالمد فالموالاة بين الشيئين إلخ فيقال عليه وبمعنى المعاداة أيضاً يقال: عاداه يعاديه عداء ومعاداة خاصمه وصار له عدوا، والأعداء جمع عدو، وجمع الجمع أعاد. أهـ من المنجد.

(1) واختَرم: أهلك واقتطع. يقال خرمت الشيء إذا قطعته، والخرم: النقص، ومنه الخرم في الشعر وهو نقصان حرف من أول البيت إذا كان أوله مبنياً على جزء ابتداؤه وتد. الحمام: الموت. المنتضى: الملول من قولهم انتضيت السيف أنتضيه انتضاء إذا أخرجته من غمده، واسم الفاعل منتض ويقال سيف منتضى أي مجرد.

وكان من حديث الوضـاح واسـمه جذيمة بن مالك بن فهم الأزدي الملك أنه كان أبرص. فهابت العرب أن تقول أبرص فقالت الأبرش والوضاح، وكان في أيام ملوك الطوائف قد ملك شـطي الفرات إلى صراة جاماس، وإلى الأنبار، وما وراء جاماس، وما وراء ذلك إلى السواد ستين سنة، وكان من العماليق، ويقال من سلج، وكان قد قتل أبا الزباء وغلب على ملكها، وألجأ الزبـاء إلى أطراف مملكتها وكان يغير علـى ملوك الطوائف حتى غلبهم علـى كثير مما في أيديهم، وكانـت الزباء ملكة أديبـة عاقلة فبعثت إليه تخطبه على نفسـها ليتصـل ملكها بملكه. فدعته نفسـه إلى ذلك فشاور وزراءه في ذلك فكلهم أشاروا عليه أن يفعل إلا قصير بن سعد فإنه قال: أيهـا الملـك لا تفعل فإن هذا خديعة ومكر. فعصـاه وأجابهـا إلى ذلك، فقال قصـير عند ذلك: ـ لا يقبل لقصير رأي ـ فأخرجها مثلاً. ثم كتبت إليه بعد ذلك أن سـر إليَّ، فجمع أصـحابه ببقة وهي قرية على الفرات، وشاور وزراءه فأشاروا عليه بالخروج إلا قصيراً فقال له: أيها الملك أما إذا ما عصـيتني فرأيت جندها قد أقبلوا إليك فترجلوا وحيوك ثم ركبوا وتقدمـوا فقد كـذب ظني وإن رأيتهم إذا حيـوك طافوا بك فإني معرض إليك العصا، وهي فرس لجذيمة لا تدرك فاركب وانج بنفسك. فلما أقبل أصـحابها حيوه وطافوا به فقرب إليه قصـير العصا فشغل عنها فركبها قصـير وأخذه جذيمة فنظر إلى قصـير على العصـا، وقد حال السراب دونـه. فقـال: ـ ما ضـل من تجري به العصـا ـ فأخرجها مثـلاً وأدخل جذيمة على الزباء وكانت وفرت شـعر عانتها حولاً. فلما دخل انكشـفت له وقالت: أذات عرس ترى يا جذيمة ؟ أما إنه ليس من عوز المواسي ولا قلة الأواسي؟ ولكنها شيمة من أناسي! وأمرت به فأجلس على نطع وجيء بطست من ذهب فقطعت راهشيه، وفي ذلك قال الشاعر:

فَقَد سَمَا قَبْلي يَزِيدٌ طَالِباً شَأوَ الْعُلاَ فَمَا وَهَى وَلاَ وَنَى[1]

وقدمت الأديم لراهشيه وألفى قوله كذبا ومينا

وكان قد قيل لها احتفظي بدمه، فإنه إذا أصابت الأرض منه قطرة أخذ بثأره. فقطرت من دمه قطرة على الأرض فقالت: لا تضيعوا دم الملك. فقال جذيمة: - دعوا دماً ضيعه أهله - فأرسلها مثلاً ومات.

﴿المعنى﴾ أن جذيمة الأبرص الشهير بالأبرش أو الوضاح الملك الأزدي - وقد بلغ في عزة ملكه ما بلغ وغلب على ملوك الطوائف - أهلكه سيف الموت المسلول حين أتبع نفسه هواه، وتعلق بحب الزباء الملكه الحسناء وخلبه منها سراب وعدها المزيف بزواجها منه، وغلبه حب الوصل، على حيطة العقل، فجرفه سيل الردى قبل بلوغه ما كان يأمل، ولو عمل بقول عمر بن أبي ربيعة المخزومي حين يقول في وعد النساء -:

وليس لمخضوب البنان يمين. واتخذ عقله قائداً، وحسن تفكيره رائداً ولم يهمل مشورة أمينه قصير - وهو بحوادث الحدثان خبير وبصير -: لنجا من التمثيل به وإهراق دمه، أمام ناظره. يقصد أن يقول: إن الملوك الرفيعة الجانب، السامية المقدار، القوية البأس، الشديدة في البطش، قد وقعوا في أسر الهوى دون فكاك أو خلاص، وندموا حين أفرطوا ولات حين مناص، فيا ليت شعري هل أنا راكب متن غوايتهم سائر في شططهم!؟ أم أكون بتمهلي بمنأى عن نهايتهم ! فلا أقول ما قاله الملك المفرط: دعوا دماً ضيعه أهله.

(1) سما: علا الشأو: الغاية، وقيل الشأو: البعد، والشأو: طلق الفرس يقال جرى الفرس شأواً أو شأوين. العلا: الشرف. ما وهى: أي ما ضعف، وقيل وهى: انصدع. يقال وهى يهي وهياً، وأصل الوهي الشق، قال الله عز وجل: (ولا تنيا في ذكرى) أي ولا تفترا، وتصريفه ونى يني ونياً،

فَاعْتَرَضَتْ دُونَ الَّـذي رَامَ وَقَـد جَدَّ بِـهِ الْجِـدُّ اللُّهَيمُ الأَرْبَى[1]

واسم الفاعل وان.

وكان مـن حديـث يزيـد بن المهلب بـن أبي صـفرة أنه خرج علـى بني أمية وخطب له بالبصـرة وسلمت عليه جارية من جواريه بالخلافة، والعباس بن الوليد بن عبدالملك بإزائه فقال لها:

رويدك حتى تنظري عم تنجلي غيـابـة هـذا الـعـارض المتألق

فدسـت إليه بنو أمية رجلاً من كلب يقال له الفحل وابن الفحل وكان ذا بأس شديد وإقدام فقتله في بعض خلواته. فقال الشاعر من كلب في ذلك:

قتلنا يـزيـد بـن المهلب بعدما تمنيتم أن يغلب الـحق باطله

وما كان في أهل العراق منافق عن الدين إلا من قضاعة قاتله

ثم صفا الأمر لبني أمية.

(1) فاعترضـت: أي بـدت، وقيـل معناه عارضـت وفيـه تقديـم وتأخير. أي فاعترضـت اللهيـم الأربى دون الـذي رام. ومعنـى رام: طلب. جد: حث وأسـرع. جد: اجتهد. وجد أيضـاً فـي غير هذا الموضـع: قطع. واللهيم والأربى: اسـمان من أسـماء الداهية وأصل الداهية الشدة وقوله. الجد: هو العزم. والجد أيضاً: الحق.

﴿المعنى﴾ ما أنا طالب شـيئاً حقيراً، ولا مطارد صـغيراً، وإنما أعتزم أمراً خطيراً وشـرفاً كبيراً، فلا ينبغي لي أن أقصـر عـن إدراك غايته، أو أن أضعف قبل أن أصل إلى نهايته:

ومـا نـيل الـسـعـادة بالتمني ولـكـن ألـق دلـوك فـي الـدلاء

تجئك بملئها طـوراً وطـوراً تـجـئـك بـحـمـأة وقـلـيـل مـاء

ولاسـيما أن يزيد بن المهلب بن أبي صـفرة الأمير قد سـما قبلي حين طلب العلا والشـرف مثلي، وبلغ في المجد حداً لا يضـاهى بما أقدم عليه من

هـل أنـا بـدْعٌ مـنْ عَـرَانـيـنَ عُـلاَ جَارَ عَلَيْهِمْ صَرْفُ دَهْرٍ واعْتدَى[1]
فَـإِنْ أَنَـالَـتْـنِـي الْـمَـقَـادِيـرُ الَّـذِي أَكِـيـدُهُ لَـمْ آل فـي رَأْبِ الثَّأَى[2]

عـزم أكيد، وعمل مجيد، وسـعي متواصـل، فما عراه قبـل بلوغه الغاية ضـعف، ولا أقعده فتور، وأرى لي همة تقول: بالسـابق في الفضـل اقتد. نعم عارضـت يزيد الهمام الشـدة الدهماء، والكارثة العمياء، المسـماة باللهيـم وبالأربى دون الذي رام وقصـد، فقطعت حبال وصـاله، وحالت دون تحقيق آماله، بعد أن جد جده، وتقدم سيره، ولكن ليس العيب عيبه وإنما العيب كل العيب على من غدر به.

(1) البـدع: الذي يكون أولاً في كل أمـر، قال الله عز وجل: (قل ما كنت بدعاً من الرسـل) أي لسـت بـأول مرسـل، والعرانيـن: الأشـراف، واحدهم عرنين. والعرنين: الأنف وإنما سـمي الشـريف عرنيناً لأنه كالعرنين في الوجه وهو أرفع ما يكون، جار: عدل عن الحق أي مال عنه. اعتدى: ظلم.

(2) فـإن أنالتني: أعطتني المقادير، جمع مقـدار، وهو القدر. أكيده: أطلبه، وأحتال عليه. لم آل: لم أقصـر. رأب: إصـلاح، من قولهم رأبت الشـيء أرأبه رأباً. الثأى: الفساد، ومعناه لم أقصر في إصلاح الفساد.

﴿المعنى﴾ لسـت بدعاً في الأشـراف راموا العلا فرموا بالنكبات، وقصدوا الشرف فنحوا عن الغايات:

وفـي الرياض نبات فـاق رونقه ولـيـس يـرجـم إلا مـا لـه ثمر
وفـي السماء نجوم لا عـداد لها وليس يخسف إلا الشمس والقمر

ومـا حارب الدهـر إلا الأكابر فلى بهم خير أسـوة في تحمل عادياته، وشـن غاراتـه، فـإن أنالتني المقادير مـا أتمناه لم أدخر جهداً في إصـلاح ما عبثت به يد الزمان، وأفسـده الحدثان. وقوله الثأى: الفساد، لا يتفق مع ضـبطه بضـم الثاء وفتح الهمزة وإنما هـو معنى الثأى بفتحها وسـكون

وَقَـدْ سَمـا عَـمْـرٌو إلـى أوتـاره فَاحْتَطَّ منها كُلَّ عالي المُستَمَى[1]
فاستَنزَلَ الـزَّبّـاءَ قَسْـراً وَهـيَ مِنْ عُقَابِ لُوحِ الجَوِّ أعلى مُنتَمى[2]

الهمـزة التي هي عين المصـدر. أما الثأى بضـم الثاء مـع فتح الهمزة: فآثار الجرح. وعبارة المنجد في المادتين: ثأى يثأى ثأياً وأثأى: الشـيء خرمه، فتقه، أضـعفه وأفسـده. وأثأى في القوم: جرح فيهم وقتل. ثئى، الشـيء يثأى ثأى: خرم. الثأى: آثار الجرح. الثأى: مصـدر. ويقال فلان يرأب الثأى، أي يصلح الفساد. أهـ

(1) سما: علا. الأوتار: جمع وتر، وهو طلب الدم قوله: فاحتط منها أي فأنزل. المستمى: المكان العالي المرتفع، وهو مفتعل من سما إذا ارتفع، وزيدت التاء فيه لبناء افتعل كما زيدت في استجاب.

(2) الزباء: اسم امرأة. القسر بالسين: القهر والغلبة. والعقاب: طائر معلوم وهو من سـباع الطيـر، وجمعه عقبـان. اللوح: الهواء الذي بين السـماء والأرض، واللو أيضـاً: العطش بضـم الـلام فيهما، الجو أيضـاً: ما بين السـماء والأرضـ. منتمى: أي موضـع مرتفع إليه، وهو مفتعل لأنه اسـم مفعول من نميت الشـيء إذا رفعته، واسـم الفاعل منتم، وفي هذا البيت تقديم وتأخير تقديره فاستنزال الزباء قسراً وهي أعلى منتمى من عقاب لوح الجو أي في منعها أكثر امتناعاً من العقاب الذي في الجو.

وكان من حديث عمرو، وقصير والزباء ـ وهو عمرو بن ربيعة بن نصير وكان ابـن أخت جذيمة الأبرش ـ أن الزباء لما قتلت جذيمة ونجا قصـير بن سـعد القضاعي على العصا سـار إلى عمرو وقال: ألا تطلب بثأر خالك ؟ قال: وكيف أقدر على الزباء وهي أمنع من عقاب الجو؟! فأرسـلها مثلاً. فقال له قصـير: اجدع أنفي وأذني واضرب ظهري حتى تؤثر فيه ودعني وإياهـا فألحق بهـا وأقول قد فعل بي عمرو ما ترين مـن أجل أن اتهمني

في أمر خاله ففعل به ذلك. فلما سار إليها وأخبرها بذلك وقال لها: قد لقيت هذا من أجلك. فقالت وكيف كان ذلك ؟! قال زعم أني أشرت على خاله بالخروج إليك حتى فعلت به ما فعلت. فوعدته من نفسها بالإحسان فأحسن خدمتها وأظهر النصحية لها حتى حسنت منزلته عندها، وزين لها التجارة والأسفار فبعثت معه مالاً وإبلاً إلى العراق فسار قصير إلى عمرو مستخفياً فأخذ منه مالاً وزاد على مالها فاشترى طرفاً من طرف أهل العراق ورجع إليها فأراها تلك الأرباح فسرت. ثم كر كرة فأضعف لها المال حتى عجبت من فعله وازدادت به غبطة وسروراً. فلما كان في المرة الثالثة اتخذ جوالقات الجص من المسوح وجعل ربطها من أسافلها إلى داخل، وأدخل في كل جولق رجلاً بسلاحه، وأقبل إليها وأخذ غير الطريق فكان يسير الليل ويكمن النهار، وأخذ عمراً معه، وكانت الزباء قد صور لها عمرو قائماً وراكباً، وكانت قد اتخذت نفقاً أجرت عليه الماء من قصرها إلى قصر أختها زبيبة. وكان قد بعد عنها خبر قصير، فسألت عنه فقيل لها أخذ الغوير وهو موضع، فقالت: عسى الغوير أبؤساً، فأرسلتها مثلاً، ودخل قصير على الزباء وقد تقدم العير فقال لها: قفي فانظري إلى العير. فرقت فوق سطح لها فجعلت تنظر إلى العير مقبلة تحمل الرجال تمشي قليلاً قليلاً، فأنكرت ذلك المشي وقالت:

ما للجمال مشيها وئيداً أجندلاً يحملن أم حديدا
أم صرفاناً بارداً شديداً أم الرجال جثّماً قعودا

فانتهوا إلى حصنها، وقد أظلم الليل وشغلت بشيء ولم ترتب حاجباً على الباب، وكان عمرو قد وصف له قصير باب النفق، ووصف له الزباء،

وَسَيفٌ اِستَعْلَتْ بِهِ هِمَّتُهُ حَتَّى رَمى أَبعَدَ شَأْوِ المُرتَمَى[1]

فلما دخلت العير المدينة، وعلى الباب البوابون من النبط، ومنهم واحد في يده مخصرة، وهو سفود، قطع جوالق منها بالمخصرة فأصابت رجلاً فضرط، فصاح، البواب بالنبطية: بشتا بشتا، وتفسيره بالعربية الشر الشر، فانتضى قصير سيفه فضرب به البواب فقتله، وجاء عمرو على فرسه فدخل الحصن عقب الإبل، وابتركت الإبل، وحلت الرجال الجوالقات، ومشوا في المدينة بالسلاح، فسار قصير ومن معه حتى دخلوا قصر الزباء، وكانت تتعرف عمراً على كل حال من أحواله. تريد بذلك أن تعرفه لتكون كلما نظرت إليه أخذت حذرها منه. فلما رأت الزباء عمراً ولت هاربة تريد النفق لكي تنجو فيه فلحقها عمرو فلما علمت أنها لا تفلته مصت خاتماً كان في يدها مسموماً وقالت: بيدي لا بيدك يا عمرو. فماتت مكانها، وقيل إن عمراً جللها بالسيف واستباح بلادها، واستولى على ملكها.

﴿المعنى﴾ أن طالب العلو بالجد يعلو، وإن عمرو بن ربيعة ابن أخت جذيمة الأبرش لما كان عالي الهمة، صادق العزيمة، قوي الشكيمة، سما إلى اقتناص رقاب الملوك فقتل الزباء أخذاً بثأر خاله المقتول بأمرها وتدبير خديعتها، ولم يسترح له بال ولم يطمئن له بلبال، حتى سقاها كأس حمامها بيديها، وأذلها وهي أمنع من عقاب حلّق في جو السماء، ورد كيدها في نحرها، وإنه لي خير مثال يتحذى في السعي إلى الغاية، لا في المكيدة فمطلوبه خصمه، ومطلوبي حبيبي، ومالك فؤادي.

(1) قوله: وسيف استعلت به همته: يعني سيف بن ذي يزن ملك اليمن وله قصة عجيبة أنا ذاكرها إن شاء الله تعالى وقوله. استعلت: أي علت وارتفعت يقال: علا واستعلى بمعنى واحد. الشأو: الغاية، وشأو كل شيء

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فَجَرَّعَ الأُحْبوشَ سُمّاً ناقِعاً وَاحْتَلَّ مِنْ غمدانَ مِحْرابَ الدُّمَى[1]

غايته. وشأو الفرس طلقه، قال الشاعر في تثنيته:

إذا ما جرى شأوين وابتل عطفه تقول هزيز الريح مرت بأثأبي

المرتمى: موضع الرمي، وهو الذي يقال له الغرض، ويقال له أيضاً الهدف، ويقال له أيضاً القرطاس.

(1) قوله: جرع: أي سقى، والجرعة القليل من الماء، ومنه قول الله عز وجل: (يتجرعه ولا يكاد يسيغة) أي يقطع شربه، والأحبوش ملك الحبشة، ويقال للجماعة أيضاً أحبوش وحبشة، وقد تحبشوا إذا اجتمعوا. ناقعاً: ثابتاً يقال نقع نقوعاً إذا ثبت. احتل: نزل بالمكان، ومنه سمي المكان الذي ينزل فيه محلاً. غمدان موضع بصنعاء اليمن، وكان فيه بناء عظيم، وصور من الرخام هدمه عثمان بن عفان رضي الله عنه في الإسلام، ويقال إن رسومه باقية إلى الآن. والمحراب ها هنا: غرفة بصنعاء فيها صور قديمة حسنة.

أنشد الأصمعي للعرب:

ربت محراب إذا جئتها لم أدن حتى أرتقي سلما

وقيل المحراب: المجلس في البيت، وهو أكرم موضع فيه، ومن هذا سمي محراب المسجد لأنه أرفع موضع فيه. الدمى: الصور. واحدها دمية، قال الشاعر:

أو دمية من مرمر غواصها بهج متى يرها يهل ويسجد

ويقال للنساء أيضاً دمى تشبهاً بهن، وصنعاء باليمن من البلدان التي لا يدرى من بناها، وتدمر بالشام.

وكان من قصة سيف بن ذي يزن أن الحبشة لما غلبوا على اليمن وطال مكثهم. خرج سيف وهو من أهل بيت المملكة إلى الروم يستنصر قيصر،

فشاور وزراءه فقالوا له: أيها الملك، إن الحبشة في دينك، ودين هذا العربي مخالف دينك فماطله، وكره قيصر أن يخفره بعدما وعده، فلما طال ذلك عليه خرج إلى الحيرة بعد سبع سنين من مقامه بأرض الروم فسار إلى بعض ملوك فارس يستنصره – أحسبه – هرمز بن قباز. فلما دخل بلده أكرمه وبالغ في كرامته، ورفع مجلسه وأدناه. فقال له ترجمانه ما تبتغي من الملك فقد أمرني أن أسألك عما قصدت إليه؟ فقال له: أيها الملك غلبتنا على بلادنا الأغربة. فقال له الترجمان: يقول لك الملك أي الأغربة الهند أم الحبشة؟ فقال: بل الحبشة، وجئت إلى الملك لينصرني عليهم فنكون في دينه، فانه أحب إليَّ أن يملكني وقومي من أن تملكني الأغربة. فقال له الترجمان: الملك يقول لك هيهات هيهات. بعدت عنا أرضك، وهي مع ذلك أرض قليلة الخير، وإنما بها الشاء والبعير، وهذا لا حاجة لنا فيه. وأمر له بعشرة آلاف درهم فقبضها. فلما خرج من عنده وهبها على باب الملك، فاتصل ذلك بالملك. فوجد عليه وأمر برده إليه، فقال له الترجمان: الملك وجد عليك. فقال: ولمَ ذلك؟ فقال: عمدت إلى حباء الملك وكرامته فأنهبته العبيد والإماء. فقال: وما أصنع بالمال؟ وهل حباؤه إلا ذهب أو فضة، وإنما كانت إرادته أن يرغب الملك في بلاده، فلما سمعه الملك أمره بالمقام ووعده بكل ما يحبه، وأنه يوجه معه جيشاً، ثم إن الملك شاور وزراءه في ذلك فقالوا له: أيها الملك، أما الرأي عندنا فأن لا توجه جنداً من جند فارس في مفاوز العرب. حيث ليس ماء ولا كلأ، وإنما يشرب فيها الماء من مثل عيون الديكة. فإن غورت عليهم ماتوا عطشاً. فقال: ما كنت لأخفره بعد أن وعدته، ولابد أن أبلغه أمله وأرعى قصده إليَّ. فقالوا: إن كان الأمر هكذا فإن هنا رأياً. قال: وما هو؟ قالوا: تبعث إلى سجونك فإن

فيها قوماً قد استحقوا القتل، وإنما حبستهم منّة منك عليهم بأرواحهم واستبقاء لهم فتخرجهم. وترأس عليهم رئيساً من غيرهم ذا رأي وحزم وبصر بالحروب. فإن ظفروا فإنه ملك زدته إلى ملكك، وإن أصيبوا فهو الذي أردته بهم. فبعث إلى السجون فجمع من فيها يستحق القتل. فكانوا عشرة آلاف رجل. فرأس عليهم وزيراً، وكان من الأساورة المتقدمين، عالما بالحروب، وقد أتت عليه مئة وعشرون سنة، وسقط حاجباه على عينيه كبراً وهرماً. فحملهم في البحر في عشر سفائن. فلما انتهوا إلى سيف عدن قال بعضهم لبعض: علام نغرر بأنفسنا مع ابن الفاعلة؟ فحملوا أنفسهم على الجسور، وهي مجازة ثابتة في البحر فانكسرت من السفن ثلاث وسلمت سبع إلى عدن فتسامعت به العرب. فاجتمعت إليه، واجتمعت الحبشة إلى ملكهم مسروق أبرهة فزحف بهم إليهم. فتأهب سيف للقتال وقال للأسوار وهو وهرز: ما الرأي عندك ؟ فقال: الرأي أن نقاتل أو نهلك صبراً. فإن السفائن قد انكسرت ونحن بحيث لا نتوقع من الملك إمداداً. فعمد إلى عصابة حمراء فشد بها حاجبيه: وتنكب قوسه، وعبر أصحابه، وقال لوهزر: كن أنت وأصحابك حجزة ودعنا والقوم. قال ثم إن سيفاً خالطهم فاقتتلوا ملياً. ثم قال وهرز، وكان ضعيف البصر: على أي الدواب يقاتل ملكهم ؟ قالوا له على الفيل. فقاتلهم ساعة ثم سأل عنه فقالوا: قد تحول إلى الفرس فقاتلهم ساعة ثم سأل عنه فقالوا: قد تحول إلى البغل. فقال: البغل ولد الحمار، والحمار ذليل ذل وذل ملكه ورب الكعبة. ثم أسمتوا له سمته. فلما استقر بصره عليه ـ وقد ربط حاجبيه بحريرة أخذ قوسه، وكان لا يوترها غيره — ثم نزع فيها وكان على مسروق تاج، وبين عينيه ياقوته حمراء فرماه ففلق الياقوتة وتغلغل السهم في رأسه فخر لوجهه، وانهزمت الحبشة فجعل الرجل منهم يأخذ

ثُـمَّ ابـنُ هِـنْـدٍ بـاشَـرَتْ نِـيـرَانُـهُ يَـوْمَ أُوَارَاتٍ تَـمِيماً بِالصَّلا[1]

البقلة أو العود فيضعه في فيه يستأمن به، ويدخل منهم النفر الحائط أو الدور فتقتلهم النساء والصبيان. حتى أتى على آخرهم وكان كسرى عهد إلى وهرز. فقال له: إذا سرت إلى اليمن فظفرت بالقوم فاجمع أهلها وسلهم عن سيف. فإن كان من ملوكها كما زعم فتوّجه بهذا التاج، وقد كان أعطاه تاجاً وقفازين، وملكه على قومه. واجب أنت المال، وإن كان كاذباً فاقتله واكتب إليَّ لأكتب إليك برأي. فلما تمكن من البلاد جمع أبناء الملوك فقال: كيف سيف؟ فقالوا ملكنا وابن أملاكنا أدرك بثأرنا، فتوّجه وملّكه، وكتب إلى كسرى بذلك فأقره باليمن ومنهم الذين يعرفون بالأبناء بصنعاء إلى اليوم.

﴿المعنى﴾ أن سيف بن ذي يزن ملك اليمن لما كانت نفسه كبيرة وهمته عالية، لم يرض أن تحتل الأحباش وطنه وتتغلب على بلاده وهو من أبناء ملوكها فحرم على نفسه المقام بوطن ذليل، واتخذ جميع الأسباب الممكنة وغير الممكنة في إخراج المحتلين لوطنه على غير هدى، ولم تهدأ ثائرته حتى رماهم بجيش سفاك، أهلك عاهلهم، وشتت جمعهم، واستأصل شأفتهم، ثم جلس على سرير ملكه في محراب غمدان من صنعاء المزدان بالصور المرمرية الفخمة، والأشكال البديعة، متّوجاً بتاج العز والفخار، ممتعاً بعظيم الإجلال وآيات الإكبار:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

يقصد: ألا بدع في أن أركب الصعاب، وأتخذ الحراب، لأنال ما أتمنى كما فعل ذوو الهمم العلياء قبلي.

(1) قوله باشرت: أي خالطت. يوم أوارات: يوم معروف من أيام العرب وأوارات: اسم موضع وقوله: تميماً: يعني قبيلة، والنسبة إليها تميمي.

الصـلا: وهج النار، وهو مقصـور إذا فتحت، وإذا كسرت الصلا مددته فقلت الصـلاء. ابن هند: هو عمرو وعم النعمان بـن المنذر، وهو الذي يلقب بمضرط الحجارة وهو الذي قتل طرفة بن العبد.

«قصـة عمرو بن هند مع بني تميم»: وكان عمرو بن هند شديد البأس وكان عـم النعمان بن المنذر وكان له أخ مسترضـع في بني تميم فخرج يوماً فمر يتصـيد بإبل لرجل من بنـي تميم فرأى فيها ناقة حسـنة فرماها فعقرها فجاء صاحبها فلما رآها معقورة وثب عليه فقتله فنذر عمرو بن هند أن يقتل من بني تميم مئة بدلاً منه، فغزاهم يوم أوارات فسـبى ما أصـاب في بلادهم، وأقبل يقتلهم علـى الثنية، وآلى ليقتلنهم حتى يبلغ الـدم إلى الأرض وليحرقنهم فقيل له أيها الملك لترفعن أو قد أفنيتهم فقال: والله لا تركتهم أو تأتوني بمئة رجل من خيارهم فطلبوا فلم يوجد منهم إلا تسـعة وتسعون رجلاً. فلما جيء بهم أمر بحفر زبية فاحتفرت له ثم قال أضـرموا ناراً وألقوا فيها الحطـب فأججت نار عظيمة فقال ألقـوا فيهـا رجلاً جـلاً وبقي واحد من نـذره فبينما هـم كذلك إذ هم برجل راكب قد طلع عليهم، وكان من البراجم، فأبصـر الدخان ووجد قتار لحومهم على بعد فظن أنه طعام يصنع للناس. فأقبل نحوهم فلما بلـغ ورأى ما رأى جـزع. فقال عمرو: انظروا من الرجـل فأخذ فأتي به إليـه فقـال من أنـت؟ فقال رجل مـن البراجم فقال عمرو: إن الشـقي وافد البراجم. ثم قال ألقوه في النار ليتم نذري، فألقي فيها فتم نذره، والبراجمة من بني تميم.

﴿المعنى﴾ إن لي في عمرو بن هند عم النعمان بن المنذر ملك العرب لأكبر أسـوة، فقد عمل على الوفاء بنذره، حين الأخذ بثأره مالم يعمله شـجاع قبلـه، فحرق من بني تميم خيارهم، وأسـال من نفر العشـيرة دماءهم.

ما اعْتَنَّ لي يَأسٌ يُناجِي همَّتي إلاّ تَحَدّاهُ رَجاءٌ فَاكتَمَى[1]
أَلِيَّةً بِاليَعمُلاتِ يَرتَمي بها النَّجاءُ بَيْنَ أَجوازِ الفَلاَ[2]
خُوصٍ كأَشْباحِ الحنايا ضُمَّر يَرْعُفْنَ بالأَمْشَاجِ مِنْ جَذْبِ الْبُرا[3]

أخذاً بثأر أخ له في الرضاع، وكانوا لسوء طالعهم قد اعتدوا عليه. وإني معه على حد قول القائل:

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر

(1) ما اعتن: أي ما اعترض. وتحداه: اعتمده وقصده. فاكتمى: استتر وتغطى، ومن ذلك سمي الشجاع كمياً لاستتاره بسلاحه، وقيل بل سمي كمياً لأنه يكمى شجاعته أي يسترها فلا يظهرها إلا عند الحاجة إليها.

(2) قوله: أليه باليعملات: أي قسماً باليعملات، والنصب على المصدر كأنه قال أولى أليه باليعملات، أو آليت أليه باليعملات، واليعملات: جمع يعملة وهي الناقة الصلبة الشديدة، ويقال للمذكر يعمل. النجاء: السرعة. والأجواز: جمع جوز، وجوز كل شيء وسطه، الفلا: جمع فلاة، وهي الصحراء وكتابتها بالألف لأنك تقول في الجمع فلوات.

﴿المعنى﴾ لم يعرض لي يأس من بلوغ أملي إلا عارضه ودافعه رجاء أقوى منه جانباً يمحوه من الوجود الظاهري ويستره عن العيان. وأقسم بالإبل القوية العاملة التي يرتمى أي يتتابع بها النجاء أي سرعة العمل في حمل الأثقال وما إليها من قطع المسافة للرجل بين أوساط الصحارى سهلة أو وعرة.

(3) الخوص، الإبل الغائرة العيون من الهزال، وقيل الخوص: الضيقة العيون، لأن الخوص: ضيق العيون، والفعل منه خوص يخوص خوصاً والذكر أخوص، والأنثى خوصاء. الأشباح: الأشخاص واحدها شبح. الحنايا: القسى واحدها حنية. شبه الإبل بها لضمرها. وضمر: جمع ضامر وهو

يَرْسُبْنَ في بَحْرِ الدُّجَى وبالضُّحىَ يَطْفونَ في الآلِ إذا الآلُ طَفاَ[1]

المهزول وهو اللاحق البطن أي الضامر البطن كما قال حميد الأرقط:

◙ لاحق بطن بقرى سمين ◙

أي ضامر. يرعفن: أي يسلن، وهو مأخوذ من الرعاف وهو سيلان الدم من الأنف. الأمشاج: الأخلاط واحدها مشج، وهو ما يسيل من أنوف هذه النوق التي نعتها بخوص من المختلط المتغير بالدم وقوله. من جذب: أي من سوق وفيه لغتان جذب وجبذ على التقديم والتأخير ويقال جبذ وجذب إذا ساق، وفلان شديد الجذب والجبذ أي السوق. البرا: جمع برة، وهي الحلقة التي تكون في أنف البعير من صفر أو حديد أو فضة. فإن كانت من شعر أو صوف فهي خزامة، وإن كانت من عود فهي خشاش فإن كانت من بقية حبل فهي عران.

(1) يرسبن: يغبن، الرسوب: الغوص في الماء والمغيب فيه إلى أن يبلغ قعره. بحر الدجى ـ هنا مثل ـ الدجى: الظلمة وهو جمع واحدها دجية، وإنما يريد أن هذه النوق تغيب في ظلمة الليل وتظهر في خلال النهار. الضحى: بضم الضاد مقصور هو طلوع الشمس واستشراقها، وأما الضحاء بفتح الضاد والمد فهو فوق ذلك وهو القائلة. يطفون: أي يعلون، والطافي فوق الماء: المرتفع كما قال الشاعر:

فما سبق القيسى من سوء سيرة ولكن طفت علماء غرلة خالد

الآل: ما رفعته الشمس غدوة، والسراب: إنما يكون في انتصاف النهار كأنه ماء وليس بماء قال الله عز وجل: (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً) وطفا: ارتفع يقال طفا يطفو فهو طاف.

﴿المعنى﴾ أقسم بالإبل العاملة المذكورة في البيت قبله، الضيقة العيون

أَخْفافُهُنَّ مِنْ حَفاً وَمِنْ وَجَى مَرْثُومَةٌ تَخْضُبُ مُبْيضَّ الحَصَا[1]
يَحمِلْنَ كُلَّ شاحِبٍ مُحقَوْقِفٍ مِنْ طُولِ تَدْآبِ الغُدُوِّ وَالسُّرَى[2]

حديدة الإبصار بها، الضامرات الجسم كالقسى الصلبة والبطن أيضاً لتكون خفيفة في علفها وسيرها، يسيل من أنفها مخاط ممزوج بدم من جذب السائقين من أنوفها المخزومة بالحلقات، اللاتي تغيب في ظلمة الليل في مسراها بالعنق الفسيح، وتظهر أثناء النهار في وقت تظهر فيه الشمس في مكان قطعت وراءه أمكنة نائية، فتكون كغواص تعمق في قاع البحر وغاب عن الأعين ثم طفا على وجه الماء وظهر للناظرين.

(1) الأخفاف: للإبل بمنزلة الحوافر للخيل. الجفا: مقصور رقة أخفاف الإبل وحافر الدابة من كثرة المشي. الوجى: بالجيم وفتح الواو مقصور وجع في الرجل يصيب الرجل من الحفاء يقال من ذلك وجى الرجل يوجى وجى فهو وج. مرثومة، مشقوفة من الحجارة وقيل مكسورة، وتخضب: تصبغ. الحصا: جمع حصاة مثل قطا وقطاة.

(2) الشاحب: المتغير اللون من السفر أو التعب أو سوء الحال. المحقوقف: المعوج الذي قد حني ظهره يقال احقوقف يحقوقف احقيقافاً إذا انحنى. التدآب: المداومة والعادة يقال دأب يدأب دأباً ودؤوباً وتدآباً. السرى: سير الليل.

﴿المعنى﴾ أخفاف الإبل المقسم بها مشقوقة من شدة ما عرض لها من تتابع السير الذي لكثرته وطول مسافته أحفاها وأوجى أرجلها، فتشققت أخفافها وسال منها أثناء سيرها دم منها يخضب مبيض الحصى، وهن يحملن الرحل الدائبين المسير، الشاجبين الألوان الممتقعين الوجوه، لتعبهم الملازم لسفرهم الدائم، المنحنية أظهرهم لتعودهم على الانحناء أثناء سيرهم على أظهرها ليل نهار وهزهن للراكبين عليها

بَـرٌّ بَـرَى طُـولُ الطَـوَى جُثمانَهُ فَهوَ كَقَدْحِ النَبْعِ مَحنيُّ القَرَا[1]
يَـنْـوي الَّـتـي فَضَّـلَـهَـا رَبُّ العُـلاَ لَمَّـا دَحَـا تُـرْبَـتَـهـا عَـلَـى البُـنَـى[2]
حَـتَّـى إذَا قَـابَـلَـهـا اسـتَـعـبَـرَلاَ يَملكُ دَمْعَ العَيْنِ مِنْ حَيْثُ جَرَى[3]
ثُـمَّـتَ طَـافَ وَانـثَـنَـى مُسْتَلِـماً ثُـمَّـتَ جَـاءَ المَـروَتَـيـنِ فَسَعَى[4]

مما يجعل التصوب أكثر من التصعد، والغدو: أول النهار والمقصود هنا السير عليها نهارا بقرينة السرى وهو السير ليلاً.

(1) قولـه بـر: أي مطيع يقال رجل بر: أي مطيع لله عـز وجل، والجمع أبرار، وهـو نعت للشـاحب فلذلك خفض. برى: هزل وذهب لحمـه، ومنه برى القلم أي إضـعافه وترقيقه وتحديد طرفـه. الطوى الخمص: وهو الجوع يقال طوى يطوى طوى قال عنترة:

ولقد أبيت على الطوى وأظله حتـى أنـال بـه كـريـم المـأكل

جثمانه: جسـمه. القدح: عود صلب تعمل منه السهام. النبع: شجر تعمل منه القسي واحدها نبعة. المحني: المعوج. القرا: الظهر.

(2) ينوي: يقصـد، مأخوذ من النية، والنية القصـد. وقوله التي فضـلها رب العلا: يعني مكة. دحا: بسط، البنى: جمع بنية وهو الشيء المبني.

(3) اسـتعبر: بكى، وهو مأخـوذ من العبرة وهي الدمعة وقولـه: قابلها: يعني الكعبة فالهاء في قابلها راجعة على الكعبة وهي بيت الله. انثنى: رجع بعد طوافه إلى الاسـتلام، والاستلام: تقبيل الحجر الأسود. ثمت: بمعنى ثم إلا أنهم يزيدون التاء فيها كما يزيدونها بمعنى التأنيث في قولهم: قامت وكذلك يفعلون في رب فيقولون ربت.

(4) قوله طاف: يعني بالبيت. انثنى: انعطف. قوله: مستلماً، أي ماسّاً الحجر الأسـود بيـده أو بفمه وهو مأخوذ من السـلمة وهو الحجـر ووزنه مفتعل وجمع السـلمة سـلام. قوله: ثمت جاء المروتين: يريد بالمروتين الصفا

وَأَوْجَبَ الحَجَّ وثَنَّى عُمْرَةً مِنْ بَعْدِ مَا عَجَّ وَلَبَّى وَدَعَا[1]

والمروة وهما موضعان من مناسك الحج، والمناسك: المواضع التي يتقرب فيها إلى الله بصالح العمل، وأصل الصفا: الحجارة الصلبة، والمروة الحجارة المتينة، وواحدة المرو مروة، وغلب المروة على الصفا فقال المروتين لأنها أشهر من الصفا، سماهما باسم واحد كما تقول العرب القمران يعنون الشمس والقمر. وقوله فسعى: أي مشى والسعي المشي، ويكون سعى أيضاً بمعنى عمل قال الله عز وجل ذكره: (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن).

﴿المعنى﴾ أن هذا البر قاصد مكة برحيله على الإبل المقسم بها آنفاً إذا وصل مكة المشرفة لم يملك دمعه حتى يسيل لمزيد شوقه إلى ما فيها من شعائر الله، ثم طاف بالبيت ملبياً تائباً مستغفراً، ورجع مستلماً الحجر الأسود بيده يقبله بفمه، ثم بعد مطافه سبعاً سعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط مقتدياً بالحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم.

(1) قوله وأوجب الحج: أي ألزمه نفسه: الحج: القصد وفي تسميته حجاً ثلاثة أقوال قيل هو من حججت فلاناً إذا قصدته، فسمي حج البيت حجاً لقصد الناس إليه، وقيل الحج الزيادة فسمي الحج حجاً لعودتهم إلى البيت في كل عام مرة بعد مرة قال الشاعر:

أشهد من عوف حلولاً كثيرة يحجون بيت الزبرقان المزعفرا

وقوله وثنى عمرة: أي ألزم نفسه مع الحج عمرة فجاءت بعد الحج ثانية والعمرة: في كلام العرب الزيادة، والمعتمر في غير هذا الموضع المعتر. قال الشاعر:

يهل بالفرقد ركبانها كما يهل الراكب المعتمر

وقوله: من بعد ما عج: أي رفع صوته بالدعاء. التلبية. قولهم لبيك اللهم

ثُمَّـتَ رَاحَ فـي المُـلَبيِّـنَ إلـى حَيْثُ تَحَجّى المَأْزِمانِ وَمِنى[1]

لبيك لا شـريك لـك لبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك لا شـريك لك، وأصله عند الخليل وسيبويه من ألببت بالمكان إذا أقمت به، ولببت أيضاً لغة، قال الخليل وسـيبويه: ثم قلبوا الباء الثانية ياء اسـتثقالاً. كما قالوا تظنيت من الظن. والأصـل تظننـت، وكذلك قالوا لبيت، والأصـل لببت فـكان معنى قولهم لبيك أنا مقيم على طاعتك، قد أجبتك إلى ما دعوت ثـم ثنوه للتوكيد فقالوا لبيك أي أقمنا على طاعتك إقامة بعد إقامة. لأنه كان قبـل أن يثنـى لب فجـاؤوا بالياء للتثنية، ولم يسـتعمل مفرداً، وروي عـن الخليل قول آخـر وهو أنه مأخوذ من قولهم أم لبـة: أي عاطفة على ولدهـا فيكون معنـى لبيك على هذا القول: إقبالاً عليـك يا رب وانعطافاً إلى المكان الذي دعوت إليه فأجبنا مسرعين، ويممنا مهطعين. قوله في الملبين: الملبون جمع ملب، والملبي هو المجيب بالتلبية.

(1) قوله راح: خرج بالرواح وهو الخروج بالعشي، والغدو أول النهار: قال الله عز وجل (غدوها شـهر ورواحها شـهر). المأزمان جبلان بين المزدلفة ومنـى. منى: هو محل رمي الجمار بمكة. تحجـى: أي أقام. يقال تحجى بالمكان، وحجى: إذا أقام فيه ولبث.

﴿المعنـى﴾ وألزم نفسـه بالحج وقام بـأداء هذا الواجـب المقدس على كل مسـتطيع ثـم أردفه بالعمـرة كذلك بعـد أن رفع عقيرتـه بالدعاء حين طوافـه، ولبـى بدعاء التلبيـة إجابة لداعي ربه وأسـوة بما فعله رسـوله المطهـر، ثم ذهـب مع الملبيـن إلى رمـي الجمار بمزدلفـة وبات بمنى لتمام هذه الشعيرة التي لها مغزاها الروحي، حيث القصد برمي الهدف المخصـوص بالجمار السـبع، الـواردة: إنمـا هو قذف كل مـا يجر إلى الفسـاد، وسـوء المغبة، من أخلاق مرذولة، وعادات منكرة، في شخص

ثُمَّ أَتَى التَعْرِيفَ يَقرُو مُخبْتاً مَواقِفاً بَيْنَ أُلآلِ فَالنَّقا[1]
وَاستَأنَفَ السَبعَ وَسَبعاً بَعدَها وَالسَّعْيَ ما بَينَ العِقابِ وَالصُّوَى[2]

إبليس أس الوساوس السيئة. والخواطر العقيمة، وليس الهدف إبليس ولا محل حلوله فيه، وإنما هو شاخص لابد منه للقاذف حيث يرمي إلى غرض يتذكر به من أخذ على نفسه العهد بالغواية فيما حكى الله تعالى عنه بعد طرده من رحمة ربه قال: (لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين).

(1) التعريف وعرفات واحد، وهو اسم موضع من مناسك الحج. يقرو: يتبع المواضع ويدخل من موضع إلى موضع، المخبت: المتواضع المخلص لله تعالى. قال الله عز وجل (وبشر المخبتين). ألآل: موضع بعرفات يقوم فيه الإمام بالناس يوم عرفة. النقا: الرمل وهو مقصور يكتب بالألف على قول من قال في تثنيته نقوان، ويكتب بالياء على قول من قال نقيان. وأما النقاء ممدوداً فمصدر الشيء النقي.

(2) قوله استأنف: أي ابتدأ. السبع: يعني رمي الجمار السبع. وسبعاً بعدها: أراد السبع الثانية التي تلي الأولى وقوله السعي: يعني المشي. العقاب: جمع عقبة. الصوى: الكدى، وهي جمع صوة، وقيل الصوى: الحجارة التي تنصب على الطريق ليهتدى بها.

﴿المعنى﴾ ثم بعد عقده النية على مناسك الحج والعمرة جاء عرفة ليقف بهذا الموضع المقدس والركن الأساسي في الاعتداد بالحج، وهو يقرو أي يتتبع أماكن المناسك العظام، والمشاعر الحرام، مخبتاً طائعاً مخلصاً لمولاه العظيم واقفاً بين الموضعين المعروف أحدهما بألآل وهو بعرفة، وثانيهما بالنقا، وهو موضع رملي قريب من ألآل. ثم ابتدأ رمي الجمار السبع بمنى في اليوم الأول من عيد الأضحى المبارك، وأتبعها بسبع

وَرَاحَ لِلتَّوْدِيعِ فِيمَنْ رَاحَ قَدْ أَحْرَزَ أَجْراً وَقَلَى هُجْرَ اللَّغَا[1]
بِذَاكَ أَمْ بِالخَيْلِ تَعْدو المَرْطى نَاشِزَةً أَكْتَادَهَا قُبَّ الكُلَى[2]

أخرى، وتعرف بجمرة العقبة، ساعياً بين العقاب جمع عقبة، والصوى، وهي العلامات الموضوعة لتعريف الحجاج مواطن العقاب المطلوب رمي الجمار إليها، أو هي الأرض الصلبة الغليظة قال في المنجد: الكديه: الأرض الصلبة الغليظة – الصفاة العظيمة الشديدة جمعها كدى أهـ.

(1) قوله: وراح للتوديع: أي لتوديع البيت الحرام، وكذلك يفعل الحاج بعد الفراغ من رمي الجمار والذبح والحلق يذهب إلى البيت مودعاً فيطوف به سبعاً، ويسعى بين الصفا والمروة سبعاً، ويرجع إلى منى فيقيم بها ثلاثة أيام، ومنهم من يتعجل في يومين ثم يتفرقون كما قال الشاعر:

ولله عينا من رأى من تفرق أشت وأنأى من فراق المحصب
فريقان منهم جازع بطن نخلة وآخر منهم قاطع نجد كبكب

قوله: أحرز أجراً: أي ملكه وأصابه. قلى: بغض، ومنه قوله جل وعلا: (ما ودعك ربك وما قلى) وتصريفه قلى يقلي قلاء. الهجر: بضم الهاء القبيح من الكلام، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجراً» يقال منه هجر الرجل يهجر هجراً، إذا تكلم بكلام قبيح، والاسم منه الهجر، وأما الهجر بفتح الهاء فهو الهذيان في القول. كما يفعل صاحب الموم والبرسام، والهجر أيضاً بفتح الهاء القطع والصريمة. تقول هجرت فلاناً إذا قطعته أهجره هجراً فيهما جميعاً. اللغا: هو الباطل من الكلام، وفيه لغتان لغو ولغا. قال الله عز وجل: (والذين هم عن اللغو معرضون).

(2) قوله: بذاك أم بالخيل: هذه الباء متعلقة بقسم محذوف تقديره أقسم بذاك أم بالخيل. تعدو: بالعين غير المعجمة أي تجري. يقال عدا يعدو

عـدواً إذا جـرى. المرطى: ضـرب من العدو وهو السـهل منه. ناشـزة: بالـزاي المعجمـة أي مرتفعـة، ومنه قولهم قعدت على نشـز من الأرض أي مرتفـع، ومنه قوله جل ذكره: (وإذا قيل لكم انشـزوا فانشـزوا). أي ارتفعوا. أكتادها جمع كتد، وهو العظم الذي يكون في رأس الكتف، وقيل الكتد ما بين الكاهل ووسـط الظهر. قب الكلى: أي ضامرة الكلى، وقب: جمع أقب.

﴿المعنـى﴾ ثم ذهب بعد رميه الجمار بمنى مع الراجعين إلى البيت الحرام ليطوف به سـبعاً طـواف الوداع وسـعى كذلك بين الصـفا والمروة وقد أحـرز أي ملك من الله أجراً عظيماً متى هجر فحش القول ولغو الكلام، ثم انتقل إلى كلام جديد فقال: أأقسـم بذلـك وهو ما تقدم له ذكره من الإبل التـي تحمل حجاج بيت الله الحرام المخلصـين الطائعين لربهم، أم أقسـم بالخيـل التي تعـدو أي تجري جرياً مشـجعاً يسـمى بالمرطى حال كونها ناشـزة أي رافعة مقـدم أكتافها أمارة الاجتهاد في العدو، مع نشـاط الأجسـام، ومهارة الركاب في تنشـيط خيولهم، أو المعنى رافعة عظام ظهرها المقابل لصـدورها أمارة اسـتجماعها لأعصابها القوية، واسـتفزازها لقطع المسـافة بلا فتور أو تلكؤ، وحال كونها ضامرة الكلى كنايـة عن ضـمور بطونهـا مما يسـاعد على سـرعة العدو وبعـد التعب والصبر على استمرار المسير ـ وقوله في الشرح كما يفعل صاحب الموم والبرسـام أي كالهذيان الحاصل من المصاب بهذا الداء الباطني الذي يؤثـر في القـوى العقلية بعض التأثير فيهرف لسـان المصـاب به بما لا يعرف، والموم والبرسـام مترادفان، وهـو التهاب في الحاجز بين الكبد والقلـب قـال في المنجـد: برسـمه: أحدث فيه البرسـام، وهـو التهاب فـي الحجاب الذي بيـن الكبد والقلب، وبرسـم بالبناء للمفعول أصـيب

شُعْثاً تَعادَى كَسَراحِينِ الْغَضَا مَيْلَ الحَمَالِيقِ يُبارِينَ الشَّبَا[1]
يَحْمِلْنَ كُلّ شَمَّرِيٍّ باسِلٍ شَهْمِ الجَنَانِ خَائِضٍ غَمْرَ الوَغَى[2]

بالبرسام فهو مبرسم ميم موماً الرجل أصابه الموم وهو البرسام، أو أشد الجدري الذي يجعل الجسم كله قرحة واحدة فهو مموم. أهـ.

(1) شعثاً: مقربين من الله عز وجل، وقيل الشعث الثائرة الأعراف أي المرتفعة شعر الأعراف. الأعراف: جمع عرف. وتعادى: تسابق أراد تتعادى. سراحين: ذئاب، الواحد سرحان. الغضا: شجر يدوم جمرة. ميل الحماليق: أي مائلة العيون. يبارين: يعارضن. الشبا: مقصور جمع شباة، وشباة كل شيء حده، يريد بها هنا أطراف الرماح.

(2) قوله: يحملن: يريد الخيل. الشمرى والشمر: الماضي في الأمور، وهو مأخوذ من التشمر، يريد كل مشمر لملاقاة أقرانه مشتد لذلك. الباسل: الشجاع مشتق من البسل وهو الحرام، فكأن الباسل حرم على أقرانه الدنو منه لشجاعته وشدته، وقيل الباسل المر، وقد بسل الرجل يبسل بسالة إذا صار مراً. شهم الجنان أي حاد القلب. الجنان: بفتح الجيم القلب وقوله: خائض: أي داخل والغمر الماء الكثير الذي يغطي من دخله، الوغى: صبحة الناس في الحرب إلا أنهم سموا الحرب وغى باسم الصياح الذي يكون فيه.

﴿المعنى﴾: أقسم بالخيل المذكورة حال كونها شعثاً أي رافعة شعور أعرافها الكائنة على أعناقها، أمارة شدة التحفز والقوة، حال كونها تتعادى أي تتسابق في عدوها كذئاب الغضا، وكنى به عن الصحراء حيث لا ينبت إلا فيها، وذئاب الغضا قوية لجفاف منبته وصلابة أحجارها، والجسم إذا لم تمسسه الرطوبة صلب كالحديد. وحال كونها ميل الحماليق أي مائلة العيون، كناية عن شدة التطلع إلى قطع الأمام وبعد النظر وشدة

يَغْشَى صَلاَ الحَرْبِ بِحَدَّيْهِ إِذَا كَانَ لَظَى الحَرْبِ كَرِيَهَ المُصْطَلَى[1]

لَو مُثِّلَ الحَتْفُ لَهُ قِرْناً لَمَا صَدَّتهُ عَنْهُ هَيْبَةٌ وَلاْ انْثَنَى[2]

وَلَوْ حَمَى الْمقْدَارُ عَنْهُ مُهْجَةً لَرَامَهَا أَوْ يَسْتَبِيحَ مَا حَمَى[3]

الاحتراس، يبارين الشبا، أي يسابقن أطراف الرماح في الحدة وقوة النفوذ، يحملن كل شمري أي ماضي العزيمة، باسل شجاع، ثابت القلب، قويه، يخوض غمار الحرب، غير هياب ولا وجل.

(1) يغشى: يدخل. الصلا: مفتوح مقصور حر النار فإذا كسر أوله مد فقيل صلاء. لظاها: أيضاً حرها.

(2) قوله: لو مثل الحتف. مثل: صور. الحتف الهلاك. القرن: الذي يقارنك في بطش أو قتال أو علم. صدته: منعته، ومنه قوله تعالى: (وصدوكم عن المسجد الحرام). وقوله هيبة: أي مخافة، والهيبة أن يعظم الإنسان في عينك وتهابه أي تخافه. انثنى: رجع، والانثناء الرجوع عن الشيء والانصراف عنه.

﴿المعنى﴾ يدخل هذا الفارس في نار الحرب مناضلاً بحد سيفه ونصل حرابه حتى إذا كان حر الحرب لا يطاق لأ كثر المناضلين، وحتى لو مثل وصور الموت خصماً له وندا لما فر منه ولا توانى عن منازلته ومقارعته على حد قول الشاعر:

لبث أخا الهيجا إذا الهيجا حمل لا بأس بالموت إذا الموت نزل

(3) حمى: يحمي حماية يمنع. المقدار: هو القدر يعني قدر الله عز وجل. المهجة: النفس وجمعها مهج. رامها: طلبها وأدركها. يستبيح: يدرك ذلك الشيء نافذاً أمره فيه، ونصب يستبيح بأو لأن أو هنا بمعنى حتى، وأو إذا كانت بمعنى حتى أو بمعنى إلا أن كان الفعل بعدها منصوباً. فأما كونها بمعنى حتى فمثل هذا الذي ذكرنا، وأما كونها بمعنى إلا أن فمثل

تَغْدُو الْمَنَايَا طَائِعَاتٍ أَمْرَهُ تَرْضَى الَّذِي يَرْضَى وَتَأْبَى مَا أَبَى[1]
بَل قَسْماً بِالشُّمِّ مِنْ يَعْرُبَ هَلْ لِمُقْسِمٍ مِنْ بَعْدِ هَذَا مُنْتَهَى[2]
هُمُ الأُلَى إِنْ فَخَرُوا قَالَ الْعُلاَ بِفِي امْرِئٍ فَاخَرَكُمْ عَفْرُ الْبَرَى[3]

قولك لأضربنك أو تقرأ أي إلا أن تقرأ، ومنه قول أمرىء القيس:

فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

وإن وقعت أو في موضع لا يصح فيه إلا أن أو حتى كان الرفع لا غير كقولك أتجلس أو تقوم. أتزورنا أو تقطعنا.

(1) تغدو: تأتي بالغدوة مبكرة إليه، ويروى تعدو بالعين غير المعجمة ومعناه تسرع إلى طاعته وتبادر إلى إرادته. تأبى: تكره ولا تريد وتصريفه أبى يأبى إباء وإباية فهو آب.

﴿المعنى﴾ لو حمى القدر من هذا الفارس نفساً لطلب إدراك وطره فيها حتى يستبيح ما حماه القدر منه، وهو في هذا المعنى مجترئ جرأة أهل العصر من الكتاب غير المحافظين بيد أن المعنى المقصود على الكناية أن هذا الفارس لقوة بأسه ورباطة جأشه لا يرضى أن يغالب، ولا أن يقف عند حد، يؤيد ذلك قوله بعده: تغدو المنايا طائعات أمره إلخ يعني أن أرواح المناضلين تصبح في حومة الوغى في قبضة يده إن شاء سرحها، وإن شاء قضى عليها، فيمتنع الموت عمن أراد حياته وينزل بمن أراد النزول به.

(2) قوله: بل قسماً: أي يميناً. الشم: الطوال وقيل أشراف الناس. يعرب قبيلة من العرب تنسب إلى يعرب بن يشجب بن قحطان. المقسم: الحالف. منتهى: غاية.

(3) قوله: هم الألى: بمعنى هؤلاء. العلا: الفخر والرفعة. بفي امرئ: أي بفمه. عفر الأرض: وجهها. البرى: مقصور التراب يقال ما على عفر

هُمُ الأُلَى أَجْرُوا يَنَابِيعَ النَّدَى هَامِيَةً لِمَنْ عَرَى أَو اعْتَفَى[1]
هُمُ الَّذِينَ دَوَّخُوا مَنِ انْتَخَى وَقَوَّمُوا مِنْ صَعَرٍ وَمِنْ صَغَا[2]

الأرض مثله أي وجهها.

﴿المعنى﴾ بل أقسم بأشراف الناس المعروفين من سلامة يعرب بن يشجب بن قحطان أصل العرب، وليس لمقسم بأشراف الناس بعد هذا القسم غاية أن ما أبغي الثناء عليهم، وأذكر خصالهم الحميدة، هم الألى أي الذين إن طلبوا الفخر على غيرهم قال الفخر نفسه بلسان الإنسان: لقد فاخركم عفر البرى، أي خير من طهر على وجه العفراء وهي البسيطة والأرض الممهدة للسكنى والانتفاع.

(1) الينابيع: العيون التي تجري بالماء في الأرض. قال الله جل ذكره: (فسلكه ينابيع في الأرض). واحدها ينبوع قال الله جل ذكره: (حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً). الندى: الجود، وهو الكرم هامية: سائلة يقال همى المطر إذا سال. عرا: قصد وتعرض للطلب يقال: عراني واعتراني إذا تعرض لسؤالي. المعتر: المعترض ومنه قول الله جل ذكره: (وأطعموا القانع والمعتر) والقانع: هو السائل والمعتر: المعترض، وقوله: أو اعتفى: أي طلب من غير تعرض، والمعتفى الطالب للقرا والرفد وجمعه معتفون، ويقال فيه أيضاً عاف وعفاة.

(2) قوله: الذين دوخوا من انتخى: أي أذلوا، يقال: دوخت فلاناً إذا أذللته، وداخ هو في نفسه إذا ذل. وانتخى: وهو افتعل من النخوة. الصعر: أيضاً التكبر، وأصل الصعر الميل، وهو أن يميل الإنسان خده من التكبر قال الله جل ذكره: (ولا تصعر خدك للناس). أي لا تتكبر وقرئ ولا تصعر، تقول رجل أصعر وامرأة صعراء. الصغا: الميل قال الله جل ذكره: (ولتصغي إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي ولتميل.

هُمُ الَّذينَ جَرَّعُوا مَنْ مَا حَلُوا أَفَاوِقَ الضَّيْم مُمَرَّات الْحَسَا[1]
أَزَالُ حَشْوَ نِثْرَةٍ مَوضُونَةٍ حَتَّى أُوَارَى بَيْنَ أَثْنَاءِ الجُثَى[2]

﴿المعنى﴾ أن الممدوحين هم الذين جعلوا ينابيع الكرم تفيض بالخيرات وأنواع البر ينهل منها من قصد القرى والضيافة، ومن لم يقصد بل وصل إلى رحابهم عفواً دون تعرض منه لذلك، وهم الذين أذلوا من تكبر على الناس، وشمخ بأنفه، واعتز بقوته وسلطانه فجار وظلم، وحملوا كل جبار يصعر خده ويعوج في مشيته على الاعتدال، حيث يرى نفسه بجوار ما هم عليه من العزة وكرم الخلق لا يقام له وزن، ولا يسمو له قدر، إلا إذا اعتدل كما اعتدل الأعز منه جانباً، وأسمى شرفاً، وأكرم موئلاً.

(1) جرعوا: سقوا يقال: جرعت فلاناً الشراب إذا سقيته إياه مقطعاً على مهل طوعاً كان أو كرهاً. ما حلوا: خاصموا وقيل: خادعوا. الأفاوق: شرب مقطع، نفس بعد نفس. الضيم: الذل، الحسا: جمع حسوة، وهو أخذ الشيء بفمك متجرعاً له قليلاً قليلاً.

(2) قوله: أزال: هو جواب القسم في قوله بل قسماً بالشم، وأراد لا أزال والعرب تقول والله أفعل كذا بمعنى لا أفعل مستعمل إسقاطها في الجواب. قال عز وجل: (تفتؤ تذكر يوسف) أي لا تفتؤ وقال امرؤ القيس:

فقلت يمين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

أراد لا أبرح. وقوله حشو نثرة موضونة: أي لابس نثرة، لأن الحشو ما حشي به أي أدخل في جوفه فكأنه صار حشواً إذا لبسها. النثرة الدرع الواسعة. وكذلك النثلة. الموضونة: المحكمة النسيج قال الله عز وجل: (سرر موضونة). أوارى: أغطى، والأثنا جمع ثناء، وهو ما تثنى منها أي تراكب وانعطف على بعض. الجثى: جمع جثوة وهو التراب المجتمع.

﴿المعنى﴾ وهم الذين حملوا من خاصمهم أياً كان شأنه في القوة والمنعة

وَصاحِبيَّ صَارِمٌ فِي مَتْنِهِ مثلُ مَدَبِّ النَّمْلِ يَعلُو فِي الرُّبَى[1]
أَبْيَضَ كَالمِلْحِ إِذَا انْتَضَيْتَهُ لَمْ يَلْقَ شَيْئاً حَدُّهُ إِلاَّ فَرَى[2]

على أن يتجرع شراب الضيم أي الذل صاغراً، يشربه ليس سائغاً، مقطعاً نفساً بعد نفس، كما يشرب المحتسي الحساء قليلاً قليلاً ـ ثم قال في جواب القسم المتقدم: إني لا أزال لابساً درع مديحهم المحكم النسج، أسير إحسانهم، حتى أوارى وأدفن بين طيات الثرى، كناية عن مداومة مديحهم وإطرائهم مدى الحياة.

(1) قوله: وصاحبي: سيفه وفرسه. الصارم: القاطع يعني السيف، وجمعه صوارم في متنه أي في ظهره يعني متن السيف، يريد بذلك وسطه. مدب النمل ودبيبه: مشيه، هو دب يدب مدبة ودباً ودبيباً إذا مشى يريد فرند السيف وهو جوهره الذي تراه كأثر النمل. يعلو: يرتفع، الربى: الكدى وهي جمع ربوة.

(2) انتضيته: جردته من غمده، وقوله: فرى: قطع، والفرى القطع وصريفه فرى فرياً.

﴿المعنى﴾ لا أزال حشو درعهم معتمداً صاحبيّ اللذين هما سيفي الصارم القاطع، وفرسي عظيم التركيب عالي النواحي الموصوف بمشرف الأقطار إلخ. في الأبيات بعد ـ ثم وصف سيفه المذكور بأن في متنه أي ظهره والمقصود وسط جوهره ما يشبه طريق النمل في مشيها إلى الربى جمع ربوة ـ وهي ما ارتفع من الأرض ـ يقصد مجرى دقيقاً مستوياً كمجرى النمل الدقيق المستوي، أو آثاراً دقيقة كآثار مشي النمل تحمل متاعها لتدخره فيما علا من الأرض كناية عن إحكام صنعه وجودة جوهره، ثم هو ذو بريق ولمعان أبيض لهق كالملح الجبلي الصافي البياض إذا انتضيته أي أخرجته من غمده وسلطته على أي

كَـــأَنَّ بَـيْـنَ عَـيْـرِه وَغَـرْبِـه مُفتَـأَداً تَـأَكَّلتْ فيه الجُذى[1]

يُـري المَـنُـونَ حيـنَ تَقفـوُ إثَـرَهُ في ظُلَم الأكباد سُبْلاً لا تُرَى[2]

إذَا هَـوَى فـي جُـثَّـة غَـادَرَهَـا مِنْ بَعْدِما كَانَتْ خَساً وَهيَ زَكَا[3]

وَمُشْرِفُ الأَقْطَارِ خَاطٍ نَحْضُهُ حَابِي الْقَصيرِ جُرْشُعٌ عَرْدُ النَّسَى[4]

شيء قطعه وفراه.

(1) العير: هنا هو الموضع الناتئ في وسط السيف. الغرب: الحد يعني حد السيف الذي يضرب به. المفتأد: موضع النار. تأكلت: أكل بعضها بعضاً، والجذى جمع جذوة وهي الجمرة العظيمة.

(2) والمنون هنا المنية. وتقفو أي تتبع، والسبل: الطرق واحدها سبيل، يريد أن هذا السيف دليل المنية فهو يريها طرق الموت، وهذا من رقيق الشعر. ﴿المعنى﴾ كأن بين الموضع البارز في وسطه وحده موضع نار تتقد جذوتها تأكل ما وصل إليها من وقود، حتى إذا لم تجد ما تتقد فيه أكل بعضها بعضاً على حد قول الشاعر:

والنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

وهو بهذه المثابة دليل المنية يقودها إلى أعناق أو أكباد من تريد القضاء عليه إذا ما خفى عليها السبيل كناية عن أنه لا يفلت منه من أصابه.

(3) هوى في جثة: أي وقع على جثة ففي هنا بمعنى على. الجثة: الجسد وجمعها جثث وغادرها تركها، ومنه قول الله عز وجل: (لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها). الخسا: الفرد. الزكا: الزوج، وإنما يعني به أنه إذا وقع هذا السيف على جسد جعله قطعتين بعد أن كان واحداً.

(4) مشرف الأقطار: يعني فرساً. المشرف: المرتفع العالي. الأقطار: النواحي واحدها قطر، قال الله جل ذكره: (إن استطعتم أن تنفذوا من

قَريبُ مَا بَيْنَ القَطَاةِ وَالمَطَا بَعيدُ مَا بَيْنَ القَذَالِ وَالصَّلا[1]
سَامِي التَّليلِ في دَسيعٍ مُفعَمٍ رَحْبُ اللِّبَانِ فِي أَمِينَاتِ العُجَى[2]

أقطار السموات والأرض) الخاطي: الغليظ. النحض: اللحم. الحابي: بالباء المرتفع. القصير: ضلع في الجنب، وهي الضلع السفلى. الجرشع: الغليظ الأضلاع وهو الشديد من الخيل القصير الأضلاع المتصلة إلى الصلب. وقيل الجرشع الضخم الصدر، وهو محمود في الخيل. العرد: الشديد من كل شيء. النسى: عرق مستبطن الفخذ يمر بالساق والعرقوب حتى ينتهي إلى الرسغ، وهو مقصور يكتب بالياء لأنه يقال في تثنيته نسيان.

﴿المعنى﴾ أن سيفي بلغ من صفاء جوهره وحدة حده أنه إذا ما سلط على الجسم أياً كان نوعه لم يتركه إلا مباناً قطعتين بعد أن كان جسداً واحداً ـ وأما فرسي فصفته أنه مشرف الأقطار أعني مرتفع الجوانب قوي العضدين متين القوائم، غليظ اللحم والأضلاع، واسع الصدر ضخمه، مفتول الذراعين قوي النسى وهو العرق الرابط الفخذ بالقوائم، يكنى بذلك عن تكامل قوته الجسمية، وتماسك مفاصله القوية، حسبما يتطلبه الفارس النادر، والصنديد المغامر.

(1) القطاة: مكان الردف، وقيل بعد الردف. المطا: هو الظهر كله سمي بذلك لأنه يمطى أي يركب. القذال: من رأس الفرس معقد عذاره أي حيث ينعقد عذاره وهو ما بين الأذنين. العذار: اللجام وجمعه عذر. الصلا: العجز وهو آخر الوركين.

(2) السامي: العالي المرتفع. التليل: هو العنق. الدسيع: مفرز العنق في الظهر. الدسيعة بالتاء في غير هذا الموضوع: مائدة الرجل الكريم، ومنه قولهم فلان ضخم الدسيعة، أي كثير طعام المائدة. المفعم:

رُكِّبـنَ فـي حَـوَاشِـبٍ مُكتَـنَّـةٍ إلى نُسُورٍ مِثلَ مَلفُوظِ النَّوَى[1]

الممتلئ، يقال أفعمت الإناء إذا ملأته. الرحب: الواسع، ومنه سميت الرحبة لاتساعها. اللبان: الصدر. الأمينات: القويات الصحاح سالمات الصلاب واحدتها أمينة. العجى: جمع عجاية، وهي عصب مركب فيها فصوص كأمثال فصوص الخاتم تكون عند رسغ الدابة وهي من عظام كأمثال الكعاب إذا جاع أحدهم دفنها بين نهرين فأكلها.

﴿المعنى﴾ أن ردفه ليس غليظاً بحيث يباعد بين ظهره وبين ما يلي ردفه وذلك كناية عن خفة عدوه لعدم ما يثقله في أسفله. وتقول وصاف الدواب: إن الثور القوي ما كان رقيق الردف مسحوبه إلى أسفل ويعرف عند العامة بالأسلت، والعرب تسمي المرأة التي هي كذلك زلاء، قال الشاعر:

والتغلبيون بئس الفحل فحلهم فحلا وأمهم زلاء منطيق

يريد لا عجيزة لها نحيفة هزيلة تتمنطق بما يوهم أن لها ردفاً وليست بذلك، وكبر العجيزة إذا اتصلت بخصر نحيل من محاسن النساء ومناقص ذكور بني الإنسان والبهائم – ثم هذا الفرس مع رقة ردفه وقصره طويل الظهر، وكنى عن هذا ببعد معقد اللجام وهو الرأس عن العجز وهو الردف. والفرس إذا طال ظهره اتسع خطوه، وتتابع عدوه، وقل إذا كرَّ أو فرَّ أن يدرك راكبه. ثم هو سامي التليل أي عالي العنق الموصول بأعلى الصدر الرحب في لحم مكتنز. ركب هذا الصدر الواسع على عصب سليم قوي ارتبط برسغ هذا الجواد القوي سلالة الصافنات الجياد.

(1) قوله: ركبن: يعني العجى ويجوز أن يكون القوائم. الحواشب: جمع حوشب وهو عظم في باطن الحافر، وقيل هو عظم بين الرسغ والحافر. مكتنة: أي مستورة من كننت الشيء إذا سترته، وقيل مكتنة مكتنزة ويروى

يَرْضَخُ بالبيد الحَصى فَإن رَقَى إلَى الرُّبَى أَوْرَى بها نَارَ الْحَبَا[1]
يُدِيرُ إعْليطَيْنِ فِي مَلْمُومَةٍ إلى لَمُوحَيْنِ بِألحاظِ اللَّأى[2]

مكينة أي غليظة. النسور: جمع نسر وهي لحمة ناتئة يابسة في باطن الحافر شبهها. النواة لصلابتها. وملفوظ النوى: ما لفظ منه أي رمى به وطرح، يقال لفظت الشيء إذا رميت به، ولفظه البحر يلفظه إذا طرحه ورمى به إلى الساحل. والنوى: جمع نواة وهي ما في داخل التمرة من العظم الذي فيها.

(1) يرضخ: يكسر والرضخ: الكسر. البيد: جمع بيداء: وهي القفر. رقى: ارتفع. الربى: جمع ربوة، وهي الكدى. أورى: أوقد بها، والمستقبل يوري قال الله عز وجل: (أفرأيتم النار التي تورون) أي توقدون وقال: (فالموريات قدحاً) أي فالموقدات قدحاً. الحبا: دابة تضيء بالليل كأشد ما يكون من النار، واسمها الحباحب فرخم لضرورة الشعر، قال النابغة:

تقد السلوقي المضاعف نسجه وتوقد بالصفاح نار الحباحب

﴿المعنى﴾ أن قوائم الفرس أو العجى في أسفلها بنيت وقامت على عظام صلبة قوية في باطن كل حافر، ومتى قوي الأساس ثبت المبنى عليه، وقد كسيت هذه العظام من الأسفل بلحم يبس وصلب حتى كأنه النوى الملفوظ من التمر بعد أخذ ما أحاط به، ثم قال وقد بلغ من قوته العصبية، وثقل تراكيبه الجسمية، أنه حينما يعدو في البيداء يتكسر الحصى تحت حوافره من شدة وقعها عليه، فإذا حوّل إلى ارتقاء الربى والأمكنة الصخرية العالية أورى بوقع حوافره على الصخر الصلد ناراً تشبه نار الحباحب - بالغ في صلابة حوافره حتى جعلها كالحديد إذا ضرب به الصخر اليابس قدح وتطاير منه الشرر.

(2) الإعليط: وعاء ثمر المرخ شبه أذني الفرس بذلك، وهو شبيه بقشور

مُدَاخَلُ الخَلْقِ رَحِيبٌ شَجْرُهُ مُخْلَولِقُ الصَّهْوَةِ مَمسُودٌ وَأَى[1]
لا صَكَكٌ يشِينُهُ وَلاَ فَجَا وَلاَ دَخِيسٌ وَاهِنٌ وَلا شَطَا[2]

الباقلى الرطب تشبه به آذان الخيل. الملمومة: الهامة المجتمعة المستوية. اللموحين: العينان. الألحاظ: النظرات، وهي جمع لحظة. اللأى: الثور الوحشي والأنثى لآة على وزن لعاة.

(1) مداخل الخلق: مجموع الخلق والرحيب الواسع. الشجر: بالشين المعجمة والجيم والراء مجتمع عظم اللحيين. وقال أبوبكر الزبيدى: الشجر: مخرج الفم: المخلولق. الأملس. الصهوة: من الفرس موضع السرج. الممسود: المفتول. الوأى: الصلب الشديد، وهو أيضاً السريع من الخيل.

﴿المعنى﴾ يدير أذنية الشبيهتين بغلاف ثمر المرخ في رأس مجتمعة الأجزاء مستوية الخلق بهما عينان براقتان واسعتان كعيني ذكر البقر الوحشي، ثم أكد اجتماع أجزاء رأسه بصريح قوله: مداخل الخلق. وربما فهم منه صغر فمه فلا يدل على ضخامة خلقه، فقال لدفع هذا: رحيب شجره، أي واسع فمه، ناعم ظهره أمارة توفر صحته واعتدال مزاجه وكمال ريه وشبعه ثم هو مفتوله وشديده لا يشعر للراكب عليه بثقل مهما زاد وزنه، فكيف بالشجاع المعتدل في الجسم مفتول الأعصاب!

(2) الصكك: احتكاك العرقوبين أحدهما بالآخر، وقيل هو احتكاك الركبتين. يشينه: يعيبه، الفجا: تباعد ما بين العرقوبين كثيراً، وهو الفجج أيضاً، والفجا أيضاً: تشقق العصب وانتشاره لفساده وهو عيب. الدخيس: تراكم اللحم على حافر الفرس، وقيل الدخيس وجع يصيب الفرس في مشاش حافره. الواهن: الضعيف يقال وهن الشيء إذا ضعف، ومنه قول الله عز وجل: (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا).

يَجْرِي فَتَكبُو الرِّيحُ في غاياته حَسْرَى تَلُوذُ بجَرَاثيم السَّحَا[1]
لَو اعْتَسَفْتَ الأَرْضَ فَوْقَ مَتْنِه يَجُوبُها ما خِفْتَ أَنْ يَشْكُو الوَجَى[2]

وقال (وهن العظم مني) أي ضعف. الشطا: عظم لاصق بالذراع، وقيل الشطا: انشقاق العصب.

(1) قوله فتكبو: أي فتعثر لوجهها لسبق الفرس إياها، وإنما هو مثل الغايات: وهي منتهى جريه. حسرى: أي منكشفة، قال الله عز وجل: (خاسئاً وهو حسير). تلوذ: أي تلجأ. الجراثيم: جمع جرثومة وهو التراب الذي يجتمع في أصول الشجر، والجراثيم أيضاً: الأصول واحدها جرثومة. السحا: ضرب من الشجر.

﴿المعنى﴾ أن هذا الجواد لا يعيبه ما يعيب كثيراً من الخيل، ثم فصل ذلك تفصيل خبير بصفات كرائم الجياد وخسيسها، فقال: ليس به إذا تتابع جريه صكك ناشيء من ضعف الأعصاب يجعل أحد العرقوبين يصطك بالآخر فيؤلمه، أو يدميه ويتعب راكبه باضطرابه حينئذ، وليس به عيب الفجا، وهو تباعد العرقوبين عن بعضهما كثيراً لاعوجاج عراه في صغره يشبه تكسيح الطفل، وليس به ضعف الحوافر لوجع أصابها في مشاشها، ولا عيب الشطا وهو تشقق العصب الدال على وهن الجواد، بل هو كفرس النهر المسمى بالكراع تتصل أجزاؤه، ويتزن قوامه وقوائمه دون اختلال، أو مرض يضعفه، حتى إذا جرى تأخر عنه الريح العاصف دون أن يدرك غاية شوطه، متحسراً لائذاً بما تراكم حول الشجر من تراب. فيثيره ويسفيه، ليعمل له حركة غير عادية، أمارة المسبوق المخذول.

(2) قوله: لو اعتسفت الأرض: أي قطعتها باعتساف منك، والاعتساف ضد الرفق وهو المشقة. متنه: ظهره. يجوبها: يقطعها ويخرقها ومنه قول الله عز وجل: (وثمود الذين جابوا الصخر بالواد). الوجى: أن يبلغ

تَظُنُّهُ وَهُوَ يُرَى مُحتَجِباً عَنِ العُيُونِ إنْ دَأى أَوْ إنْ رَدَى[1]
إذا اجْتَهَدْتَ نَظَراً فِي إثْرِهِ قُلتَ سَناً أَوْمَضَ أو بَرْقٌ خَفَا[2]
كَأَنَّمَا الجَوْزاءُ فِي أرساغِهِ وَالنَّجْمُ في جَبهَتِهِ إذَا بَدَا[3]

الوجع إلى باطن الرسغ.

(1) دأى: أي جرى. وكذلك ردى، والدأي والردى: ضرب من العدو، يقال دأى يدأى دأياً، وردى يردى ردياً إذا جرى جرياً سريعاً.

﴿المعنى﴾ لو أنك كنت الراكب عليه حين يعدو، ولم تشفق به، وكلفته فوق طاقة غيره في قطع الأرض كإرادة جبار، لما خفت عليه أن يشكو ضعف ساقيه، ولا أن يكل له عضد، على أنه إن استشاط عدواً فدأى أو ردى انقض في فضاء الوادي كجلمود صخر حطه السيل من عل، تظنه لشدة دأيه ورديه محجباً عن عيون النظارة، مستوراً عمّن كانوا يرونه حين ابتدأ المسير كقطاة الوادي تقف على غصن فما هي إلا لمحة وتغيب.

(2) السنا: مقصوراً الضوء قال الله جل ذكره: (يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار). أومض: أضاء أي لمع لمعاناً خفيفاً يقال في تصريفه: يومض إيماضاً، فالواو فيه أصلية. الخفو: لمع البرق في نواحي الغيم يقال: خفا البرق يخفو خفواً.

(3) الجوزاء: نجم معروف وهو التوأمان. الأرساغ: جمع رسغ وهو مفصل ما بين الحافر والوظيف من كل دابة. النجم هو الثريا، يصف غرة الفرس وتحجيله. بدا: ظهر وهو غير مهموز.

﴿المعنى﴾ إذا أتبعته نظرك وهو يطير كقطاة الصحراء، أو غزال شرده صياده ما خلته إلا ضوءا لمع ثم ذهب، أو برقاً لمع في جوانب غيم ثم غاب. ثم وصف غرته في بياض ناصيته وتحجيله في بياض مقدم قوائمه

هُمَا عتادي الكافيان فقدَ مَنْ أَعْدَدْتُهُ فَليَنْأَ عَنِّي مَنْ نَأى[1]
فَإِنْ سَمِعْتَ برَحىً مَنصُوبَةٍ للْحَرْبِ فَاعْلَمْ أَنَّني قُطْبُ الرَّحَى[2]
وَإِن رَأَيْتَ نَارَ حَرْبٍ تَلْتَظي فَاعلَم بِأَنّي مُسْعِرٌ ذاكَ اللَّظَى[3]

من الأسفل مما يلي الحوافر بقوله: كأنك ترى الثريا لامعة مضيئة في أرساغه، والنجم الزاهر، ذا السنا الباهر، في جبهته إذا بدا لك، وأقبل بوجهه عليك، وهذه الغرة وهذا التحجيل في القوائم الأربعة، أو في اثنين منها على التعاكس مما يتفاءل به مقتنو الخيل في جلب الخير به، والسعادة بركوبه، وربما شهد له حديث: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة».

(1) العتاد: ما يتخذ عدة للدهر، ويكون بحضرة من يتخذ يقال عتد الشيء يعتد فهو عتيد إذا حضر قال الله جل ذكره: (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد). فلينأ: أي فليبعد من نأى إذا بعد.

(2) قوله: برحى منصوبة: يريد برحى الحرب، وهو موضع استدارة أهلها إذا تعاركوا، وقد يراد بالرحى التي يطحن عليها. القطب: الحديدة أو الخشبة التي تدور عليها، وأنشد:

فدرنا كما دارت على قطبها الرحى ودارت على هام الرجال الصفائح

﴿المعنى﴾ سيفي المذكور فيما مضى، وفرسي الموصوف هنا هما عدتي في صولتي، وعتادي أي أداتي في نيل بغيتي، اللذان عوضاني فقد من كنت أعددته لزمني، وادخرته لعاديات دهري، وما دامـا معي وتحت نفوذي فليبعد عني من أراد البعد، فلست مبالياً بنأيه، ولا مهتماً بتجافيه، فإني بهما قوي غني غير محتاج لناصر أو معين، فإذا سمعت بحرب تدور رحاها فاعرف أني عميدها، ومحور دورانها.

(3) تلتظي: تشتعل. مسعر: أي موقد. اللظى: اللهب.

خَيْرُ النُّفوسِ السَّائلاتُ جَهرَةً عَلى ظُبَاتِ المُرْهَفاتِ وَالقَنَا[1]

إنَّ العِرَاقَ لَمْ أُفارِقْ أَهْلَهُ عَن شَنَآنٍ صَدَّني وَلا قِلى[2]

وَلاَ اطَّبَى عَيْنِيَ مُذْ فارَقتُهُمْ شَيْءٌ يَرُوقُ العَيْنَ مِن هَذَا الوَرَى[3]

---

(1) جهرة: عياناً. الظبات: جمع ظبية وهي حد السيف. المرهفات: السيوف الرقاق واحدها مرهف. القنا: الرماح واحدها قناة.

﴿المعنى﴾ إن سمعت أن نار الحرب تطاير شررها، وحمي وطيسها، وسمت ألسنة لهبها الزرقاء فاعلم أنني المشعل لها، المذكي للظاها، وإن خير القبائل السامية في المجد، العالية الهمة، القوية العزيمة من سالت دماؤها الغالية على ظبات السيوف وسنان الرماح، إبان الكفاح، دون الرضا بخنوع مذل، أو عيش مقل، والظبات بضم الظاء جمع ظبية كظبي. قال في المنجد: الظبة: حد السيف أو السنان ونحوهما جمع ظبات وظبى وظُبون وظِبون وأظب.

والبيت الثاني بمعنى قول السمو أل بن عادياء:

وما مات منا سيد حتف أنفه ولا طل منا حيث كان قتيل

يريد: ما مات منا شريف عالي النسب سامي الحسب على فراشه، بل في ميدان القتال، وساحَة النزال.

(2) العراق: بلد وأصله في كلام العرب شاطئ البحر، وسمي العراق عراقاً لأنه شاطئ دجلة والفرات. لم أفارق: لم أزايل. أهله: سكانه. عن شنآن: أي بغض يقال شنآ وشنآن وشنأ. صدني: منعني وصرفني ويروى عن شنأ أصدني يقال: صده وأصده بمعنى واحد، قال الشاعر:

أصد نشاص ذي القرنين حتى تولى عارض الملك الهمام

القلى: البغض.

(3) ولا أطبى: أي ولا دعا ولا استمال. يروق: يعجب. الورى: الخلق.

هُمُ الشَّناخيبُ المُنيفَاتُ الـذُّرَى وَالنَّاسُ أَدْحَـالٌ سِوَاهُمْ وَهُوى[1]
هُـمُ الـبُحُـورُ زاخِـرٌ آذِيُّـهـا وَالنَّاسُ ضَحْضَاحٌ ثِعَابٌ وَأَضَى[2]

﴿المعنى﴾ لم أرتحل من العراق العربي إلى أية ناحية أخرى لبغض بيني وبين أهله يصرفني عن المقام بينهم، وإنما هم خاصة أحبائي، وخلاصة أصدقائي، وأس هنائي، وملء عيني، بحيث لم يرق عندها منظر أحد سواهم، ولا أعجبها خلال من عداهم.

(1) الشناخيب: أطراف الجبال واحدها شنخوب. المنيفات: المرتفعات الطوال وهي الشواهق، والشواهق جمع شاهق وما شهق من الجبال أي طال. الذرى: جمع ذروة وهي أعالي الجبال. الأدحال: جمع دحل وهي الحفير الغامض من الأرض يتسع أسفله ويضيق أعلاه، وإنما مدحهم بالرفعة على سائر الناس وأن الناس كلهم تحتهم.

(2) الزاخرات: جمع زاخر، والزاخر: الماء الكثير الفائض يقال زخر البحر إذا كثر ماؤه وارتفعت أمواجه. الآذى: الموج جمعه أواذي. الضحضاح: الماء القليل لا عمق له يكون إلى الكعبين وأنصاف الساقين. الثعاب: جمع ثعب وهو الموضع المطمئن في أعلى الجبل ليستنقع فيه ماء المطر. الأضى: جمع أضاة وهي الغدران الصغار، يعني أنهم البحور والناس ضحضاح أي ماء قليل.

﴿المعنى﴾ أن خاصة أهل العراق العربي المستوجبين ثنائي إذا قورنوا بأهل الدنيا وما درج من بني الإنسان على وجه البسيطة كانوا في سمو المكان وعلو الشرف كذرى الجبال الشامخات وغيرهم في النزول كالهوى والحفائر، والهوى: بضم الهاء وفتح الواو جمع هوة بضم الهاء وفتح الواو وتشديدها ترادف الحفرة السحيقة في الأرض، كما ترادف الدحل، والعاثور ومنه قول الشاعر:

إنْ كُنْتُ أَبصَرْتُ لَهُم مِنْ بَعْدهِمْ مِثْلاً فَأَغْضَيْتُ عَلَى وَخْزِ السَّفَا[1]
حَاشَا الأَمِيرَيْنِ اللَّذَيْنِ أَوْفَدَا عَلَيَّ ظِلاً مِنْ نَعِيم قَدْ ضَفَا[2]
هُمَا اللَذَانِ أَثبَتَا لِي أَمَلاً قَد وَقَفَ اليَأْسُ بِهِ عَلى شَفَا[3]

بل بلدة مرهوبة العاثور تنازع الرياح سحق المور

أي لا تسمح للريح بالعبث بغبارها لعمق عاثورها. ثم قال وهم في سعة الصدور والسماحة بلا حد محدود ولا سبب موجب كالبحور الزاخرة المملوءة باللؤلؤ والمرجان واللحم الطري، لا ترد يد صائد، ولا تنتظر شكر نائل، وغيرهم كالمحل الضحضاح والأضمى يدرك الناصر غوره ولا يتلمسن بره وخيره فهم كثر، وغيرهم قل.

(1) أغضيت: صبرت على المكروه، والإغضاء الصبر على المكروه. الوخز: طعن غير نافذ، وقيل الوخز الطعن بسرعة، وقيل الوخز: الشوك. السفا: شوك البهمى.

(2) قوله: أوفدا أي أرسلا يقال: أوفد فلان فلاناً إذا أرسله. ضفا: أي كثر من قولهم ضفا ذيل الفرس إذا كثر وطال، ونعم ضافية: أي كثيرة.

﴿المعنى﴾ إن كنت أبصرت لأهل العراق العربي موضع ثنائى ندًّا ومثيلاً فصبرت على فراقهم على أحر من جمر الغضى ووخز السفا، وتأنيب الضمير، فإني لم أر في الدنيا على اتساعها وكثرة من فيها إلا الأميرين اللذين أسبلا عليَّ من ظل نعيمها ما جعلني في بحبوبة الحياة سعيداً، ممتعاً برغد العيش وهناءة البال.

(3) قوله: أثبتا لي أملاً: أي أبقيا لي وأصلا. وأملا أي مراداً ورجاء. اليأس: انقطاع الرجاء. شفا الشيء: طرفه وحرفه قال الله جل ذكره: (على شفا جرف هارٍ).

تَلافَيَا العَيْشَ الَّذي رَنَّقَهُ صَرْفُ الزَّمَانِ فَاستَساغَ وَصَفَا[1]
وَأَجْرَيَا مَاءَ الحَيَا لي رَغَداً فَاهْتَزَّ غُصْني بَعْدَما كانَ ذَوَى[2]
هُمَا اللَذَانِ سَمَوا بِناظِري مِنْ بَعْدِ إغْضَائِي عَلَى لَذعِ القَذى[3]

(1) تلافيا: تداركا، وقيل تلافيا أتياه على قصد. رنقه: كدره، والرنق الماء الكدر. صرف الزمان: تقلبه من حال إلى حال. استساغ: سلس في الحلق وطاب تقول: هذا شراب سائغ أي سهل طيب.

﴿المعنى﴾ أن الأميرين بما أسبغاه عليَّ من نعم، وخلعاه عليَّ من حلل السعادة والشرف، حققا لي أملاً في الحياة، ورجاء في المتعة بها بعد أن بلغ اليأس عندي منهما مبلغه، وهما اللذان أدركا عيشي الذي كدرته صروف الليالي وحدثان الأيام فبدلاه سائغاً صافياً لذيذاً.

(2) الحيا: مقصور الغيث والخصب، وإنما سمي حيا لأن الله يحيي به الأرض. الرغد: السعة في العيش قال الله عز وجل: (وكلا منها رغداً حيث شئتما) فاهتز غصني: أي طال يقال اهتز النبات إذا طال واهتزت الأرض إذا أنبتت، وأصل الهز: التحريك فكأنه يريد تحرك ليمتد ويطول. الغصن: ما تشعب من ساق الشجر وتفرع، والجمع غصون وأغصان. ذوى: ذبل.

(3) سموا: أي رفعا وقوله: بناظري: يعني أرادا رفع ناظري فزاد الباء للوزن وقوله: من بعد إغضائي: أي من بعد ما قاربت جفوني لأطبقها على لذع القذى: واللذع الحرقة. يقال لذعته النار تلذعه إذا أحرقته، والقذى ما يقع في العين، يقال قذت عينه تقذى قذياً إذا ألقت القذى.

﴿المعنى﴾ أنهما بغزير إنعامهما عليّ جعلا الماء يجري في أرض حياتي عذباً غزيزاً حتى أخصبت تربتها فاخضرّ فيها قوام جسمي، وترعرع ونما بعد الذبول، وهما اللذان رفعا رأسي صعدا إلى السماء شعورا

هُمَا اللَذانِ عَمَّرَا لي جَانِباً ... مِنَ الرَّجاءِ كانَ قِدْماً قَدْ عَفا[1]

وَقَلَّدَاني مِنَّةً لَو قُرِنَتْ ... بِشُكري أَهْلَ الأَرضِ عَنِّي مَا وَفى[2]

بالعُشْرِ مِنْ مِعْشارِهَا وَكانَ كالْ ... حَسْوَةِ في آذيِّ بَحْرٍ قَدْ طَمى[3]

إِنَّ ابْنَ مِيكالَ الأَمِيرَ انتاشَني ... مِنْ بَعْدِما قَدْ كُنْتُ كالشَّيءِ اللُّقى[4]

بالنعمة وإدراكاً لسمو الشرف وعلو المكانة، من بعد أن كنت مطأطئ الرأس مغمض الأجفان على لذع قذى العينين، والمقصود المعنى الكنائي أي بعد أن كابدت أثر الذلة وألم الفقر عياناً.

(1) قوله: عمرا: أي أصلحا، يقال عمر فلان منزله إذا أصلحه وسكنه ويروى بالغين المعجمة أي غطيا من قولهم غمره الماء أي غطاه، ومعناه سترا ما تكشف من جوانبي. الجانب: الناحية، وجمعه جوانب. الرجاء ممدود الأمل. قدما أي قديماً. عفا: أي درس.

(2) وقلداني منة أي جعلاها في عنقي: وهو موضع القلادة، ومنة: أي نعمة وجمعها منن. قرنت: أي عدلت وقيست. قوله ما وفى: أي ما قام بها ولا عدلها شكرهم.

﴿المعنى﴾ أنهما بعد أن حققا لي أملاً في الحياة عمرا لي جانباً كبيراً بحسن الرجاء وقد كان اندرس وتخرب. وقلداني في عنقي والمراد خلدا في سويداء قلبي ذكر أن منتهما عليَّ، وعظيم إحسانهما إليّ، بحيث لو وزنت هذه المنة بشكر أهل الدنيا مجسماً ما وفى بقدرها فضلاً عن شكري المفرد.

(3) الحسوة: الجرعة مما يشرب. الآذيّ: الموج. طمى: امتلأ وارتفع.

(4) ابن ميكال: هو عبدالله بن محمد بن ميكال اسم أعجمي لا ينصرف في المعرفة وينصرف في النكرة، وهو فارسي من أمراء فارس، ومعنى انتاشني: نعشني وقيل معناه تناولني وأخذني مقرباً إليه

وَمَـدَّ ضَـبْعَـيَّ أَبُـو العَبَّـاس مِـنْ بَعد انقباض الذَّرْع وَالباع الوَزَى[1]
ذاكَ الَّـذي مَـا زَالَ يَسْمُـو لِلْعُلاَ بِفِعْلِهِ حَتَّـى عَـلاَ فَـوْقَ العُلاَ[2]

والعرب تقول الظبية تنوش الأراك وتنتاشه أي تتناوله بفمها قال الله تبـارك وتعالـى: (وأنى لهم التناوش من مكان بعيـد). أي وكيف لهم التناوش من مكان بعيد، ونشت الرجل نوشاً أنلته خيراً. الأراك: شجر يستاك بعوده قال الشاعر:

إذا هـي لـم تستك بعـود أراكـة تنخل واستاكت به عـود أسحل

والأسـحل أيضاً شجر يسـتاك بعوده. اللقى: الشـيء المطروح الملقى، يقال رجل لقى، وقوم ألقاء، وكل ما يلقى ويطرح فهو لقى.

﴿المعنـى﴾ أن منتهما لو ووزيت بشـكران أهل الأرضـ بالنيابة عني ما عدل عشر عشرها أي جزءاً من عشرة أجزاء مقسم إليها عشر هذه المنة، بل كان شـكر جميع الخليقة بالنسبة لها كالجرعة من موج بحر زاخر امتلأ بالمـاء وارتفع، ثم قال: إن ابن ميـكال وهو أحد الأميرين الممدوحين له وأبدل منه الأمير إعلاناً بلقبه المشـرف انتاشني أي انتشلني والتقطني من الحضـيض إلـى العلا، من بعد ما كنت كالشـيء اللقـى المطروح لا يعتنى بشأنه.

(1) ضـبعيّ: عضـدي، والضبع وسـط العضـد. أبو العباس: هو إسماعيل بن عبـدالله بـن ميكال، فمـدح الأب والابن. الـذرع: والذراع واحـد. الباع: القامة ومنـه الحديث الذي جاء عن زمان الطوفان فإن الماء سـار على وجـه الأرض سـبعين باعاً، وعلـى رؤوس الجبال سـبعين ذراعاً. الوزى: القصير يقال رجل وزى وامرأة وزاة.

(2) يسمو يرتفع.

﴿المعنى﴾ وقد بسـط عضديّ، وقوى ساعديّ، وشد إزري ولد الأمير المكنى

لَـوْ كَـانَ يَـرْقَـى أَحَـدٌ بِجُـودِه وَمَجْـدِه إِلَـى السَّماءِ لارْتَقى[1]
مَـا إِنْ أَتَـى بَحْـرَ نَـدَاهُ مُعْتَـفٌ عَلَـى أُوَارَى عَلَـمٍ إِلاَّ ارْتَوَى[2]
نَفْسِـي الفِـدَاءُ لأَمِـيـرَيَّ وَمَـنْ تَحْتَ السَّماءِ لأَمِـيـرَيَّ الْفِدَا[3]

بأبي العباس بعد أن التويا انكماشاً، وقصراً انزواء وتأثراً من عاديات الزمان ونوائب الحدثان، وما كانا وازيين طبيعة. ذلك الفاضل الممدوح إسماعيل بن عبدالله بن ميكال الأمير مازال يسمو للعلا بكمال فعله حتى سما وارتفع فوق مكانة العلا والمجد، وفي هذا من الغلو المقبول وبدع الخيال ما فيه.

(1) يرقى: يطلع ويرتفع. الجود: الكرم. المجد: الشرف. لارتقى: لارتفع. الندى: الكرم.

(2) المعتفى: الطالب للرفد وقوله: أوارى: أي حرارة. والأوار حرارة الشمس والنار فأوار للتذكير وأوارى للتأنيث. العلم: الجبل الصغير وجمعه أعلام. ارتوى: ثمل وشبع هكذا في الأصل والرواية الصحيحة يشكو أوارى عيم إلخ والعيم العطش.

(3) الفداء: مكسور الأول ممدود، فإذا فتح أوله قصر، ومعنى الفداء الوقاية تقول: فديتك بنفسي: أي جعلتها فداءك أي وقايه لك وعوضاً منك.

﴿المعنى﴾ لو كان الرقي إلى السماء ينال لبني الإنسان بالكرم والشرف وعلو الهمة لارتقى إليها إسماعيل الممدوح، فقد بلغ في الكرم منتهاه، وفي المجد والشرف مداه، حتى إن من ورد منهل عطائه، وبحر نواله، طالباً الرفد والكرم يؤوب ثملاً منتشياً بكثرة ما نال، كالمرتوي المثلج الصدر بما أطفأ حر جواه، وأزال عصب صداه، بعد أن علا جبلاً صغيراً فأعطشته الهاجرة بحرها، ولفحته الشمس الملتهبة بوهجها وسمومها، ومعنى معتف على أوارى علم: طالب الري والغوث والنجدة والتغلب على حر شمس لافحة

لاَ زَالَ شُكْـري لَهُمـا مُـوَاصِـلاً لَفْظيَ أَو يَعْتاقَني صَرْفُ المنَى[1]
إِن الأُلَـى فَـارَقْتُ مِـنْ غَيْـرِ قِلىً مـا زاغَ قَلبي عَنهُـمُ وَمَـا هَفَا[2]

فاجأته فغصبت حلقه ولسانه على علم صغير لا يطاق حره، والمعنى على هذا أبلغ مما كتب في تصحيح رواية البيت لما في هذا من المبالغة والشعور بالنعمة ما ليس في معنى التصحيح المذكور والله أعلم.

(1) أو يعتاقني: أي يصرفني وإذا أردت أمراً فصرفك عنه صارف قلت عاقني عن الأمر الذي أردت عائق، ونصب أو يعتاقني لأن المراد حتى يعتاقني فانتصب بحتى. الصرف: التقلب. المنى: بفتح الميم مقصور المقدر يقول منى الله لك ما يسرك أي قدر الله لك ما يسرك، قال الشاعر:

ولا تقول لشيء سوف أفعله حتى تبين ما يمني لك الماني

أي حتى تعرف ما يقدر لك المقدر.

(2) زعم قوم من النحويين أن الألى جمع لا واحد له من لفظه، وزعم قوم أن اسم للجمع بمنزلة قولهم نفر ورهط. من غير قلى: من غير بغض. ما زاغ: ما مال. ولا هفا: أي ولازل، ويروى ولا هوى أي ولا سقط، والهفوة: الزلة يقال كانت من فلان هفوة أي زلة وسقطة.

﴿المعنى﴾ ما دمت حيّاً فلساني يلهج بالثناء عليهما عطراً، وبالشكر لهما مستمراً، حتى اللفظ الأخير من حياتي. فلا يمسك لساني عن مواصلة شكرهما إلا نزول القضاء المبرم، والموت المحتم، إن هؤلاء الرهط موضع إجلالي، ومحل اعتباري الذين ما نأيت عنهم إلا على الوداد من غير بغض وقلى، لم يمل قلبي إلى سواهم، ولا هفا في زلة لا تغفر إذا هو ينساهم، بل مازال ولن يزال يهواهم، حافظاً لهم الصنع الجميل، والخير الجزيل.

لَـكنَّ لـي عَـزْمـاً إذَا امْتَطَيـتُـهُ لمُبْهَم الخَطْب فَـآهُ فَانْفَآى[1]
وَلَـوْ أَشَـاءُ ضَـمَّ قُطرَيْـه الصَّبَا عَلَـيَّ فـي ظلَّـيْ نَعيـم وَغنَى[2]
وَلاَعَبَتـنـي غَـادَةٌ وَهْـنَـانَـةٌ تُضْني وَفي ترْشافها بُرْءُ الضَّنَى[3]
تَفْري بِسَيْف لَحظهَا إنْ نَظَرَتْ نَظرَةَ غَضبىَ مِنْكَ أَثْنَاءَ الحَشَا[4]

(1) العـزم: العقـد على فعل الأمر وربط النية على إمضـائه. امتطيته: ركبته وجعلته مطية. المبهم: من الأمور المغلق: فآه: شقه. فانفأى: أي فانشق. والفأي: الشق في الجبل.

(2) ضـم قطريه: أي جمع ناحيتيه، ويروى مد قطريه، ومعناه نشـر. وقطراه: جانبـاه. القطر: الجانـب وجمعه أقطار. الصـبا: الفتـوة واللهو. الظل: النعيم ما امتد عليه منه. النعيم: ضـد البؤس، وهو طيب العيش وسعته. الغنى: ضد الفقر، وهو وجود المال والاستغناء به.

﴿المعنى﴾ إني إذا ركبت متن جواد عزمي لم يصـدني عن مضاء ما عزمت عليه صـاد. مهما صـعب المراد وعز المنال، ولو أشاء فتق الأمر المبهم على الكثير، المتعاصـي على الجم الغفير، لضمت فتوتي جانبيه في عزة نادرة، وسعادة متوافرة.

(3) قولـه: ولاعبتنـي: هو من اللعب، ومعنـاه مازحتني. الغـادة: الفتاة الناعمة والرجل أغيد. والأغيد الوسـنان المائل العنق، ويقال تغايد فـلان في مشـيه إذا مال. الوهنانـة: الثقيلة القيـام والقعود، وقيل الوهنانة الطيبة الحديث. تضـني: أي تسـقم، والضنى الهزال من المرض. الترشاف: قيل الشفتان، وهو فوق المص، وهو مص الماء أيضـاً. برء الضنى: ذهاب السقم أي هي تضني، وفي تقبيلها البرء من السقم.

(4) تفري: تقطع. اللحظ: النظر. غضـبى: مغتاظة. وأثناء الحشـا: ما انثنى

في خَدِّهَا رَوْضٌ مِنَ الوَرْدِ عَلى الـ ... ـنَّسْرِينِ بالأَلحَاظِ مِنْهَا يُجْتَنى[1]
لَوْ ناجَتِ الأَعْصَمَ لانْحَطَّ لَهَا ... طَوْعَ القِيادِ مِنْ شَماريخِ الذُّرَى[2]

منها أي ما انعطف: الحشا: الكبد وما اتصل بها.

﴿المعنى﴾ وحين أقوم باقتحام الأمر الصعب فأذلله في عزة نادرة المثال تلاطفني وتداعبني غادة حسناء. وميس هيفاء، تضني وتسقم من تقرب منها فنأت عنه ودلت عليه، وفي تقبيل شفتيها الرقيقتين الحمراوين ولو مرة برء ضناه وشفاء سقامه، وإنما اختارها وهنانة وهي الثقيلة القيام والقعود لثقل ردفها مع نحول خصرها حتى إذا أسل خدها، واعتدل قدها، مع هذا فهي فاتنة وإلى ما أشار إليه يصرح قول القائل متغزلاً في فاتنته:

لها ردف تعلق في ضعيف ... وهذا الردف لي ولها ظلوم
يحيرني إذا فكرت فيه ... ويتبعها إذا رامت تقوم

ثم قال علامة الأزد في قوة سحرها: تغري بسيف لحظها إلخ يعني أنها تملك قتل ناظرها المفتون بها بنظرة غضب قلبي لا يظهر لرائيها العادي في وجهها عبوس، وإنما يعرفها من الفاتنات من انكوى بجمرهن، وبات أسير الرضا والغضب أمثال عمر بن أبي ربيعة القائل في ثرياه:

وليت الثريا في المنام ضجيعتي ... أفي الجنة الخضراء أم في جهنم

وإلى هذا المعنى الرمزي أشار علامة الأزد بقوله: أثناء الحشا أي بين طياته المقروءة للعاشقين.

(1) النسرين: النور الأبيض. الألحاظ: النظرات جمع لحظة. يجتنى: يقتطف.

(2) ناجت: أي تكلمت. الأعصم: هو الوعل الذي في إحدى يديه بياض، وربما كان البياض فيهما، وسمي وعلا للبياض الذي في أظلافه، والأظلاف جمع ظلف وهو الخف الذي يكتنف رجل الظبية. لانحط: لنزل. القياد:

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أَوْ صَابَتِ الْقانتَ فِي مُخْلَوْلِقٍ مُسْتَصْعَبِ المَسْلَكِ وَعْرِ المُرْتَقَى[1]
أَلْهَاهُ عَنْ تَسْبِيحِهِ وَدِينِهِ تَأْنِيسُها حَتَّى تَرَاهُ قَدْ صَبَا[2]

التذلل. الشماريخ: رؤوس الجبال واحدها شمراخ. الذرى: أعالي الجبال واحدها ذروة.

﴿المعنى﴾ تمثل حمرة خدي هذه الغادة الناعمة البيضاء اللامعة روضة ورد بين الأبيض والأحمر القاني تفتحت براعمه، ودان قطافه، يجنيه من خديها مختلس النظرات إليها في ضوء القمر، أثناء السمر – ثم قال في قوة تأثير كلامها: لو كلمت الوحش النافر، والوعل وهو الأعصم الشارد، لأصاخ إلى ندائها وانحط من أعالي الجبال سلس القياد أسير الحديث خاضعاً ذليلاً. ولعل علامة الأزد أراد معنى رمزياً حاصله: أنها لفرط جمالها وجمال الظبية هى من جنس الظباء فلو ناجت ذكر الظباء لأنس بصوتها، ولبى نداءها، منحطاً من شماريخ الجبال كالسيل وجد لمجراه سبيلاً.

(1) قوله: أو صابت القانت: أي وافقته، يقال صاب السهم وأصاب إذا وقع في الرمية وصادفها، وصاب السحاب الموضع وأصابه إذا أمطره. القانت: القائم بالعبادة المطيع لله الزاهد فيما يرغب الناس فيه من الدنيا قال الله تعالى عز وجل: (كل له قانتون) أي مطيعون. المخلولق: الجبل الأملس الطويل الذي لا نبات فيه. مستصعب: أي صعب المسلك: الطريق الذي يسلك فيه أي يدخل ويمشي. المرتقى: المصعد وهو المكان الذي يرتقى إليه أي يطلع إليه. الوعر: الصعب.

(2) ألهاه: شغله: التسبيح: التنزيه لله عز وجل وهو التبرئة من كل ذم، وقد يكون التسبيح بمعنى الصلاة يقال سبّحت أي صليت. دينه: أي طاعته. وتأنيسها: أنسها وحديثها وقوله: حتى تراه قد صبا: أي قد لها وفعل فعل

كَأَنَّمَا الصَّهْبَاءُ مَقطُوبٌ بِها ... مَاءُ جَنَى وَرْدٍ إِذَا اللَيْلُ عَسَا[1]
يَمْتَاحُهُ رَاشِفُ بَرْدِ رِيقِهَا ... بَيْنَ بَيَاضِ الظَّلْمِ مِنْهَا وَاللَّمَى[2]

الصبيان، وصبا يكتب بالألف لأنه من ذوات الواو.

﴿المعنى﴾ أن سحر حديث هذه الفاتنة لو أصاب الناسك المتعبد في جبل أجرد أملس لا نبات فيه مبالغة في الطاعة، وغلواً في الزهادة، لأنساه نسكه وتعبده وانجذب إلى فاتنة الإنسان، بعد أن نفر من كل حيوان، ونزل من مرتقاه الصعب مقتفياً أثرها، أسير هواها، فتراه بعد انقطاعه عن السوى لا يأنس بسواها. والظاهر أن صبا مخفف صبأ بمعنى مال وتعشق، لا من صبا يصبو أي فعل فعل الصبيان، يرشدك إلى هذا المعنى قوله ألهاه عن تسبيحه إلخ حيث يناسبه الميل إليها والتعلق بها والله أعلم.

(1) الصهباء: الخمر سميت بذلك لصهوبة لونها. المقطوب: الممزوج وكذلك المشوب بمعنى واحد. ماء جنى ورد: أي ماء جنى من الورد طرياً أي قطف، والجنى اسم ما جنى. عسا الليل: أظلم ويروى غسا بالغين المعجمة ومعناهما واحد.

(2) يمتاحه: يستقيه وقيل الممتاح الذي يغرف بيديه من أسفل البئر إذا قل الماء، والماتح بالتاء الذي يمد الحبل في البئر ليستقي. الراشف: المتناول الشراب بشفتيه. ريقها: لعابها. الظلم: بفتح الظاء بياض الأسنان حتى كأنها من شدة البياض يعلوها سواد. اللمى: سمرة الشفتين يقال رجل ألمى وامرأة لمياء، واللمى أيضاً قلة اللحم والدم على اللمة والشنب، وبرد ريقها وعذوبته.

﴿المعنى﴾ كأنها برد ريقها وعذوبته وتأثيره فيمن يمصه من بين شفتيها الخمر مزجت بماء الورد، يثمل برشفها متعشقها، ويسكر من لذتها

سَقَى العَقيقَ فَالْحَزيزَ فَالمَلاَ إلَى النُحَيْت فَالقُرَيّات الدُنَا[1]
فَالمَرْبَدَ الأعلَى الَّذي تَلقَى بِهِ مَصارِعَ الأُسْدِ بِألحاظِ المَها[2]

شاربها، ولأن العرب كانت تشبه بالخمر كل ما لذ وطاب في جاهليتها شبه ريق الغادة بها كعادة الشعراء وإن كانت الخمر أم الخبائث مهما مزجت بالورد أو العسل، كما قال جل شأنه: (والذي خبث لا يخرج إلا نكدا) – ثم بالغ في انتظام لثى أسنانها البيضاء، وقلة لحمها واتزان دمها بقوله: يمتاحه إلخ ويعني ينقل من حظي بلثم فيها ريقها العذب المسكر من بين أسنانها اللامعة المشرقة البياض وشفتيها الحمراوين المظهرتين سواداً ناشئاً من مخالطة البياض الناصع المشرق لحمرة شفتيها المغريتين على التقبيل، ويقرب من هذا المعنى قول الغزل:

إذا الوهم أبدى لي لماها وثغرها تذكرت ما بين العذيب وبارق
ويذكرني من قدها ومدامعي مجرى عوالينا ومجرى السوابق

(1) العقيق: موضع بالبصرة، والعقيق أيضاً موضع حول مكة على أميال منها، والعقيق قرية بالمدينة. والحزيز والملا والنحيت: مواضع بالبصرة ونواحيها، القريات: جمع قرية مصغرة. الدنا: ما دنا منها.

(2) المربد: موضع بالبصرة وهو سوق تجتمع فيه العرب، وكان الأخفش سعيد ابن مسعدة يقول: المربد بفتح الميم وكسر الباء مثل المسجد على وزن مفعل، مصارع الأسد: موضع سقوطها عند الموت، وأراد بالأسد الرجال فكنى عنهم بالأسد لشجاعتهم، وأراد أنهم صرعوا بألحاظ المها: أي قتلتهم ألحاظ النساء الحسان البيض المشبهة بالمها وهي بقر الوحش الواحدة مهاة، فالألحاظ هي الفاعلة في المعنى وألحاظ نظرات.

﴿المعنى﴾ أن مصبة عذبة صافية من ريقها البرد الذكى المسكر تكفي لري رياض العقيق فالحزيز فالملا وما يتصل به من رياض النحيت

مَحَلَّ كُلِّ مُقْرِمٍ سَمَتْ بِهِ مَآثِرُ الآبَاءِ فِي فَرْعِ العُلاَ[1]
مِنَ الأُلَى جَوْهَرُهُمْ إِذَا اعْتَزَوْا مِنْ جَوهَرٍ مِنهُ النَبِيُّ المُصطَفَى[2]

حتى القرى القريبة منها إذا ما حظي أهلها بشيء منه على قلته فهو باسم الشفاه لهم من كل صدى وجفاف، كما يروى بها أهل المربد مجتمعين الذين ترى كثيراً من صناديدهم الشجعان الشبيهين بالأسود صرعى بألحاظ ونظرات هذه المهاة الإنسية الفاتنة الفاتكة بسحر العيون.

(1) المحل: الموضع الذي يحله القوم للمقام أي ينزل به القوم للإقامة. المقرم: السيد الكريم، وأصل المقرم فحل الإبل، وسمت به: أي ارتفعت به المآثر: جمع مأثرة، وهي الصنائع الحسنة والأفعال الرضية. فرع كل شيء: أعلاه ومنه فرعت الجبل إذا علوته، وفروع الشجرة أعالي أغصانها وافترعت المرأة إذا افتضضتها وأصله إذا علوتها. والأفرع: طويل الشعر.

(2) قوله: من الألى: أي من الذين. جوهرهم: أصلهم، وجوهر كل شيء خالصه. إذا اعتزوا: أي إذا انتسبوا يقال اعتزيت إلى فلان أي انتسبت إليه. المصطفى: المختار.

﴿المعنى﴾ أن صرعى لحظاتها من الصناديد من علية القوم، وأشرف أرومة في المجد، تسمو بهم صنائع آبائهم في إغاثة الملهوف، وبذل المعروف. كابراً عن كابر، وفرعاً عن أصل، إذا ما انتسبوا ضمهم النسب المشرف بلا منازع نسب خير من نطق بالضاد، النبي العربي الهاشمي المصطفى، فإذا صرعت نظراتها شجعان خير أرومة بلا سيف مجرد، ولا نصل محدد بل بسحر العيون في حشاه المفتون، فكيف بغيرهم ممن لا يعرف له عزم ولا حزم ولم يتعود المجالدة والحفيظة ؟!

صَلّى عَلَيْه اللهُ مَا جَنَّ الدُجَى وَما جَرَت في فَلَك شَمْسُ الضُّحَى[1]
جَوْنٌ أَعَارَتْهُ الجَنُوبُ جانباً منْهَا وَواصَتْ صَوْبَهُ يَدُ الصَّبَا[2]
نَأَى يَمانِيّاً فَلَمّا انتَشَرَتْ أَحْضَانُهُ وَامتَدّ كَسْرَاهُ غَطَا[3]

---

(1) قوله جن الدجى: أي أظلم وستر، والدجى الظلمة.

(2) الجون: هنا السحاب الأسود، والجون من الأضداد أي يكون الأسود ويكون الأبيض. الجنوب: الريح القبلية تجيء بالمطر. واصت: واصت، يقال واصاه وواصله بمعنى واحد. الصوب: نزول المطر يقال صاب يصوب صوباً، والاسم الصيب، قال الله تعالى: (أو كصيب من السماء). والصبا الريح الشرقية.

﴿المعنى﴾ أدعو الله أن يصلي على النبي المختار ما تعاقب الجديدان (الليل والنهار) وجرى النيّران (الشمس والقمر) في مدارهما، وهما لا ينقطعان ما دامت الدنيا والسماوات والأرض وما جرى جون (سحاب) أبيض أو أسود، تمده الريح القبلية بسوقه إلى جهة غيرها، ثم أثرت فيه ريح الصبا الشرقي فتصبب ربيعاً غدقاً، والمقصود دائماً أبداً أي أطلب الصلاة عليه بلا انقطاع، على عادة العرب في تأبيد أي معنى أرادوا تأبيده، حيث مادام سهيل طالعاً، أو ما دامت السماوات والأرض، أو ما أشرق نجم في السماء.

(3) نأى يمانياً: أي طلع من ناحية اليمين يريد الغيم. انتشرت: أي كثرت وظهرت. أحضانه: نواحيه وأصل الحضن ما دون الإبط إلى الكشح كسراه: تثنية كسر، وهو طنب الخباء، وإنما كنى بالكسرين عن أذيال السحاب وهو استعارة وإنما يريد أن السحاب جرت على الأرض أذيالها. غطا: ارتفع، وقيل انبسط يقال غطا الليل يغطو إذا انبسطت ظلمته.

فَجَلَّلَ الأُفْقَ فَكُلُّ جانِبٍ منها كَأَنْ من قُطرِه المُزنُ حَبَا[1]
وَطَبَّقَ الأَرْضَ فَكُلُّ بُقعَةٍ منها تَقولُ الغَيثُ في هاتا ثَوى[2]

(1) قوله: جلل: أي غطى، ومنه سمى جل الفرس جلالا لأنها تجلل به أي تغطى به: الأفق: الناحية وجمعه آفاق. من قطره: أي من ناحيته وجمعه أقطار على رواية من رواه بضم القاف، والقطر جهة من جهات الأفق وعلى هذه الرواية يروى حبا بالباء بنقطة واحدة من أسفل ويكون معنى حبا امتد ودنا من الأرض لثقله بالماء يريد السحاب ويروى كأن من قطره كان حيا بالياء المنقوطة بنقطتين من تحت وقطره بفتح القاف وتقديره غطى هذا السحاب الأفق. فكل جانب: من جوانب هذه المواضع. كأن من قطره: أي من صوبه. حيا بالياء: أي خصباً. المزن: السحاب والواحدة مزنية وتصغيرها مزنة، والقطر بفتح القاف: الماء السائل متقطعاً يقال منه قطر يقطر قطراً.

﴿المعنى﴾ اتجه هذا السحاب بسوق الجنوب له يمانياً أي جهة اليمن وهي بالنسبة للبصرة والعراق العربي تقع في الجنوب فلما انتشرت قطعة الجليدة بسوق الصبا له ضد الجنوب، وامتد في جو السماء سائراً في جميع النواحي حتى كأن الرائي له يصوره بقبة غبراء جرت أذيالها على الأرض، فغطا أي حجب وستر الضوء أن يشرق على وجه البسيطة ثم جلل الأفق أي طبقه وعمه على الرغبة فكل ناحية فيها من القطر وابل ورهام، كأن السحاب حبا الخليقة وحياها بصيبه المخصب وغيثه العميم، هذا ما يظهر لي قربه إلى قصد علامة الأزد من المعنيين في الشارح عليهما وعلينا الرحمة يقال حباه مولاه بكذا إذا منحه ووهبه، يرشدك إليه قوله بعد: وطبق الأرض إلخ.

(2) قوله. وطبق الأرض: أي وغطى الأرض هذا السحاب فصار لها كالطبق. فكل

إِذَا خَبَتْ بُرُوقُهُ عَنَّتْ لَهَا ريحُ الصَّبا تُشبُّ منْهَا مَا خَبَا[1]
وَإِنْ وَنَتْ رُعُودُهُ حَدَا بِهَا رَاعِي الجَنُوبِ فَحَدَتْ كَمَا حَدَا[2]

بقعة. أي مكان. في هاتا: أي في هذه، وهو بمنزلة هذا للمذكر. ثوى: أقام.

(1) خبت بروقه أي أطفئت وسكنت قال الله عز وجل: (كلما خبت زدناهم سعيراً). وعنت: عرضت ومنه قول امرئ القيس:

فعنّ لنا سرب كأن نعاجه عذارى دوار في ملاء مذيل

نشب: توقد.

﴿المعنى﴾ أن كل بقعة من الأرض تعترف بجميل هذا الغمام المطبق الذي أحياها، أخرج منها نبتها ومرعاها، وأسال من الجبال ذراها، فامتلأت الغدران، وأفعمت الوديان، فكل بقعة لها لسان حال ينطق بالثناء والغبطة. قائلاً: الغيث ها هنا أقام وثوى، ثم لما كانت شدة البرق وتتابعه بالإشراق أمارة جودة السحاب وامتلائها بالماء قال في ذلك: إذا خبت أي ضعفت بروقه جمع برق – وهو ما لمع من اصطكاك السحاب بعضه ببعض والتهاب المواد الكامنة في جليده الكبريتية بالحركة الموجبة، وإنما يكون ذلك بسوق الريح المسخرة بأمر الله تعالى بعضه إلى بعض، وقد يصحب ذلك رعد وهو صوت اصطكاك السحاب المرسل بالريح بشدة بالحركة السالبة حيث تتعاند المواد الكامنة فيه فيحصل الضغط والتفارق ثم التجاذب إلخ ما بين في علوم الطبيعة الكونية الإلهية وعنت لها أي سخرت لها ريح الصبا الشرقية فساقتها تشب وتلتهب منها ما خبا أي ضعف.

(2) قوله: وإن ونت: أي ضعفت وفترت ومنه قول الله جل ذكره: (ولا تنيا في ذكرى) أي لا تضعفا ولا تفترا. حدا بها: أي ساقها بالحداء وهو صوت السائق الذي يسوق الإبل. الحادي: سائق الإبل يرفع صوته وراءها

كَـأَنَّ فـي أَحضـانـه وَبَـرْكـه بَرْكاً تَداعَى بَيْنَ سَجْرٍ وَوَحَى[1]
لَـمْ تَـرَ كَالـمُـزْنِ سَـوَامـاً بُـهَـلاً تَحْسَبُها مَرْعِيَّةً وَهْيَ سُدَى[2]

بالغناء. والراعي: الذي يرعى الإبل أي يحفظها. راعي الجنوب هنا مثل. الجنوب: الريح القبلية. فحدت ساقت. كما حدا: كما ساق.

(1) قوله كأن في أحضانه: أي في أحضان هذا الأفق فالضمير في أحضانه على الأفق وإن شئت كان عائداً على السحاب وهو أحسن، وأحضانه نواحيه من أطرافه. والبرك الأول: الصدر. والبرك الثاني: الإبل. تداعى: أي تتداعى فحذف إحدى التاءين، والتداعي هو أن يدعو بعضها بعضاً. السجر: الحنين، والحنين طرب الناقة إلى ولدها وهو صوت شجي يقال حنت تحن حنيناً. الوحي: الصوت.

﴿المعنى﴾ وإذا ضعفت رعود هذا السحاب جمع رعد ساقها ريح الجنوب مصوباً بها كحادي الإبل يحثها به على سرعة المسير، فحدت أي ساقت بعضها إلى بعض كما ساق أولاها وأكبرها حجماً. أو المعنى صوتت كما صوت وهو أقرب للمبالغة وأنسب في الخيال، ثم قال: كأن في جوانبه ومقدمه وهو صدره جماعة من الإبل تداعى وتجاذب بعضها إلى بعض بين حنين وطرب لا يصدها إن انسابت إلى بني جنسها ونتاجها صاد، تصوت صوتاً يسيل عطفاً ورقة وحناناً.

(2) المزن: السحاب. السوام: الإبل الراعية، والمسيم الراعي للإبل السائمة، يقال أسام الإبل يسمها إسامة قال الله عز وجل: (فيه تسيمون) أي تدعون إبلكم. البهل: التي لم تحلب فتركت ضروعها ملأى من ألبانها وقيل البهل المتروكة بغير راع. تحسبها مرعية: أي محروسة. السدى: المهملة التي لا راعي لها قال الله عز وجل: (أيحسب الإنسان أن يترك سدى) ويروى سواماً هملاً أي متروكة.

تَقُولُ لِلأَجْرازِ لَمَّا استَوسَقَتْ بِسَوقِهِ ثِقِي بِرِيٍّ وَحَيَا[1]
فَأَوْسَعَ الأَحْدَابَ سَيْباً مُحْسِباً وَطَبَّقَ البُطنَانَ بِالماءِ الرَّوَى[2]

(1) الأجراز: جمع جرز وهي الأرض الصلبة التي لم يصبها المطر، وقيل هي الأرض المشققة التي لم يصبها المطر، وقيل هي الأرض المشققة التي لا تكاد تروى من الماء قال الله تبارك وتعالى: (أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز). وجمعه أجراز. استوسقت: أي حملت ما يكفيها من الماء والوسق الجمع قال الله عز وجل: (والليل وما وسق) أي وما جمع من ظلمته قوله ثقي بريّ: أي اطمئني بريّ أي بشبع من الماء يقال شربت حتى رويت وقوله. وحيا: أي خصب وهو مقصور.

﴿المعنى﴾ لم تر إبلا سائمة ترعى في الكلأ المباح، بهلاً تركت ضروعها ملأى باللبن بلا حلب، تحسبها في تسابقها وانتظام بعضها مع بعض واندفاعها منضمة إلى نظائرها مرعية أي نظمها الراعي، وهي في الحقيقة سدى لا راعي لها، وإنما تتجاذب على هواها وبطبيعتها الحنونة الألوفة كالمزن أي السحاب المنجذب بعضه إلى بعض بنظام بديع غريب حتى يعم الأفق الواسع بلا سائق مشاهد، بل المزن في هذه المعاني أرقى، تقول هذه المزن بلسان حالها للأجراز أي الأراضي التي طال جفافها واشققت من شدة عطشها حين استوسقت وجمع ماؤها المتهيئ للتدفق بسوق السائق غير المشاهد: ثقي أيتها الأرض الصلبة المشققة التي طال عليها أمد عطشها بريّ محقق، وخصب يجعلك جنة خضراء، ورياضاً غناء.

(2) الأحداب: جمع حدب وهو ما ارتفع من الأرض وغلظ قال الله سبحانه: (وهم من كل حدب ينسلون). السيب: العطاء. المحسب: الكافي من قولك حسبنا الله أي كافينا الله. طبق: غطى وستر. البطنان: جمع بطن وهو

كَـأَنَّمَـا الـبَـيْـدَاءُ غَـبَّ صَـوْبِـهِ بَحْـرٌ طَمَا تَيّـارُهُ ثُـمَّ سَجَا[1]
ذَاكَ الجِدَا لاَ زَالَ مَخصُوصاً بِهِ قَوْمٌ هُـمُ لـلأَرْضِ غَيْثٌ وَجِدَا[2]
لَسْـتُ إِذا مَـا بَهَظَتْنـي غَمْـرَةٌ مِمَّنْ يَقولُ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى[3]

الغامض من الأرض. الروى: الماء الكثير إذا كسر قصر، وإذا فتح مد.

(1) البيداء: القفر وهي الصحراء أيضاً، سميت بيداء لأنها تبيد سالكها غب صوبه: عقب مطره وانتصب غب على الظرف، وهو من الظروف ظرف زمان، والصوب نزول المطر. طما: ارتفع. تياره: موجه. سجا: سكن. قال الله تعالى: (والليل إذا سجى) أي سكن.

﴿المعنى﴾ فعم صيب المزن الهطالة الأحداب المرتفعة من الأرض مع غلظها وسرى إلى باطن الأرض بالماء العذب الراوي – وكأنما الصحراء عقب تهطاله بحر طما تياره أي زخر بالماء الغزير الكثير فتموج ثم بعد الامتلاء وتساوي حافتي الوديان سكن وهدأ.

(2) الجدا: الأول في البيت هو النائل والعطاء، ويقال الجدا المطر العام، والذي في آخر البيت يحتمل أن يكون أراد به الجداء بالمد الذي هو الغناء من قولهم إن فلاناً قليل الجداء عنك، أي قليل الغناء عنك ثم قصره لضرورة الشعر، ويحتمل أن يكون أراد به المعنى الأول.

(3) بهظتني: شقت عليّ يقال بهظني الأمر أي شق عليّ والغمرة الكربة والشدة وهي واحدة الغمرات. الزبى: جمع زبية وهي حفرة تحفر للأسد في المكان العالي من الأرض وليس يبلغها إلا سيل عظيم، وهو مثل تضربه العرب إذا اشتد بأحدهم الأمر، ويروى بالراء وهو جمع ربوة، والربوة ما ارتفع من الأرض. وفى الحديث (إن عثمان بن عفان رضي الله عنه لما عاين القتل وأيقن به كتب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أما بعد يا أبا الحسن فقد بلغ السيل الزبى، وجاوز الحزام الطبيين فإذا أتاك

وَإنْ ثَـوَت تَحْـتَ ضُلوعـي زَفـرَةٌ تَملأُ ما بَينَ الرَّجَا إلَى الرَّجَا[1]
نَهْنَهْتُهـا مَكظُومَـةً حَتّـى يُـرَى مُخْضَوْضِعاً مِنْهَا الَّذي كانَ طَغى[2]

كتابي فأقبل إليّ، عليَّ كنت أم لي) ثم تمثل ببيت العبدي وهو:

فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل وإلا فـأدركنـي ولـمـا أمـزق

﴿المعنـى﴾ ذلـك العطاء الفياض، والنوال المغنى لا يصـدر إلا من قوم هم للأرض ومن عليها غيـث مغيث من الجدب، وغناء من الفقر والاحتياج. ثم قال: وإني الرجل الذي لا أشتكي دهري، ولا أذل لعوزي، فإذا غمرتني نكبة لا تحتمل، وألمّ بي خطب جلل، لا أسـتغيث قائلاً: بلغ السـيل الزبى، وهـذه المبالغه لا يقصـد بها الحط من مقام الخليفـة الإمام عثمان بن عفـان رضـي الله عنـه، القائل هذه الجملـة إعلاناً منـه بتهجم الطغام وسـوقة الأوغاد على مقامه الشريف واستنكاراً لفعلهم الشنيع السخيف، وإنما يقصـد أنه الراسـخ الثابت الذي لا يكيل المدح جزافاً، يرشـد إلى هذا المقصود قوله بعد: وإن ثوت إلخ.

(1) ثـوت: أي أقامت. الزفرة: والزفير ترجيع الصـوت بالبكاء وهو أن يمتلئ القلب همّاً وغماً والرجا مقصور: الجانب.

(2) نهنهتها: أي كففتها وزجرتها. مكظومة: أي متجرعة من قولهم كظم غيظه إذا رده وحبسـه قال الله عز وجل: (والكاظمين الغيظ). المخضوضـع: المتذلـل من الخضـوع وهو الذلة. طغـى: كثر. قال الله تعالـى: (إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية) أي في السـفينة سـميت جارية باسـم فعلها لأنها جرت وقيل طغى: تكبر.

﴿المعنى﴾ إن ترددت في صـدري زفرة حزن حادة، تملأ جانبي صـدري من شـدة وقع ما أصـابني، وألحت عليّ في البكاء لأفرج عن نفسي باستعبار عيني، حبسـتها عن الاسترسال، وكظمت غيظي، وملكت نفسي، فلا أدع

وَلاَ أَقُولُ إِنْ عَرَتْنِي نَكبَةٌ قَوْلَ القَنُوطِ انْقَدَّ في البَطنِ السَّلا[1]

قَدْ مَارَسَتْ مِنِّي الخُطُوبُ مارِساً يُسَاوِرُ الهَوْلَ إِذَا الهَوْلُ عَلاَ[2]

ما كان طاغياً عليها ملحاً في بكائها إلا خاضعاً لعزيمتي، ذليلاً أمام قوة إرادتي حتى لا يراني أحد من الخيلقة باكياً على نحو ما يقول الشاعر:

وتجلدي للشامتين أريهم أني لريب الدهر لا أتزعزع

(1) عرتني: واعترتني: واحد، وهو بمعنى واحد أي أصابتني، قال الله عز وجل: (إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء). النكبة: المصيبة وجمعها نكبات. القنوط: اليائس. قال الله تعالى: (لا تقنطوا من رحمة الله) أي لا تيأسوا وقوله: انقد: أي انقطع. السلا: بفتح السين المشيمة التي تتعلق بالولد وتسقط معه وهذا مثل تقوله العرب إذا بلغ أحدهم في الكرب غايته قال انقد في البطن السلا، والسلا إذا انقطع في بطن المرأة هلكت.

(2) قد مارست: أي عاركت وضاربت. الخطوب: الأمور الشداد واحدها خطب. المارس: الشديد وهو صفة. يساور الهول: يغالبه ويطاوله ويلاصقه قال الشاعر:

فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السم ناقع

الهول: الشدة وجمعه أهوال. علا: ارتفع.

﴿المعنى﴾ إن النكبة مهما اشتد مصابها، وتفاقم عليّ خطبها، لا يجد اليأس سبيلاً يصل منه إلى قلبي، ولا القنوط منفذاً يتسرب منه إلى فؤادي، فإن ذلك من خور العزائم وخصائص البهائم، أما الإنسان الصعب، والرجل الصلب، إذا نزل به مدلهم فموته مع كرامته أهون عليه من أن يقول قول اليائس المهر: انقد في البطن السلا. ثم قال لإثبات هذا: قد مارست إلخ أي قد سبرتني الأهوال فوجدتني رجلاً أصلب عوداً، وجباراً

لـي الـتـوَاءٌ إن مُـعـاديَّ الْـتَـوَى وَلـي استِوَاءٌ إن مُوَالـيَّ استَوَى[1]
طَـعْـمـيَ شَـرْيٌ لـلـعَـدُوِّ تَـارَةً وَالـرَّاحُ وَالأَرْيُ لِمَنْ وُدِّي ابْتَغى[2]
لَـدْنٌ إِذَا لُـوْيِـنْـتُ سَـهْـلٌ مَعْطِفي أَلْوِي إِذَا خُوشِنْتُ مَرْهُوب الشَّذا[3]

عنيداً، وصـنديداً شـديداً، تغالب قوتي، وعلو همتي، علو الأهوال، مهما سامتت الجبال وجاوزت الأبعاد والأطوال.

(1) قولـه: لي التواء: أي انعـواج. المعادي: العدو. الموالي: الصـديق. الذي يواليه أي يصادقه. استوى: اعتدل.

(2) وقوله: طعمي شري: الشرى الحنظل. تارة: حيناً. الأرى: العسل الأبيض. الـراح: الخمر. الود: الوداد. المـودة: المحبة. ابتغى: طلب. قال الله جل ذكره: (فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون).

﴿المعنى﴾ لا أترك خصـمي ينال مني دون أن أنال منه بالأنكى والأشـد فإن مـال عـن الطريق السـوي ملت معه كما مـال، وإن اعتدل صـديقي ومن يوادني لم أغمضه حقه، بل أكيل له بما كال، وأعظم له النوال. ثم قال: طعمى شري إلخ هو بمعنى قول الشاعر:

وإن لساني شهدة يشتفى بها وهـو مـن صـبـه الله علقم

يريد يكسب برّي من اتخذنى حبيباً وفياً، ويذوق مر غضبي عليه من صيرني له عدواً. وكأنه أراد مغزى قول القائل:

إذا المرء لم يكرم حبيباً ولم يهن عـدواً ولـم يـبـرز لـقـرم يحاربه
فهذا الذي إن عاش لا يعتنى به وإن مات لم تحزن عليه أقاربه

(3) اللـدن: اللين الرطب. معطفي: أي رجوعي. لُوِيِنْتُ: أخذت باللين وضـده خوشـنت أي أخـذت بالخشـونة، وهـي الصـعوبة. ألـوي: أكون شـديد الخصـومة. خوشـنت: صـورعت. مرهوب: مخوف ومنه قوله جل ذكره: (لأنتـم أشـد رهبة في صـدورهم مـن الله) أي خوفـاً. الشـذا: الحدة

يَعْتَصِمُ الحِلمُ بِجَنبَيْ حَبْوَتي إذَا رِيَاحُ الطَّيْشِ طَارَتْ بِالحُبَى[1]
لا يَطَّبِينِي طَمَعٌ مُدَنِّسٌ إذا استَمالَ طَمَعٌ أَوِ اطَّبَى[2]

مقصور وقيل الشذا: الأذى وكتابته بالألف.

(1) يعتصم: أي يتعلق ويتمسك بجنبي. الحبوة: شد الإزار على الركبتين والظهر ولا يعرف الاحتباء إلا للعرب والهند يقال احتبى الرجل إذا اشتمل بردائه في وسطه، وقيل الحبوة أيضاً أن يضم الإنسان نفسه قاعداً بثوبه أو بيده، والحبا جمع حبوة مثل كدية وكدى. الطيش: خفة العقل يقال طاش السهم يطيش طيشاً إذا خف ولم يقصد الغرض ومنه قول الشاعر:

لو كان لي قرن أناضله ما طاش عند حفيظة سهمي

﴿المعنى﴾ أنني عند الاستعطاف وصنائع المعروف سهل القياد، قريب الرجوع والخضوع كغصن الزيتون لدن رطب سهل الانعطاف لمن أراد، بيد أني شديد الخصومة مرهوب الأذى لمن خاشنني وعاملني بالشدة على حد قول الحكيم:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

ووضع الندى في موضع السيف بالندى مضر كوضع السيف في موضع الندى

ثم قال: يعتصم الحلم إلخ يعني بلغ من أناتي، وعظيم اصطباري، وبعد غضبي على من أساء إليَّ وتمسكي بحفيظتي من أن أثور للانتقام منه وأعجل له المساءة بما أبدى: أن الحلم نفسه ليس له مأوى سوى التعلق بجانبي حبوتي، والتحلي بهدوء قعدتي في الوقت الذي يطير فيه صبر الحلماء، ويضل دون الاهتداء صواب العقلاء، وكنى عن هذا بتطيير رياح الطيش ما يحتبى به ويحفظ مريد الاحتباء من الوقوع.

(2) لا يطبيني: أي لا يستميلني ويدعوني. الطمع: الحرص والرغبة. مدنس:

وَقَـدْ عَلَـت بِـي رُتَبـاً تَـجَـارُبٌ أَشْفَيْنَ بِي مِنْها عَلى سُبْلِ النُّهى[1]
إِن امْـرُؤٌ خِيـفَ لِإفْـراطِ الأَذَى لَـمْ يُخْشَ مِنِّـي نَـزَقٌ وَلا أَذَى[2]
مِـنْ غَيْـرِ ما وَهْـنٍ وَلَكِنِّـي امْـرُؤٌ أَصُونُ عِرضاً لَم يُدَنِّسْهُ الطَّخَا[3]

موسخ والدنس الوسخ. إذا استمال: قاد وجذب.

(1) قـد علـت: أي ارتفعت رتباً: منـازل ودرجات، وهي جمـع رتبة. التجارب كجمـع تجربة وهي الاختبار تقول جربت الرجل إذا اختبرته فأنا مجرب أي مختبـر. أشـفين بـي: أي أشـرفن بي يقال أشـفيت على الشـيء إذا أشـرفت عليه وانتهيـت إلى طرف منه، وقيل معنى أشـفين بي عرفنني، وكل هذه المعاني متقاربة. السبل: الطرق واحدها سبيل. النهى: العقول، قـال الله تعالى: (إن في ذلك لآيات لأولي النهى). يريد أنه جرب الأمور بتجارب كثيرة فارتفعت به إلى مراتب عالية ووقعت به على طرق العقول.

﴿المعنى﴾ لا يسـتهويني وينسـيني حفيظتي ومغالاتي بشـرفي طمع في نوال نائل إذا اسـتهوى الطمعَ محبو المـال. مرجحو جانب العطاء على حفظ الكرامة، وكمال القناعة، بل علمتني التجارب ما علت به همتي، وسـمت بـه مكانتـي فتبوأت مكان الشـرفاء، وحللت محل النبـلاء، وكنت كالتاج المرصـع تزدان به رؤوس الأمراء. ومما ينسـب للإمام الشـافعي رضي الله عنه:

وعـنـدي بـالـقـنـاعـة خـيـر عز وهـل عـز أعـز مـن الـقـنـاعـة
فصيرها لنفسك رأس مال وصير بعدها التقوى بضاعة
لتغنى في حياتك عن لئيم وتحظى في الجنان بصبر ساعة

(2) الإفـراط: أن يبلـغ الأمر فوق حده، والمبالغة في الشـيء وإن شـئت قلت الإفراط العجلة. النزق: الخفة.

(3) الوهن: الضـعف قال الله العزيز: (رب إني وهن العظم مني) أي ضعف.

وَصَوْنُ عِرْضِ المَرْءِ أَنْ يَبذُلَ ما ضَنَّ بِهِ مِمَّا حَوَاهُ وَانْتَصى[1]
وَالحَمْدُ خَيْرُ مَا اتَّخَذْتَ عُدَّةً وَأَنفَسُ الأَذْخارِ مِنْ بَعْدِ التُّقَى[2]

لم يدنسه:لم يوسخه. الطخا: العيب ويقال الحبل. أصون: أحفظ، والصيانة الحفظ والطخا ممدود فقصره.

﴿المعنى﴾ أرانى لاعتدال مزاجي في الرضا والغضب لا تخشى الناس خفتي إلى الأذى، ولا جوري عند الانتقام، وليس من خور أو ضعف عن النكاية بأعدائي إذا كشر أحدهم لي عن ناب أزرق، ولكنني امرؤ أتعشق ألا يخدش عرض لم يدنس بعيب، وليس الكريم من وادّ الأصدقاء وأبقى الأحباء، وإنما الكريم جد الكرم من لم يسرف في نكاية الأعداء، ولم يطعن الخصم حين نشوب الداء، فإذا لم يريدا من غل يديه، وقص ما طال من شاربيه، لم يخرج عن حد الاعتدال، إلى ما هو أشبه بالافتراس والاغتيال، ليكون في حالتي الرضا والسخط من بني الإنسان، وفي المثل النبوي «الشديد من ملك نفسه وقت الغضب».

(1) صون: أي حفظ. أن يبذل ما ضن به: أي بخل به. حواه جمعه، وإن شئت قلت حاز ملكه. انتصى: اختار يقال انتصاه ينتصيه، واجتباه يجتبيه، واعتماه يعتميه وفيه لغة أخرى اعتامه يعتامه قال الشاعر:

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد

(2) قوله: اتخذت: أي اكتسبت. عدة: عمدة. أنفس: أعلى وأرفع. الأذخار: جمع ذخر وهو المرفوع يقال ذخرت الشيء أي رفعته وخبأته ومنه قولهم أنت ذخيرتي للدهر. التقى: مخافة الله عز وجل.

﴿المعنى﴾ إنما تكون صيانة عرض المرء ببذله ما اختاره لنفسه، واحتفظ به لكيانه، فينفع به مع الضن به على غير أهله من هو لمعروفه أهل. ولو كان له خصماً لدوداً، وجباراً عنيداً، فكثيراً ما قاد المعروف

وَكُـلُّ قَـرنٍ نـاجِـم فـي زَمَـنٍ فَـهـوَ شَـبيـهُ زَمَـنٍ فيه بَدَا[1]
وَالـنَّـاسُ كَالـنَّبْتِ فَمِنْهُمْ رَائِـقٌ غَضٌّ نَضيرٌ عُـودُهُ مُرُّ الجَنَى[2]

زمام الرجال، وسـنيد الإنسـان إحسـان، وفي قول الله العزيز الحكيم: (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين). ما يبرر هذا المبدأ القويم، ثم قال: والحمد إلخ يعني أن خير ما يربحه الإنسـان الكيس في حياته الدنيا أمران لا ثالث لهما: تقوى الله العظيم أولاً، وثناء الناس وحسن أحدوثتهم عن المرء ثانياً، وفي ذلك قول الحكيم: والذكر للإنسان عمر ثانٍ.

(1) يقول: كل قرن: أي كل أمة فالقرن بالفتح الأمة. ناجم: مرتفع يقال نجم الشـيء إذا طلع وارتفع وقوله الذي: فهو شـبيه زمن فيه بدا: أي كل أمة طلعـت في زمان فتلك الأمة مشـبهة للزمان الذي نجمت فيه أي نشـأت فيـه، وهذا مأخوذ من الحديث الذي ورد «الناس أشـبه بأزمانهم منهم بآبائهم» والقرن في غير هذا الموضـع الوقت من الزمان، زعم قوم أنه أربعون سـنة، وزعم قوم أنه ثمانون سنة، وقال قوم هو مئة سنة، واختار بعضـ أهل اللغة هذا لما جاء وصـح فـي الحديث «أن النبي صـلى الله عليه وسـلم مسـح بيده على رأس غلام ثم قال له «عش قرناً فعاش مئة سـنة» وروي كل قرن بكسـر القاف وهو النظير، والتقدير وكل رجل نشأ في زمان فهو شـبيه بالزمان الذي نشـأ فيه، لأن الرفيع لا يرتفع إلا في الزمان الرفيع، والسـاقط لا يرتفـع إلا في الزمان السـاقط، وبدا بغير همز: ظهر.

(2) النبـت: والنبـات واحد وهو ما نبت: أي خرج مـن الأرض فمنه. رائق: أي معجب. الغض الطري الأخضـر الناعم وكذلك. النضـير: أيضاً قال الله عـز وجل: (وجوه يومئذ ناضـرة) أي ناعمة. الجنى: ما اجتنى من الثمر

وَمِنْـهُ مَـا تَقتَحِمُ العَيْـنُ فَـإِنْ ذُقتَ جَناهُ انْسَاغَ عَذْباً في اللَّها[1]

أي قطف وهو مفتوح الجيم مقصور.

﴿المعنى﴾ أن كل أمة نشـأت في أي عصـر فهي تابعة لعصـرها الذي تربت وترعرعت أيّاً كان نوعه، فإن كان عصـر بـر وخير، وجمال وكمال، فهي أمة المجد والعز والشـرف محمودة الخبـر، طيبة الأثر، وتامة العرفان، قوية السلطان، وإن كان عصر محق وبلاء، واستهتار بما بدا بين الأرض والسـماء وخاصـم المجمـوع منهـا العلمـاء والحكماء، وغمطـوا حقوق النبغاء، وأعرضوا عن العقلاء، فهي أمة الذلة والمهانة، منهوكة العرض والصـيانة، تجنـي بما اقترفـت يداها الآثمتـان البوار والدمـار، والعار والشـنار، وانقسامها على نفسـها، وإنما الناس كالنبت الطيب والخبيث فـالأول كما وصـفه الله جل شـأنه بقوله تعالى: (كشـجرة طيبة أصـلها ثابت وفرعها في السـماء تؤتي أكلها كل حين بـإذن ربِّها). يروق الدائي وداؤها ويعم نفعها، والثاني كما قال جل شـأنه: (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم) كالحنظل خضر نضر غير أنـه مر المذاق إذا ازدرد فتت الأمعاء. وألهب الداء، كذلك بنو الإنسـان وأفراد المجتمع البشـري البعض حميد الخصـال، لذيذ المقال، شريف المبدأ نافع في المجمتع، والبعض الآخر أدنى من البقر العجاف، والسم الزعـاف، لا يرجـى خيـره، ولا يبعد عن المجتمع شـره. وأهل الفراسـة في مملكة سـيام يقولون إن كل فرد من بني الإنسـان لـه نظير في أفراد الحيوان لا ينقص عنه شيئاً في العادة والخلق.

(1) تقتحـم العين: أي تتركـه كرهاً له وتعدوه إلى غيره. فـإن ذقت جناه: أي ما اجتنى منه. انسـاغ: أي سـهل بلعه: عذباً: أي حلواً. اللها: بفتح اللام جمع لهاة وهي اللحمة المتعلقة بأصـل الحنك، واللهى بالضم جمع لهوة

يُقَوَّمُ الشارِخُ مِن زَيْغَانِهِ فَيَستَوي ما انْعاجَ مِنْهُ وَانْحَنَى[1]
وَالشَيْخُ إِنْ قَوَّمْتَهُ مِنْ زَيْغِهِ لَم يُقِمِ التَّثقيفُ مِنْهُ مَا الْتَوَى[2]

وهي المال والعطية، والأصل في اللهوة بالضم ما يجعله الطاحن في فم الرحى ليطحن، الواحدة لهوة ولهية.

(1) الشارخ: الشاب الحديث المستقبل للشباب، وشرخ الشباب أوله زيغانه: بالزاي والغين ميله، يقال زاغ الشيء إذا مال بزيغ زيغاً قال الله جل ذكره: (وإذ زاغت الأبصار) أي مالت وقوله: (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم). انعاج: انعطف. انحنى: مثله.

﴿المعنى﴾ في هذا البيت والذي قبله: أن مظاهر الناس ودخيلتهم كمظاهر النبات ودخيلته، فكما ترى نبتاً يأخذك الإعجاب بنضرة عوده، وامتداد ساقيه، وحسن روائه، فإذا ذقت ثمره وجناه كان المر المذاق، والطعم الذي لا يطاق، وترى نبتاً آخر تقتحمه عينك وتزدريه لرداءة منظره وقبح روائه حتى إذا ذقت جناه وجدته عذباً شهياً، سائغاً هنياً، تقر به العين، وينشرح له الصدر. كذلك ترى من بنى الإنسان من تغتر بمظهره، وما شاع بين الناس من لطيف مخبره، فاذا حككته بمحك العشرة واختبرته وسبرت غوره، بدا وكأنما قرد يقهقه أو عجوز تلطم، وترى من لا تعيره التفاتاً، ولا تقيم له وزناً لدمامة في خلقه، أو إهمال في قيافته وتنظيم هندامه حتى إذا خالطته أعجبك منه حسن خلاله، وشريف خصاله، وربما لمت نفسك على التفريط في واجبه، ثم قال علامة الأزد: يقوم الشارخ إلخ يعني أن الشاب في حداثته قابل للثقافة والتعليم، وتقويم ما اعوج من أمره وأساء في فعله، كالأرض الخصبة القابلة للاستثمار.

(2) قوله: من زيغه: أي من ميله. لم يقم: لم يعدل ولم يقوم. التثقيف: التقويم. ما التوى: أي ما تعوج.

كَذَلِكَ الغُصْنُ يَسيرٌ عَطْفُهُ لَدْناً شَديدٌ غَمْزُهُ إذا عَسَا[1]
مَنْ ظَلَمَ النَّاسَ تَحَامَوْا ظُلْمَهُ وَعَزَّ عَنْهُمْ جَانِباهُ وَاحْتَمَى[2]

(1) كذلك الغصن: أي الفرع. يسير: سهل. عطفه: رده. واللدن: اللين. والغمز: هنا اللمس باليدين والتقويم. عسا: صلب ويروى عتا بتاء بنقطتين من فوق ومعناه أيضاً صلب.

﴿المعنى﴾ أن الشيخ وهو في اللغة من بلغ الأربعين عاماً والمراد به هنا من انقضى زمن شبابه في غير ثقافة علمية أو تجارب اجتماعية، إذا اعوج منه أمر وأردت إصلاحه أو تقويمه بشتى الوسائل لم يقم تثقيفك له ما التوى من أمره للعادة المتأصلة فيه، والاستبداد بالرأى المتغلغل في لبه منذ نشأ وشب، ومن شب على شيء شاب عليه، فهو كأرض صخرية أو قاع عرفج لا ينبت الكلأ ولو خالطه الربيع وفي المثل من شعر بديع:

ذهبت إلى العطار يصلح عيبها ولن يصلح العطار ما أفسد الدهر

وقوله كذلك الغصن إلخ يعني: أن الشبان والشيوخ كالغصن رطباً ويابساً فكما يمكن تقويم الغصن ما دام لدناً رطباً كذلك الشبان ما داموا في شرخ الشباب، وكما لا يمكن تقويم ما اعوج منه إذا يبس وعتا فكذلك الشيوخ متى صلبت أعوادهم وجمدت أفكارهم:

إن الأمور إذا قومتها اعتدلت ولا يلين إذا قومته الخشب

وليس يقصد علامة الأزد تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنهما لا يفيدان الشيوخ بل يعني أن الثقافه زمن الشباب يتحقق نفعها وتربو آثارها حيث ينغرس في القلب حبها والعمل بها.

(2) من ظلم الناس: أي تعدى عليهم وأضرّ بهم، وأصل الظلم وضع الشيء في غير محله، وزعم قوم أن الظلم إنما هو أخذ الإنسان ما ليس له، ومنه قولهم من أشبه أباه فما ظلم، أي ما وضع الشبه في غير ما ليس

وَهُـــمْ لِـمَـنْ لاَنَ لَـهُـمْ جانِبُـهُ أَظْلَمُ مِنْ حَيَّاتِ أَنْبَاثِ السَّفَا[1]

له، وهذا يرجع إلى ما قلناه إنه وضع الشيء في غير موضعه لأنه إذا أخذ ما ليس له فقد وضع الشيء في غير موضعه. تحاموا ظلمه: تباعدوا عنه وامتنعوا منه. وعزعنهم: امتنع عنهم، والعزة القوة والشدة، ومنه قولهم إذا عـز أخوك فهن، ومنه قول الله عز وجـل: (وعزني في الخطاب) أي غلبنـي في الخطاب ونحوه قوله جل ذكره: (ليخرجن الأعز منها الأذل) أي ليخرجن القوي منها الضعيف. جانباه: ناحيتاه. احتمى: امتنع.

(1) لان: ضـعف وسهل. الأنباث التراب المستخرج من البئر، يقال نبث ينبث إذا حفر واسم الفاعل نابث ونباث قال الشاعر:

يـهـيـل ويـــذري تـربـهـا ويـثـيـره إثـارة نـبـاث الـهـواجـر مخمس

أي مسـتخرج للتراب. السـفا: هنا التراب، وهو ما تسـفيه الريـح أي تحمله وترمي به، وقيل السـفا تراب القبر، والسـفا في غير هذا شـوك البهمى وشوك السنبل.

﴿المعنـى﴾ إن نفوس العباد جبلت على الظلم وقهر الغير وحب الظهور بقوة الغلبة ونفوذ السـلطان بداعي التنازع في البقاء، والتمتع بالحياة، ويخيل لكل نفس أنها متى قهرت ضـاعت حياتها، وانسدت سبل الاستثمار أمام ناظرها، لهذا كان طبعياً أن تميل إلى السـيطرة على مال الغير من ملك وانتفاع كما قال الشاعر غير مبالغ:

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عـفـة فـلـعـلـة لا يـظـلـم

وإنما يسـلم من عاديـات الخلق وامتداد أيديهم إلى مـا يملك من حول وقوة إذا هو سـبقهم إلى ما يتعشقونه، فتغداهم قبل أن يتعشوه، وظلمهم قبل أن يظلموه، وحينئذ يتقون شره، ويحذرون ضره، ويعز جانباه من أن ينال منهم بسـوء، أو يتعدى عليه أي معتد، كمـا أنهم أظلم من حيات القبور،

عَبيدُ ذي المَالِ وَإنْ لَمْ يَطْمَعُوا مِنْ غَمْرِه في جُرْعَةٍ تَشفي الصَّدَى[1]
وَهُمْ لِمَنْ أَمْلَقَ أَعداءٌ وَإنْ شارَكَهُمْ فِيمَا أَفَادَ وَحَوَى[2]

وعقارب السفا بين طيات الصخور، لمن لان جانبه وأبعد عنهم أذاه وهو بمغزى قول الشاعر:

من يحذر الناس مات همّاً وفاز باللذة الجسور

ثم ينبغي أن يقال إن علامة الأزد لا يقصد بالبيتين حض الناس على الظلم، فإن هذا مبدأ فوضوي همجي لا يليق بعلامة أديب، وحكيم أريب، وإنما يقصد أن الخنوع والخضوع للحد المزري لا يليق بمن يريد الحياة مع الخلق المتذئب، ومن لم يتذأب تأكله الذئاب، فالمقصود أن يعرف شجاعاً فيخاف بطشه إذا هو استغضب، أبيّ الضيم إذا هو سلب، فيذهب عنه كل أذى وشر، وكفى أنه لا يضر، وتمتلئ العين به مهابة وإجلالاً.

(1) الغمر: الماء الكثير الذي يغطي من دخله، وهو هاهنا العطاء، يقال رجل غمر أي واسع الخلق كثير العطاء. الجرعة: القليل من الماء مثل الحسوة. تشفي: تبري الصدا: العطش وهو مصدر صدى يصدى صدى.

(2) أملق: افتقر والإملاق الفقر قال الله عز وجل: (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق) أي فقر ومنه رجل مملق أي فقير، وكذلك مخفق وصعلوك ومقتر ومصرم والمصرم الذي ذهبت إبله ورجل سبروت أيضاً وامراة سبروتة وسبريته وقوم سباريت، وكذلك قرضوب وقرضاب أي فقراء. أفاد: أكسب. يقال أفاد الرجل مالاً إذا أكسبه. وحوى: ملك وجمع.

﴿المعنى﴾ أن الناس جبلوا على احترام أرباب الأموال ولو لم يضربوا في الحسب والنسب بسهم، بل ولو لم يستفيدوا من مال الغني جرعة ماء تنقع غلتهم، أو مضغة من طعام تسد رمقهم، أو بنساً من فلس يقضي حاجتهم، بل ولو ضم ضحضاحهم إلى غديره، وتوحش كالليث في

عَاجَمْتُ أَيَّامِي وَمَا الْغِرُّ كَمَنْ تَأَزَّرَ الدَّهْرُ عَلَيْهِ وَارْتَدَى[1]
لا يَرْفَعُ اللُّبَّ بِلا جَدٍّ وَلا يَحُطُّكَ الْجَهْلُ إِذا الجَدُّ عَلا[2]

عرينه، كما جبلوا على استرذال من أملق، ولو انتسب إلى مجد موثل وشرف محقق، بل ولو بذل لهم كل ما ملك، أو شاركهم فيما استفاد، فهو المقتحم المرذول، والثقيل المبتذل، وما أفاده علامة الأزد في هذين البيتين من خلق اجتماعية، وزهرة طبعية وفلسفة منطقية هو الواقع الذي لا شك فيه، حتى بين طبقات المثقفين، ماداموا مخاريق ماديين، ومن نظم أهل العرف العام في ذلك قولهم:

إن قل مالي فما خل يصادقني أو زاد مالي فكل الناس خلاني

وإنما تتجلى لك هذه الزهرة متفتحة البراعم بين القرويين في سادتهم الطغام، الذين سابقوا في الجشع أشعب، ودنسوا الإنسانية دنس الكلب الأجرب، أعاذنا الله وأهل المعرفة الحقة والخلق المطبوع من هذا الخلق الدنيء، فما المال إذا قيس بالخلق إلا كقلامة الأظافر، ولقد تمثلت السيدة خديجة الكبرى أم المؤمنين رضي الله عنها حين قال لها قومها: كيف تتزوجين محمداً وهو فقير؟! فقالت:

إذا سلمت رؤوس الرجال من الردى فما المال إلا مثل قص الأظافر

(1) عاجمت أيامي: أي ماضغتها يقول مضغتني ومضغتها وعركتني وعركتها. الغر: الذي لم يجرب الأمور. تأزر: من الإزار كأنه يريد أنه جرب الدهر حلوه ومره فكأن الدهر تغلب عليه بأحواله حلوها ومرها.

(2) قوله: لا يرفع اللب: وهو من الرفعة أي لا تعلو منزلته، ويروى لا ينفع من النفع الذي هو ضد الضر، واللب العقل وجمعه ألباب. الجد: بالفتح الحظ والبخت. ولا يحطك الجهل: أي لا ينزلك ولا يسفلك، ويروى ولا يحبطك الجهل أي لا يبطل حظك ولا يسقط رفعتك، ومنه قوله جل ذكره:

مَنْ لَمْ يَعِظْهُ الدَّهْرُ لَمْ يَنْفَعْهُ مَا رَاحَ بِهِ الوَاعِظُ يَوْماً أَوْ غَدَا[1]
مَنْ لَمْ تُفِدْهُ عِبَراً أَيَّامُهُ كَانَ العَمَى أَوْلَى بِهِ مِنَ الهُدَى[2]

(وأحبط أعمالهم) أي أبطلها. إذا الجد علا: أي إذا السعد ارتفع.

﴿المعنى﴾ لقد مضغتني أيامي ومضغتها، وجربتني وجربتها، فأنا بها خبير وبتقلباتها بصير، ولا يستوي المدره المرن المحنك، بالعز الحسن الظن بدهره وناسه، فإن الأخير ناقص قال الشنفرى:

وحسن ظنك بالأيام منقصة فظن شراً وكن منها على وجل

ثم قال: لا يرفع اللب إلخ يعني أن عقل العاقل وعلمه لا يرفعان شأنه بين الخلق الهوج بلا مال يكبره في نظرهم القاصر، وتفكيرهم الفاتر، كما لا يحط قدره بينهم تبلده وجمود قريحته وجهله متى سعد حظه وعلا جده. وهذه النظرية أثر للنظرية الأولى ما دام الخلق عبيد المال.

(1) من لم يعظة الدهر: أي من لم يبصره. راح: أتى بالعشي، واغتدى أتى بالغدو.

(2) من لم تفده: أي تكسبه مأخوذ من أفاد يفيد إذا أكسب. العبر: جمع عبرة وهي التذكرة. العمى: هنا عمى القلب وهو انطماس ذكائه. الهدى: القصد إلى الصواب.

﴿المعنى﴾ من لم يتخذ من حوادث الزمن عبرة وهداية يتبصر بهما فيما يعرض له من أحوال لم ينتفع بعظة الواعظ ولو نصح ليل نهار، وصباح مساء، فإن القول مهما بلغ منطق سحبان، وفصاحة حسان، أقل تأثيراً في القلب من التجربة الفعلية، فمن لم تفده أيامه عبراً وحنكة وخبرة بكثير من الأمور كان أولى بأن يتصف بعمى البصيرة وفقد الذكاء، من أن يعد في عداد العقلاء.

مَـنْ قَـاسَ مـا لَـم يَـرَهُ بِمَـا يَـرَى أَرَاهُ مـا يَـدنُـو إِلَـيْـه مَـا نَأَى[1]

مَـنْ مَلَّكَ الحِرْصَ القِيادَ لَمْ يَزَلْ يَكْرَعُ فِي مَاءٍ مِنَ الذُّلِّ صَرَى[2]

(1) مـن قاس: من مثل، والقياس في اللغة التمثيل وحده عند الأصوليين أن يقال القياس: حمل أحد المعلومين على الآخر بمعنى يجمع بينهما، وقيل حد القياس رد فرع على أصل في بعض الأحكام بمعنى يجمع بينهما، وقيل القياس: رد الشيء في الحوادث إلى نظيره وقوله: أراه ما يدنو: أي ما يقرب. ما نأى: ما بعد، يقال نأى ينأى نأياً ومعنى هذا البيت. يقول من كان عاقلاً عارفاً بالأمور تبين له ماغاب عنه بما ظهر له بقياس عقله وحسن رأيه وأدبه.

(2) من ملك الحرص: الحرص الاجتهاد في طلب كل مرغوب فيه مع كثرة الموانع منه. يقال حرص يحرص فهو حريص. والقياد: الطاعة من قولك قدت الدابة فانقادت لي: أي أطاعتني. يكرع: أي يخوض في الماء، ويقال أيضاً كرع الإنسان في الماء يكرع كروعاً إذا شربه. الصرى: الماء الدائم الذي قد طال مكثه فتغير فيه، والصرى من اللبن أيضاً ما طال مكثه في الضرع ولم يحلب، والصرى جمع، والواحدة صراة ويقال شاة مصراة إذا حلبت في ثلاثة أيام حلبة، وحكى الفراء صرت الناقة وصريت لغتان فعَلت وفعِلت، وأصل التصرية الجمع.

﴿المعنى﴾ من قدر ما غاب عن حسه الظاهر بما شاهد، أظهر له هذا التقدير ما خفي عنه وقرب إليه البعيد، فيحكم على ما سيكون بحكم ما هو كائن، مادام متحداً معه في رتبة الإمكان. ومن ملك الحرص والشح زمامه تجرع كؤوس الذل والمهانة في كثير من أموره وغالب أحيانه، حيث لا كرامة مع الحرص الشديد، ولا لذة للحياة مع فقد الكرامة، ولا يزال الحريص يشرب ماء حياته آسناً كدراً، وغضاً غير سائغ، منحط

مَنْ عَارَضَ الأَطْمَاعَ باليَأْسِ رَنَتْ ... إلَيه عَيْنُ العزِّ مِنْ حَيْثُ رَنَا[1]

مَنْ عَطَّفَ النَّفْسَ عَلى مَكروهها ... كانَ الغنى قَرينَهُ حَيْثُ انْتَوَى[2]

مَنْ لَمْ يَقِفْ عِنْدَ انْتهاءِ قَدْرِه ... تَقاصَرَتْ عَنْهُ فَسيحَاتُ الخُطَا[3]

مَنْ ضَيَّعَ الحَزْمَ جَنَى لِنَفْسِه ... نَدامَةً أَلْذَعُ مِنْ سَفْعِ الذَّكا[4]

القدر قليل الاعتبار، قال الحكيم:

ببذل وحلم ساد في قومه الفتى ... وكونك إياه عليك يسير

(1) الأطماع: جمع طمع. اليأس: انقطاع الرجاء. رنت: نظرت.

(2) عطف: أمال ورد. كان الغنى قرينه: أي صاحبه. حيث انتوى: أي حيث نوى وهو من النية ومعنى النية القصد، يقال نويت أمر كذا أنويه نية إذا قصدته وقيل حيث انتوى حيث بعد، وهو من النوى أي البعد وجاء على بناء افتعل.

﴿المعنى﴾ من حارب أطماع النفس فيما ملكته يد الغير باليأس منه وقطع الرجاء في الحصول عليه وتعويد النفس عدم الرغبة فيه نظرت إليه عين العز والمجد والشرف من حيث نظر، وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم: «ازهد فيما في أيدي الناس تحبك الناس» ومن حبس النفس على ما تكره من الجد والاجتهاد وكفها عن السرف والتبذير وكبح جماحها عن سيرها في ميادين شهواتها كان غنى النفس والمال قرينيه في كل ما نوى الغنى والسراء فيه.

(3) انتهاء قدره: غاية قدره. تقاصرت: قصرت. فسيحات: واسعات. فلاة فسيحة: أي واسعة. الخطا: جمع خطوة، وكتابته بالألف لأنه يرجع إلى الواو في قولك خطوات في الجمع، وخطوت إذا رددت الفعل إلى نفسك ويخطو في المستقبل.

(4) من ضيع: ترك، والمضيع التارك. الحزم: الاحتراس في الأفعال

والاستعداد للأمور قبل وقوعها. جنى لنفسه ندامة: أي قادها إليها كما يجني الثمرة أي يجمعها ويقطعها، ويجوز أن يكون جنى بمعنى جر على نفسه ندامة فتكون اللام في نفسه بمعنى على، وندامة حسرة وتأسفاً. ألذع: أشد حرقة. السفع: الإحراق. الذكا: التهاب النار مقصور يكتب بالألف لأنه من ذوات الواو، يقال ذكت النار تذكو ذكواً وأما الذكاء من الفهم فممدود وكذلك الذكاء بمعنى السن من العمر قال زهير:

يفضله إذا اجتهد عليه تمام السن منه والذكاء

والذكاء مضموم الأول ممدود اسم الشمس، ويقال للصبح ابن ذكاء، وهو غير مصروف لعلتي التأنيث والتعريف قال الراجز:

وردته قبل انبلاج الفجر وابن ذُكاء كامن في كفر

يعنى أن الصبح كامن في سواد الليل لأن الكفر في اللغة التغطية فكأن سواد الليل كفر الصبح أي غطاه.

﴿المعنى﴾ أن ذا الهمة الكبيرة، والنفس المتوثبة، لا يقف عند حد محدود من العمل المثمر، والمنزلة العالية المرجوة، بل كل ما وصل إلى كمال طلب الأكمل منه، ما دام في مناط قدرته ومحل اختباره فتتقاصر عن إدراك غايته همم الرجال، وقوى الأبطال، وحينئذ لا يندب حظه، ولا يحسد غيره منشداً قول اليائس العاجز:

تقدمتني أناس كان خطوهم وراء خطوي لو أمشي على مهل

بل ينشد:

وما أنا راضٍ أنني واطئ الثرى ولي همة لا ترتضي الأفق مقعدا

ومن ضيع الحزم والعزم وكسر حدة الإرادة وفتّ في عضد نفسه عن إدراك المعالي والعوالي، فقد جر على نفسه حسرة وندامة أشد لذعاً في الجسم

مَنْ ناطَ بالعُجْبِ عُرَى أَخْلاقِه نيطَتْ عُرَى الْمَقْتِ إلى تلكَ العُرَى[1]
مَنْ طالَ فَوقَ مُنتَهَى بَسْطَتِهِ أَعْجَزَهُ نَيلُ الدُّنَا بَلْهَ القُصا[2]

من لذع جمر الغضى وأحز في النفس من ذبح المدى، من حيث لا تجدي إحداهما بعد فوات الوقت وبعد الغرض.

(1) قوله: من ناط: أي علق وألصق. يقال ناط فلان الشيء ينوطه نوطاً فهو نائط والشيء منوط أي معلق والنياط عرق غليظ علق به القلب وجمعه أنوطة فترد الياء إلى الواو لأنها في النياط عرق غليظ علق به القلب وجمعه أنوطة فترد الياء إلى الواو لأنها في النياطة مبدلة من واو. عرى: جمع عروة وهو ما يتمسك به أي يتعلق به. أخلاقه: طبائعه. نيطت: علقت، المقت أشد البغض يقال فلان مقيت وممقوت. يقول من كان ذا عجب وقرن ذلك بأخلاقه قرن ذلك العجب بشدة البغض له.

(2) قوله: من طال: أي من ارتفع، والبسطة الفضلة يفضل بها الإنسان على غيره، ومنه قول الله تبارك وتعالى: (وزاده بسطة في العلم والجسم) وقوله أعجزه نيل الدنى: أي أضعفه وقصر به، وقيل فاته، والنيل الإدراك والدنى جمع الدنيا وهو الشيء القريب. القصا: جمع القصوة وهو الشيء البعيد قال الله جل ذكره: (إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى) وبله بمعنى غير، وقيل بمعنى دع، وفي الحديث «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، بله ما اطلعتم عليه» يريد غير ما اطلعتم عليه، فإذا كانت بمعنى غير كان ما بعدها مخفوضاً على الإضافة، وإذا كانت بمعنى دع كان ما بعدها منصوباً مفعولاً ببله لأنها تضمنت معنى دع كما تقول دع زيداً، وأنشد النحويون قول الشاعر:

تذر الجماجم ضاحياً هاماتها بله الأكف كأنها لم تخلق

مَـنْ رامَ مـا يَـعْـجَـزُ عَـنـهُ طَـوْقُـهُ مِلعَبْءِ يَوْماً آضَ مَجْزولَ المَطا[1]

معناه تفعل هذا في الجماجم دع الأكف كأنها لم تخلق أو غير الأكف، وكذلك يقـول ابـن دريد رحمـه الله من طال فوق قـدره أعجزه نيـل الدنى وهي الأمور القريبة بله القصا فإنك لا تدركها إذا لم تدرك القريب.

﴿المعنى﴾ أن من امتلأ عجباً بنفســه أو عمله أو ماله وما إلى ذلك من جاه وولـد وخـول وخدم فقد غرس في قلوب الخليقة مقتـه، وألبهم عليه من حيث يشـعر ولا يشـعر، والعجب من أمراض القلوب ونقصـان العقول إذ يجر إلى التهاون والاسـتخفاف بغيـره، فيترك واجبهم فيقابل بالمثل أو أنكى وأشـد، كذلك من رفع نفســه فوق قدرها، وتمـدد أطول من قامته وغاية بسـطته لينـال ما لا يناله مثله، ويطلب مـا لا يرتفع له قدره، فقد كلف نفســه أمراً إدّاً، وكان كجعل يريد أن يسـابق في تسـلق الأشـجار قرداً، أو كعصفورة أرادت أن تبيض بيضة النعامة، فمثل هذا يعجز عن نيل القصير فضـلاً عن الطويل، والقليل بله الكثير، وعن الدنا وبالأولى عن القصا.

(1) من رام: من طلب. ما يعجز: أي ما يقصر عنه. طوقه: طاقته يقال طاقة وطـوق بمعنـى القوة. قـال معاوية بن أبي سـفيان رضـي الله عنهما لما حضره الموت:

إن تـعـذب يكن عـذابـك يـارب غـرامـاً لا طـوق لـي بـالـعـذاب

أو تـجـاوز فـأنـت رب عفـو عـن مسـيء ذنـوبـه كـالـتـراب

والطوق أيضاً في غير هذا حلي يجعل في العنق، وكل شيء استدار فهو طوق، وقوله: ملعبء: أصـله مـن العبء. فحذف النون والألف ووصـل الكلام، والعبء: الثقل، وجمعـه أعباء. آض: رجع. المجزول: المقطوع، والجزلة من اللحم القطعة منه والمطا الظهر.

وَالنَّاسُ أَلْفٌ مِنهُمُ كَواحِد وَواحِدٌ كَالأَلْف إِن أَمرٌ عَنَى[1]
وَلِلفَتى مِنْ مالِهِ ما قَدَّمَتْ يَداهُ قَبْلَ مَوْتِهِ لا ما اقْتَنى[2]

(1) وقوله: إن أمر عني: أي قصد، وقد يكون من العناء وهي المشقة ويقال أيضا عناني الأمر إذا لزمني.

﴿المعنى﴾ من قصد أن ينال ما لا طاقة له في الحصول عليه، وتجشم أسبابه، ومشقة السعي وراءه كان كالمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى، وعاد بخفي حنين مقطوع الظهر بالعبء الثقيل الذي لا يحمل ظهره مثله – وربما كانت الرواية بالعبء فينتفي التكلف مع استقامة المعنى والوزن، ثم قال: والناس إلخ هو بمعنى قول القائل: وكل ألف لا يعد بواحد. يعني ليست الكثرة محل اعتبار الإنسان، ومعقد عزه وعلو همته ومنبع فضله، فقد يقوم الفرد بما لا تقوم به الجماعة، وينال من سمو المكانة ما تقاصرت عنه زرافات الأفراد كسيد الخليقة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الكامل فيما عمله الفرد للجماعة من إصلاح عجزت عنه الملايين، وثقافة علنية عم فضلها وانتفع بها سائر سكان المعمورة شرقيون وغربيون، شماليون وجنوبيون، وكأقطاب الصحابة أمثال خالد بن الوليد، وأبي عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، والإمام علي بن أبي طالب، وكأبي مسلم الخراساني في عهد العباسيين وكأبطال اليوم كمصطفى كمال التركي وعصمت الكردي فكل واحد ممن ذكروا كمليون أو يزيد إن عنى أممهم أمر يستدعي ساسة مفكرين وقواداً ماهرين ورجالاً مخلصين عاملين.

(2) قوله: اقتنى: أي اكتسب، وقيل ادخر قال الله عز وجل: (وأنه هو أغنى وأقنى) أي أعطى ما يدخر.

وَإِنَّـمـا الـمَـرْءُ حَـديـثٌ بَـعـدَهُ فَكُنْ حَديثاً حَسَناً لِمَن وَعَى[1]
إِنّـي حَلَبتُ الـدَّهْـرَ شَـطْرَيْـه فَقَد أَمَـرَّ لـي حيـنـاً وَأَحـيـانـاً حَلا[2]
وَفَـرَّ عَـنْ تَـجْـرِبَـةٍ نـابِـي فَـقُـلْ فِي بازِلٍ رَاضَ الخُطُوبَ وَامْتَطَى[3]

(1) قوله: لمن وعى: أي حفظ. يقال وعى يعي وعياً قال الله عز وجل: (وتعيها أذن واعية) ويقال وعى جمع وبهذا فسرت الآية.
﴿المعنى﴾ أن المال عرض زائل، وظل حائل، فليس يخلد منه إلا ما أنفق في عمل البر ونفع الناس بالطرق المشروعة السماوية، والأوضاع الإلهية، لا يضاف منه إلى صاحب اليد إلا ما بذله فيما يدوم نفعه، ولا يضيع عند الجليل عوضه وأجره، فما حرص عليه غير الباذل في البر من مال وعقار، واقتناه من نتاج واستثمار ليس له، وإنما هو حارس عليه يتنقل بعد موته غير مأسوف عليه لخلفه وكم بدد الخلف ما جمع السلف قال تعالى: (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يُرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى وأن إلى ربك المنتهى وأنه هو أغنى وأقنى).
(2) حلبت الدهر: أي جربته. شطريه: نصفيه وهذا مثل، وأراد بشطريه أول زمانه وآخره أو نعيمه وبؤسه. فلذلك ثناه تقول شطرت الشيء إذا جعلته نصفين فهذا صرف منه فعل، وأما الشطر الذي هو القصد فلا يستعمل منه فعل قال الله عز وجل: (فولّ وجهك شطر المسجد الحرام) أي قصده وتلقاءه.
(3) قوله: وفر عن تجربة نابي: أي كشف عن أمري وهذا مثل مأخوذ من قولهم فر عن الدابة إذا فتح فاها ليعرف سنها وينظر صغرها من كبرها، والناب الضرس الذي يلي الرباعية. راض الخطوب: أذلها يقال رضت الفرس إذا ذللته، والبازل من الإبل الذي أتت عليه تسعة أعوام، والخطوب الأمور النوازل واحدها خطب. وامتطى: الدابة ركبها وجعلها مطية.

وَالنَّاسُ لِلْمَوْتِ خلاً يَلُسُّهُمْ وَقَلَّ ما يَبْقَى عَلى اللَّسِّ الخَلا[1]

عَجِبتُ مِنْ مُسْتَيقِنٍ أَنَّ الرَّدَى إذا أَتاهُ لا يُداوَى بِالرُّقَى[2]

﴿المعنى﴾ أني قتلت الزمان بحثاً وتنقيباً، وحككته بمحك النظر والاعتبار وعرفت أوله وآخره، ونعيمه وبؤسه، وصفاءه وتقلبه، فمرة لذّ وحلا، ومرة بدا كقذى الشجا، وإن رجلاً كشف عن نابه الدهر فثبته أو أزله لمجرب للأمور محنك، فقل ما شئت في من هو كالجمل عمر وخبر وسبر وصبر على المشاق فأذل الخطوب ولم يمتط غير الصعاب.

(1) الخلا: الحشيش الرطب. يلسهم: يأكلهم، واللس: أن تأخذ الماشية الخلا الرطب بمقدم فيها يقال في تصريفه: لست الدابة الخلا تلسه لسّاً فهي لاسة إذا أخذته بمقدم فيها، وهذا مثل مضروب للموت والناس.

(2) مستيقن عالم، الردى: الهلاك قال عز وجل: (واتبع هواه فتردى) وتصريفه ردى يردى ردى. الرقى: جمع رقية.

﴿المعنى﴾ أن الناس أمام الموت كالحشيش الأخضر أمام الحيوانات السوائم يتناولهم تباعاً لا يبقي ولا يذر لا فرق بين صغير وكبير، وعظيم وحقير، كما تتناول البهائم بألسنتها هذا اللس فتقضمه قضماً، وتهصره هصراً ثم تزدرده كأن لم يكن أبّ وترعرع، واخضر وفرع، حتى تدع موضعه أجرد يراه الناظرون بعد حسن منظره أسود، وإن عجبي ليزيد ممن تيقن أن الهلاك رائده، والفناء مصيره، وأنه إذا حم القضاء وانتهى الأجل لم تنفعه الرقى، ولم تدفع سطوته التمائم، ثم لا يقبل فيه العوض وهو مع ذلك في غفلة عما يعده لحياته المستقبلة الدائمة، وروحه الباقية الخالدة، وما الحياة الأولى إلا قنطرة للثانية قال تعالى: (ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين).

وَهْـوَ مِـنَ الغَفلَة فـي أَهْـوِيَّـة كَخابِط بَيـنَ ظَـلام وَعَشَا[1]
نَـحْـنُ وَلا كُـفْـرانَ لِلّه كَمـا قَدْ قِيلَ لِلسَّارِبِ أَخْلَى فَارْتَعَى[2]

(1) الأهويـة الغامضـ مـن الأرض وهي الحفرة التي يضـيق أعلاها ويتسـع أسـفلها. الخابط: الذي يمشـي ليلاً بغير مصـباح فربما وقع في بئر أو سقط على شيء وهو لا يدري أين يجعل رجليه فيطأ كل شيء وهو لا يراه. العشا: ضعف في البصر يقال رجل أعشى وامرأة عشواء.

(2) ولا كفـران للّه: أي ولا جحـد للّه والكفـران والكفـر واحـد، وأصـل الكفر التغطيـة يقال كفر فلان النعمـة إذا عرفها وكتمها ويقـال لليل كافر لأنه يستر بظلمته، وسمى الزارع كافراً لأنه إذا ألقى البذر في الأرض كفره أي غطـاه قال اللّه عز وجل: (كمثل غيث أعجب الكفار نباته) والكفار هاهنا الـزراع. ويقال جاء فلان فـي ألف كافر يريد في ألـف فارس ممن غطى عليه السلاح وسـمي طلع النخيل كافوراً لاستتاره في أغطيته، وأحسن ما قيل في قول النبي صـلى اللّه عليه وسـلم «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضـرب بعضـكم رقاب بعض» أي لا يتكفر بعضـكم لبعض في السـلاح. السارب: الظاهر بماله من الماشـية وكل متصـرف في حوائجه فهو سـارب، ومنه قول اللّه عز وجل (ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) وقال الشاعر:

وكل أنـاس قـاربـوا قيد فحلهم ونـحـن حللنا قيـده فهو سارب

قوله: فهو سـارب أي ذاهب وقوله: أخلى: أي دخل في الخلاء وهو الحشـيش الرطـب، كما يقال أظلم أي دخل في الظلام وأصـبح دخل في الإصـباح وأمسـى دخل في الإمسـاء، وقيل أخلى صـار في خلوة والتقدير على هذا نحن كهذا السارب الذي في خلوة. ارتعى: رعى.

﴿المعنى﴾ أن الغافل عن مصيره المحتوم، المقصر فيما يتخذه عدة لراحته فـي اليـوم المعلوم، كالذي وقـع في هوة سـحيقة فهو يظـل يتمطى حتى

إذا أَحَسَّ نَبْأَةً رِيعَ وَإِنْ تَطامَنَتْ عَنْهُ تَمادَى وَلَهَا[1]
كَثَلَّةٍ رِيعَتْ لِلَيْثٍ فَانْزَوَتْ حَتّى إذا غابَ اطْمَأَنَّتْ أن مَضَى[2]

يخرج من فوهتها حاسر الذراعين مكشوف الساقين خائر القوى، متمدد العضلات، ثم لا يكون سيره مع هذه الغفلة المنكرة إلا كسائر ليلاً بلا مصباح في شدة الظلماء، يخبط خبط العشواء، فقلما نجا من سقطة مريعة، وقد فات الوقت ولات حين مناص، فشق عليه الخلاص، ونحن بلا شك صائرون إلى الله عائدون إلى محل الجزاء على ما قدمنا من عمل صالح أو طالح، فإن خلق الإنسان في أحسن تقويم، وأبدع تصوير وإنشاء السماوات وما فيهن من الكواكب النيرة والنجوم الزواهر، وإيجاد الأرض وما عليها من أطوار وأنهار وبحار زواخر، لم يخلقه الله الحكيم على أبدع مثال لهذا الأمد القصير، وما عيشنا على الأرض وحياتنا فيها لا نشعر إلا بالمفاجئ إلا كحالة السارب أعطيت له حرية الرعي في حشيش أخضر فتطامن ورتع حتى إذا أحس بهيعة أو نبأة ريع لها وفزع منها.

(1) أحس: يعني السارب ومعنى أحس علم. النبأة: الصوت الخفي. ريع: فزع. اطمأنت: هدأت وسكنت، وكذلك تطامنت. تمادى: استمر ودام. ولها: غفل.

(2) الثلة بالفتح الجماعة من الغنم، والثلة بالضم الجماعة من الناس، قال الله تعالى: (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين). ريعت: فزعت، انزوت: انقبضت. الليث: الأسد وجمعه ليوث.

﴿المعنى﴾ إن هدوء الغافل مهدد بما يريعه ويفزعه فجأة، فالغافل من بني الإنسان عن مرضه وبؤسه، وشيخوخته وموته، يتفجع بمفاجأة النذير، وطر وما غفل عنه كالحيوان السائب إذا أحس بالصوت الخفي لا يعرف مأتاه، وقد تطامن في مرعاه، لا يملك أن يضرط فزعاً، ويهيم على وجهه هرباً، حتى إذا غاب عنه الصوت الذي أفزعه

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

نُهَالُ لِلأَمرِ الَّذي يَرُوعُنَا وَنَرْتَعي في غَفلَة إذا انْقَضَى[1]
إنَّ الشَقاءَ بِالشَّقِيِّ مولَعٌ لا يَمْلِكُ الرَدَّ لَهُ إذا أَتَى[2]

عاد كما بدا، فرعى ورتع ولها ثم قال علامة الأزد: كثلة إلخ أي أن الغافلين من بني الإنسان الذين لا يتنبهون إلا بما يفاجئ من حيث لا يقدرون له نظائر، ولا يعتبرون بما تكرر من العثو. في مهواة الحفائر، كالغنم تذوب فرقاً لمرأى الأسد، فإذا غاب عن ناظرها اطمأنت، ثم لم تقدر لجهلها أن تعود فلا تحتاط فيأخذها على غرة هوجاء، ثولاء، طعمة باردة.

(1) نهال: نفزع والهول الفزع. الروع: أيضاً الفزع، فيروعنا يفزعنا، نرتعي: أي نرعى ومنه قولى تعالى: (نرتع ونلعب). في غفلة: أي ترك لما كنا فيه في الفزع. انقصى: ذهب وفرعت مدته.

(2) الشقاء: والشقوة واحد ومنه قوله عز وجل: (قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) ويقرأ شقاوتنا. المولع: المغرم بالشيء الملازم له لا يكاد يفارقة. لا يملك الرد له: أي لا يملك الدفع والصرف.

﴿المعنى﴾ إن الإنسان تعود ألا يفزع إلا حين يداهمه المفزع، ثم لا يلبث أن ينسى هذا الذي أقض مضجعه، وأتعب مشاعره، فيسبح مرة وألف مرة في ضياجير الغفلة كأن لم يكن أصيب بما يدمي القلوب، ويسيل الأعين. ثم قال ما يصلح مثلاً: إن الشقاء بالشقي مولع إلخ يعني أن سوء الحظ، ونحس الطالع، يلازم صاحبه الغبي الجاهل، والمستهتر الغافل، الذي فقد الجد والنشاط، ولم يتنبه بتتابع الحوادث، ونزول الكوارث به أو بغيره، حتى إذا أثر فيه وقعه لم يملك دفعه ولا رده، حيث تعدت به همته عن مقارعة الزمان، ومجالدة الحدثان، وقد فاته حسن الاعتماد على الله الذي لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

وَالـلَّـوْمُ لِـلْـحُـرِّ مُـقِـيـمٌ رَادِعٌ وَالـعَـبْـدُ لا يَـرْدَعُـهُ إلّا العَصَا[1]
وَآفَـةُ الـعَـقْـلِ الـهَـوَى فَـمَـنْ عَـلا عَـلَـى هَـوَاهُ عَـقْـلُـهُ فَـقَـدْ نَجا[2]

(1) اللوم: بالفتح من الملامة وهو الذم والشتم. واللؤم بالضم الشح ومهانة النفس ودناءة الآباء. الحر: الخالص من كل شيء. مقيم: أي مصلح ما كان فيه. رادع: كاف يقال ردعته فارتدع أي كففته فاتكف، والرداع وجع في الجسد قال الشاعر:

فيا عجباً وعاودني رداعي وكان فراق ليلى كالخداع

والرداع أيضاً الغضب قال الشاعر:

بركت على ماء الرداع كأنما بركت على قصب أجش مهضم

وقيل الرداع في هذا البيت اسم ماء بعينه يعرف به ذلك الموضع والعبد لا يردعه إلا العصا: أي لا يردعه عن السوء إلا العصا.

(2) وآفة العقل: مضرته ومفسدته. الهوى: الشهوة والإرادة. فمن علا: أي فمن ارتفع. على هواه: أي على شهرته وإرادته، فقد نجا: أي فقد سلم.

﴿المعنى﴾ إن شريف الإحساس أبي النفس كريم المحتد إذا هفا لم تصلحه الإهانة، وإنما يقيم معوجه نوع من اللوم يتناسب مع ما له من مكانة وكرامة، وهو أحز في نفسه من أن يجلد بالسياط، أما ساقط الهمة دنيء النفس الذي لا يخجل مما يشين، فهذا إنما يقيم معوجه ويصلح ثأبه ضرب من الإهانة يتفق وما فعل، ولهذا كله جاء المثل:

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه المقالة

ثم جمع علامة الأزد جماع الخلق في قوله: وآفة العقل الهوى إلخ يعني أن العقول تمرض كالأجسام فكما أن السقم إذا حل بالجسم أضناه وذهب بنضرته وحسن روائه فكذلك العقل تضيع آثاره، ويذهب صلاحه، ويعدم نفعه إذا غلبته الشهوة ومال عنه صاحبه إلى ما تفعله البهائم، لا يقدر

كَمْ مِنْ أَخٍ مَسخُوطَةٍ أَخْلاقُهُ أَصْفَيتُهُ الْوُدَّ لِخُلْقٍ مُرتَضَى[1]
إِذا بَلَوْتَ السَّيْفَ مَحْمُوداً فَلا تَذْمُمْهُ يَوْماً أَنْ تَرَاهُ قَدْ نَبَا[2]

عرضاً، ولا يحترم ملكاً، ولا يتبع نظاماً، ولا يحذر عقاباً، ولا يعتمد حساباً، ومن أظلم ممن اتبع هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ؟ !!! ذلك هو السر في خسران الشعوب الشرقية، وتأخر الأمم التي تعد نفسها إسلامية !!! ثم قال: فمن علا إلخ يعني أن غلب سلطان العقل على سلطان الشهوة فقد نجا من درك الانحطاط الخلقي والاقتصادي معاً، وتقدم تقدماً مطرداً محسّاً، يباري الشمس في وقت الظهيرة، وما العالم الغربي المتقدم لأنه أسير عقله عنا ببعيد.

(1) قوله مسخوطة: من السخط وهو ضد الرضى فمعنى مسخوطة غير مرضية. أخلاقه: طبائعه: أصفيته الود: أي أخلصت له الود. لخلق مرتضى: أي لخلة واحدة مرضية منه. المرتضى: المستحسن.

(2) بلوت: اختبرت قال الله عز وجل: (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) وقوله أن تراه قد نبا: أن في موضع نصب لأنه مفعول به، وقيل هو مفعول من أجله والتقدير فلا تذممه يوماً من أجل أن تراه قد نبا، أي من أجل رؤيته نابياً، ونبا ارتفع عن المضروب ولم يقطع فيه شيئاً.

﴿المعنى﴾ كثير من الإخوان أخلصت لهم ودي، وألنت لهم جانبي، لما قدرته فيهم من بعض مكارم خلال حسنة، وأخلاق مرضية، مع ما لهم من مثالب أخرى ونقائص يجب التغاضي عنها متمثلاً بقول الحكيم:

من الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط
إذا أنتَ عاتبت الصديق على الأذى تعبت ولم تلق الذي لا تعاتبه

وَالطِّرْفُ يَجْتَازُ المدَى وَرُبَّما عَنَّ لِمَعْداهُ عِثَارٌ فَكَبَا[1]
مَنْ لَكَ بِالمُهَذَّبِ النَّدْبِ الَّذي لا يَجِدُ العَيبُ إِلَيهِ مُخْتَطَى[2]

ثم أكد هذا المعنى بقوله: إذا بلوت السيف إلخ يعني إذا ثبت لك بالاختبار جودة السيف وأنه من جوهر صاف حاد صارم، فلا تعبه يوماً إذا صوبته للقطع فنبا وطاش عن إصابة الغرض، أو وصل ولم يقطع فإن هذا لا يعيبه، فربما كان عدم تأثيره لقوة المضروب، وكذلك صديقك إذا كلفته بعمل لك – وهو لك مخلص – فلم ينجز مطلوبك فالتمس له العذر، فقد عمل المستطاع:

على المرء أن يسعى إلى الخير جهده وليس عليه أن تتم المطالب

(1) الطرف: الكريم من الخيل. يجتاز: أي يجوز. المدى: الغاية. عنّ: عرض. لمعداه: أي لعدوه، وعدوه جريه، عثار: مصدر عثر يعثر عثاراً إذا كبا. كبا: سقط لوجهه.

(2) المهذب: العاقل الظريف وقيل المهذب المخلص. الندب: الراجل الخفيف في الحاجة، وقيل الندب الذي ينتدب للمكارم، وقيل الندب المندوب لكل حاجة حسن تصرفه فيها، وقيل الندب الذي قد عركه الدهر فحسن أخلاقه. مختطى: أي ممشى وهو من خطا يخطو إذا مشى.

﴿المعنى﴾ إن الجواد الكريم يكبو، والسيف الصارم الصقيل ينبو، وليس يعيب كلاً منهما أن يقال كبا الجواد في بعض عدوه، أو نبا السيف في بعض أحيان قطعه، مادام هذا الطرف يجتاز الغاية، وذلك السيف يأتي على النهاية، ومثلهما الإنسان، ثم قال: من لك بالمهذب إلخ يعني من لك بأي شخص من بنى الإنسان لا يجد العيب إليه سبيلاً سوى الأنبياء المعصومين صلوات الله عليهم ؟! يريد لا يمكن أن تعثر على المبرأ من كل عيب عداهم.

إذا تَصَفَّحْتَ أُمورَ النَّاسِ لَمْ تُلْفِ امْرَأً حازَ الكَمالَ فَاكْتَفَى[1]

عَوِّلْ عَلى الصَّبْرِ الجَميلِ إنَّهُ أَمنَعُ ما لاذَ بِهِ أُولُو الحجا[2]

وَعَطِّفِ النَفْسَ عَلى سُبْلِ الأَسَا إذا اسْتَفَزَّ القَلْبَ تَبريحُ الجَوى[3]

والدَّهْرُ يَكبو بِالفَتى وَتارَةً يُنْهِضُهُ مِن عَثرَةٍ إذا كَبا[4]

---

(1) إذا تصفحت أي نظرت. التصفح: النظر في خلال الشيء. لم تلف: لم تجد. حاز: حوى، الكمال: التمام يقال أكملت الشيء إذا أتممته وقوله: فاكتفى: أي اجتزأ به تقول كفاني الشيء يكفيني أي أجزأني.

(2) عوّل على الصبر: أي ارجع إليه واعتمد عليه. إنه أمنع: أي أحمى وأقوى. لاذ: لجأ وركن واستتر. الحجا: العقل، فأولو الحجا أولو العقول.

(3) وعطف النفس: ردها. سبل: طرق واحدها سبيل. الأسا: التصبر. إذا استفز: استخف. التبريح. الشدة وجمعها تباريح. الجوى: مقصور مفتوح الجيم فساد الجوف، يكتب بالياء لأنه يقال جوى يجوى جوى، ويروى تبريح الأسا بفتح الهمزة الحزن.

(4) والدهر يكبو: أي يعثر يقال كبا يكبو بمعنى عثر يعثر. وتارة: أي مرة وحيناً. ينهضه: يقيمه. إذا كبا: سقط وعثر، والمصدر كبوة واسم الفاعل كاب.

﴿المعنى﴾ إذا تتبعت أحوال الناس لم تجد من رضي بحالته واكتفى بما وصلت إليه يده وإن كان قد حاز الغاية بل تلفيه اعتبرها بداية لما ليس له لدى أطماعه نهاية، فاعتمد الصبر الجميل، والشكر الجزيل والرضا بالقليل، بله الكثير، فإن ذلك أجمل بالعاقل، وأقوى ما تذرع به كامل، أما أنك تسير وراء طلباتك، فلا انقضاء لحاجاتك، وقد انفتح باب المتاعب على مصراعيه، وفي هذا يقول المخضرم:

وللمرء كم تنقضي حاجة وتبقى له حاجة ما بقي

لا تَعْجَبَنْ مِنْ هَالك كيفَ هَوَى ... بَلْ فَاعْجَبَنْ مِنْ سَالم كَيفَ نَجا[1]

إنَّ نُجومَ المَجْد أَمْسَتْ أُفَّلاً ... وَظِلُّهُ القالصُ أَضْحَى قد أَزَى[2]

إلاّ بَقايا مِن أُنَاسٍ بِهِمُ ... إلى سَبيلِ المَكْرُماتِ يُقْتَدَى[3]

تموت مع المرء آماله ... وحاجة من عاش لا تنقضي

أشاب الصغير وأفنى الكبير ... كر الغداة ومر العشي

وما أجمل أن تعطف النفس وتعودها على سلوك سبل التصبر، وترغمها على تحمل بعض غضاضة الحياة إذا ضقت ذرعاً بأمر، واستفز القلب ما ألهبه من جوى، فإن التأسي علاجه، وبه يكون شفاؤه، ولا يأس مع الحياة، كما لا حياة مع اليأس، فإن الدهر يسقط بالفتى تارة إلى الحضيض، وتارة يسعده ويصعده إلى ذروة الكمال، فلا تدوم العثرة، ولا تبقى الكبوة.

(1) هوى: سقط يقال منه هوى يهوى هوياً. نجا: خلص.

(2) المجد: الشرف. الأفل: الغيب، والواحد آفل يقال أفل أفولاً إذا غاب قال الله عز وجل: (فلما أفل قال لا أحب الآفلين) القالص: المرتفع وفرس قالص طويل القوائم. أزى: قصر وتقبض.

(3) يقتدى: يتبع فعلهم.

﴿المعنى﴾ ليس بعجيب أن ترى من خلق للفناء، واستحال عليه الخلود والبقاء يفنى ويهلك، أو يهوي في هوة نصب أو مرض مؤلم يقض المضاجع، إنما العجيب أن ترى سليماً من هذا أو ذاك، فإنما خلقت الدنيا وأهلها للزوال ومقدماته، وحدثان الزمان وعادياته، فليس يسلم نوعاً ما إلا من اعتدل في سيرته وسيره، وقلل من المغامرات في سره وجهره، وقد تدانت وتقاصرت مراتب العلا والمجد والشرف، فأفلت نجومها، وتحجبت عن الأعين أضواؤها، وزال ظلها إلا من أناس هو للمكرمات كمطر السماء، ونجوم الاهتداء، محل ثنائي ومدح جميع الخلق معي.

إذا الأَحـاديْـثُ انْتَضَـتْ أَنبـاءَهُـم كانَتْ كَنَشْرِ الرَّوْضِ غاداهُ السَّدَى[1]

لا يَسْمَعُ السَّامِعُ في مَجْلسِهِمْ هُجْراً إذا جَالَسَهُمْ وَلا خَنا[2]

ما أَنعَمَ العِيْشَةَ لَوْ أَنَّ الفَتَى يَقبَلُ مِنهُ المَوْتُ أَسْناءَ الرُّشا[3]

---

(1) قوله: الأحاديث. انتضت: أي أظهرت وهو من نضا الشيء ينضو إذا ظهر، ويروى اقتضت بالقاف أي طلبت الأحاديث أخبارهم. الأنباء: الأخبار واحدها نبأ. النشر: الرائحة الطيبة. الروض: الموضوع الذي يكون فيه ضروب من النبات فيكون فيه أنواع النور، وهو جمع روضة فإن كان فيه شجر فهو حديقة. غاداه: باكره، وهو من الغدو يقال غاداه يغاديه مغاداة إذا صبحه بالغدو. السدى: الندى في هذا الموضوع وهو المطر، وقيل السدى ما نزل في أول الليل والندى آخر الليل، وقال ابن الأنباري: السدى والستى والندى في معنى واحد يقال أرض سدية وستية وندية، قال الفراء وكلهن يكتبن بالألف والياء، قال الأصمعي يقال سديت الأرض إذا نديت من السماء كان الندى أو من الأرض. قال ابن حبيب الندى ما كان من السماء والسدى ما كان من الأرض.

(2) لا يسمع السامع في مجلسهم هجراً. الهجر بضم الهاء: القبيح من القول وكذلك الخنا، وربما كان الخنا في الفعل يقال قد أخنى الرجل في منطقه وفعله يخنى.

﴿المعنى﴾ إذا أظهرت الأحاديث أخبارهم كانت ذكراهم الطيبة، ومآثرهم الحسنة، كنشر أزهار الرياض العطرة المترعرع نبتها بين ظل الندى، وتضوع ريا المسك الذكي، وهم أناس يهاب مجلسهم عن أن يدنس بكلمة تخرج عن حد اللياقة أو تنبو عن شريف الأدب، أو فعل يعيب ويشين، ويقبح ولا يزين.

(3) قوله: ما أنعم العيشة: أي ما أطيبها والعيشة الحياة. أسناء الرشا:

أَوْ لَوْ تَحَلَّى بِالشَّبَابِ عُمْرَهُ لَم يَسْتَلِبهُ الشَيْبُ هاتيكَ الحُلَى[1]
هَيهاتَ مَهما يُستَعَرْ مُستَرْجَعٌ وَفي خُطوبِ الدَّهرِ لِلنَّاسِ أُسَى[2]

أرفعها وأعلاها وواحد الأسناء سنى بالتشديد وأصله الهمز لأنه من السناء الذي هو الرفعة والشرف لكن من شدد أبدل الهمز ياء من أجل الياء التي قبلها وأدغم الياء الأولى في الثانية على الأصل المستعمل في الهمزة المتحركة التي قبلها ياء زائدة أو واو زائدة كسنئ وضوء، فالأسناء بالمد جمع سنى مثاله أيتام ويتيم، وهذا المثال من الجمع لفعيل إنما يكون قليلاً في الصفات لا في الأسماء، كما أنه قليل إذا أتى جميعاً لفاعل نحو صاحب وأصحاب وشاهد وأشهاد، والرشا جمع رشوة وهي العطية التي يحابى بها الإنسان أي يخص، والمراشاة المحاباة وقيل رشا الهدايا لمن يخاف منهم مثل الحكام ونحوهم.

(1) تحلى بالشباب: لبسه وتزيا به. لم يستلبه: لم يجرده. هاتيك: بمعنى تلك. الحلى: جمع حلية.

﴿المعنى﴾ ما ألذ الحياة مع العيشة الهنيئة لو قبل الموت الفداء الغالي فلا يفنى الحي وتنزع روحه انتزاعاً قسرياً !!! بل ما أطيبها نسبياً لو تزين وتحلى عمر الفتى بشبابه الغض ثم لم يسلبه الشيب هذه النضرة وهاتيك الحلى؟! ومقصود علامة الأزد: ما قيمة حياة آخرها فناء وموت وهلاك وشباب غض نضر، وفتوة نادرة آخرهما شيب ووهن وهرم ؟! نعم لا قيمة لملك يزول، وهناءة لا تبقى.

(2) هيهات: بمعنى ما أبعد، قال الله عز وجل حكاية عن الكافرين: (هيهات هيهات لما توعدون). مهما يستعر: أي ما يستعار لا بد لمعيره أن يأخذه. مسترجع: مردود. خطوب الدهر: أموره. الأسى: جمع أسوة وهي ما يتأسى به الإنسان مما ينزل بغيره أي يقتدى به ويتعزى به فيتصبر.

وَفِتيَةٍ سامَرَهُمْ طَيْفُ الكَرَى فَسامَروا النَّوْمَ وَهُمْ غِيدُ الطُّلَى[1]

(1) فتيـة: جمع فتى. سـامرهم: حادثهم ليلاً، والسـمر الحديث بالليل يقال من ذلك سـمر يسـمر فهو سـامر، ولا يقال سـمر بالنهار، وقولهم: هذه كتـب السـمر أي كتب الأحاديـث التي يتحدث بها ليـلاً، وقيل معنى كتب السمر أي كتب الدهر، والعرب تقول لا أفعل ذلك ما سامرا بنا سمير أي ما اختلف الليل والنهار، والسـمار المحدثون واحدهم سامر، والسامري منسـوب إلى سـامرة وهي بلدة. الطيف: ما يراه الإنسـان في المنام من خيال من يحبه. الكرى: النوم. الغيد: جمع أغيد وهو الناعم، وقيل المائل العنق، وقيل المائل المتثني نعمة. الطلى: الأعناق.

﴿المعنـى﴾ بعـدت كل البعد لذائذ الحيـاة ودوام نعيم الشـباب، وما الحياة والشـباب والفتوة إلا نعم مسـتعارة إلى أجل، وودائع مرهونة بأوقاتها ولا بد يوماً أن ترد الودائع، كما يقول الحكيم العربي:

وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يوماً أن ترد الودائع

وقال غيره يرثي الأندلس:

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يُغرَّ بطيب العيش إنسان

هي الأمور كما شاهدتها دول من غرَّه زمن ساءته أزمان

وفـي حدوث خطـوب الدهر ونكباته التـي لا تزال تتابع فتصـيب الهدف ولا تخطـئ أعظم أسـوة، يتصـبر بها من لفـح بحرها بمـن أحرقه لهبها، وشـواه لظاها، فيسـهل عليه وقعها، ويخـف على متنه عبئها، والصـبر أجمل ما يكون من الفتى وقول العلامة: وفتية أي ورب فتية زارهم طيف خيال من يحبون في نومهم فسامروا النوم بحديثهم العذب الشهي وهم مائلـو الأعناق الناعمة الحسـنة الرشـيقة يحيونه بميلها حسـبما يهوى منهم ويحب.

وَاللَّيْلُ مُلْقٍ بِالمَوامِي بَرْكَهُ ... وَالعِيسُ يَنبُثْنَ أَفاحِيصَ القَطَا[1]

بِحَيثُ لا تُهْدَى لِسَمْعٍ نَبأَةٌ ... إلاّ نَئِيمُ البُومِ أَوْ صَوتُ الصُّدَى[2]

شايَعْتُهُمْ عَلى السُّرَى حَتّى إِذَا ... مالَتْ أَداةُ الرَّحْلِ بِالجَبْسِ الدَّوَى[3]

---

(1) الموامي: جمع موماة وهي القفر. البرك: الصدر. ينبثن: يخرجن النبث والنبيثة التراب الذي يخرج من البئر والنهر، والجمع النبائث. العيس: البيض من الإبل الواحد أعيس والأنثى عيساء. أفاحيص القطا: أوكارها واحدها أفحوص وقيل أفاحيص. القطا: المواضع التي تفحصها بصدورها للبيض أي توسعها.

(2) النبأة: الصوت الخفي. نئيم البوم: صوته، والبوم الهام. الصدى: ذكر الهام. ﴿المعنى﴾ والحال أن الليل ألقى صدره على البطاح والقفار أي أسدل ظلامه، والإبل البيض سائرة فيها تخرج بأخفافها القطا من أوكارها عند إحساسها بضغط قوائمها المحملة بالعبء. الثقيل، وهو وقت يحلو فيه الحداء لتجد الإبل في مسيرها ويلذ السمر لينسى الرحل المسافرون وعورة الطريق ومشقة السفر، وفي هدوء الصحراء أثناء السرى لا يصل إلى السمع إلا نئيم البوم وهو الحيوان الذي يشبه وجهه وجه الإنسان ولا يبصر نهاراً وإنما يطلب معاشه ليلاً، والعرب في جاهليتها تتشاءم بصوته حيث لا يصوت إلا في الأمكنة الخربة ولا يأوي في الغالب إلا إليها، وسرت هذه العقيدة عند عامة المصريين في القرى حتى إذا أوت إلى سطح دار جعلوا جعلاً لمن يصيدها أو يقتلها تخلصاً من تصويتها عليه المؤذن بالخراب – أو صوت الصدى وهو رجع الصوت عند النداء أو الغناء في الأمكنة الواسعة الأرجاء أو المسورة أو ذكر البوم كما نقل الشارح عليه الرحمة والرضوان.

(3) شايعتهم: تابعتهم على رأيهم في سير الليل. السرى: سير الليل. أداة الرحل:

قُلتُ لَهُمْ إنَّ الهُوَيْنَا غِبُّها وَهْنٌ فَجِدُّوا تَحْمَدوا غِبَّ السَّرَى[1]
وَمَوحِشِ الأَقطارِ طامٍ مَاؤُهُ مُدَعْثَرِ الأَعْضَادِ مَهزُومِ الْجِبَا[2]
كَأَنَّمَا الرِّيشُ عَلَى أَرْجَائِهِ زُرْقُ نِصَالٍ أُرْهِفَتْ لِتُمتَهَى[3]

حوائج الرحل وهو عيدانه وقطع الأكسية والبرذعة. الجبس: الرجل الثقيل. الدوى: الأحمق يريد بذلك أنه كان نائماً فمالت به أداة الرحل.

(1) الهوينا: الرفق في السير وقيل مشية فيها فتور. غب السرى: عاقبته والوهن: الضعف. فجدوا: أي فاجتهدوا من قولهم جد يجد إذا اجتهد. ﴿المعنى﴾ وقد وافقتهم على المسير ليلاً لأنه في الصحراء زمن الهجير وقت جد ونشاط، حتى إذا نثل النوم على رأس الرجل الضخم البدين ومال الرحل به وضعف المسير ناديت فيهم قائلاً: إن السير البطيء والمشي الهوينا يحدث ضعفاً للراكب والمركوب فجدوا في المسير عنقاً فسيحاً، فتحمد عاقبة مسرانا ونستريح، ومن جد وجد، والعمل سبيل الراحة.

(2) قوله: وموحش الأقطار: يعني بئراً أو حوضاً، والموحش ضد المؤنس لأن الوحشة ضد الأنس فتفسير موحش: بعيد العهد بالأنس. الأقطار: النواحي واحدها قطر. الطامي المرتفع. مدعثر: مهدوم. الأعضاد: ما حواليه من صفائح الحجارة التي تعضده أي تشده وتقويه واحدها عضد. الجبا: بفتح الجيم ما حول البئر والحوض، والجبا أيضاً الحوض الذي يجبى فيه الماء.

(3) على أرجائه: أي نواحيه وواحد الأرجاء رجى مقصور. زرق نصال: أي بيض نصال فالزرق البيض، والنصال جمع نصل وهو السهام، وواحد السهام سهم. أرهفت: أي رققت. تمتهى: تسقى بالماء تقول امتهى الحداد السكين أي سقاه بالماء، وقيل معنى أرهفت ها هنا استلت عن كنانتها أي خرجت عن كنانتها، وتمتهى أي تحد، وهذا موافق لقول امرئ القيس:

وَرَدْتُـــهُ وَالـذِّئْـبُ يَـعـوِي حَـوْلَـهُ مُسْتَكَّ سُمِّ السَّمْعِ مِنْ طَولِ الطَّوَى[1]
وَمُـنْـتِـجٍ أُمُّ أَبِـيـــهِ أُمُّـــهُ لَمْ يَتَخَوَّنْ جِسْمَهُ مَسُّ الضُّوَى[2]

رأســـه مـن ريـش نـاهـضـة ثـم أمـتـهـا عـلـى حـجـره

﴿المعنى﴾ وكم من بئر موحش النواحي، مخوف الأرجاء، مرتفع ماؤه، مبعثر ما حوله من صفائح الحجارة، مبعد حوضه الذي يجبى فيه ما يخرجه الماتح من ماء وكأنما ريش الطير المبعثرة على نواحيه وأرجائه نصال زرق أخرجت من كنانتها واستلت لتحد أشفارها وردته ليلاً ونهلت منه بلا خوف يدرك قلبي أو وجل يقعدني.

(1) قوله: وردته: يعني وردت هذا الماء فالهاء عائدة على الماء في قوله طام ماؤه ومعنى. يعوي: يصيح من الجوع. مستك: ضيق سم السمع والاستكاك الصمم، والسم الثقب، وسم كل شيء ثقبه قال الله عز وجل: (حتى يلج الجمل في سم الخياط). أي في ثقب الخياط. الطوى: الجوع والطوى أيضاً خمص البطن وهو ضموره.

(2) قوله: ومنتج: فيه قولان أحدهما أن يكون مفتعلاً من النجوة وهو المكان المرتفع فيكون الأصل فيه منتجوا فوقعت الواو في موضع حركة وقبلها مكسور فسكنت وقلبت لكسرة ما قبلها فصارت ياء ساكنة دخل عليها التنوين فسقطت لالتقاء الساكنين وهذا الوجه الصحيح، والثاني وهو الوجه الضعيف أن يكون منتج مفعلاً من النتاج فيكون غلطاً في اللغة لأنه إنما يقال نتجت الناقة ونتجها أهلها فمحال أن يأتي من الثلاثي اسم المفعول على مفعل، وإنما يكون على مفعول كما يقال ضرب فهو مضروب، وإنما يأتي على مفعل من الرباعي كقولك أكرمته فهو مكرم غير أن أبا إسحاق الزجاج حكى أنه يقال نتجت الناقة وأنتجت بمعنى واحد فهو على هذا جائز، وإنما ضعفناه بما حدثنا به أبو العباس أحمد بن عبدالرحمن

أَفْرَشْتُهُ بِنْتَ أَخِيهِ فَانْثَنَتْ عَنْ وَلَدٍ يُورَى بِهِ وَيُشْتَوى[1]

قال حدثنا أبوجفعر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس قال سمعت علي بن سليمان يقول: نتجت الناقة إذا ظهر نتاجها ولا يعرف لها فعل غير هذا، ومنتج على القول الأول اسم فاعل وعلى القول الثاني اسم مفعول ومعنى البيت على هذا: رب غصن مولود وهو على الاستعارة ثم قال: أم أبيه، أمه: يحتمل هذا وجهين، يجوز أن يريد بأم أبيه التي هي أمه الأرض فكأنه وصف غصناً من غصن قطع من شجرة فالأرض أم الشجرة وأم الغصن الذي نبت منه الغصن الثانى الذي هو أبو الغصن الأول، ويحتمل أن يريد غصناً قطع من فرع من شجرة فتلك الشجرة أم الفرع، والفرع جعله للغصن بمنزلة الأب على الاستعارة، والشجرة أم الفرع وأم الغصن لأنه منها فصارت أماً لأبيه وأماً له، وقوله لم يتخون: أي لم يتعاهد، يقال فلان يتخاونه الخبل يتعاهده والتخون أيضاً التنقص، ويروى لم يتخور جسمه بالراء وهو من الخور، والخور الضعف، يقال خار الرجل يخور خوراً إذا ضعف وهو بالخاء المعجمة واسم الفاعل خائر وخوار يريد أن الغصن الذي ذكره لم يتعاهده الضعف والرقة. الضوى: الهزال، ومنه غلام ضاو وجارية ضاوية.

(1) قوله: يورى به: أي يستضاء به، وذكر الضمير في به لأنه راجع على الولد والولد مذكر. ويشتوى: أي يشتوى به يقال شويت اللحم واشتويته.

﴿المعنى﴾ وردت هذه البئر الموحشة الفاقدة كل مؤنس وقد عوت الذئاب حولها من كل جانب بأصوات منكرة مريعة وهي صماء من طول طواها وفرط جوعها لخلو المكان مما تجد به غذاءها. والذئاب إذا أفرط جوعها بكتب وعوت، وتجمعت حول بعضها. ثم تنساب جيشاً عرمرماً كسيل الوادي انحط من قلل الجبال لا تتردد في الهجوم على ما تراه من

وَمَـرقَـبٍ مُـخْـلَـوْلِـقٍ أَرْجَـــاؤُهُ مُستَصْعَبِ الْمَسلَكِ وَعْرِ المُرْتَقَى[1]

أي حيوان حتى إذا لم تجد من تفترسه أكل بعضها بعضاً:

كـالـنـار تـأكـل بـعـضـهـا إن لـم تـجـد مـا تـأكـلـه

وكنى بذلك عن عظيم جرأته، وثبات قلبه وفرط شجاعته حتى يرد الماء المنوط بالضواري بلا فزع أو تردد. ثم قال: ومنتج إلخ أي وكم منتج أي فرع شجرة مرتفع صعب المرتقى ضخم غليظ الساق لم يمسه الهزال فيضمره قطعته من أم شجرته، وقد مزقته إرباً إرباً، ثم أفرشته أي جعلت فراشه في حفرة الشواء بنت أخيه أي الأغصن الرقيقة الرفيقة فبانت بعد إيقاد النار عن ولد يورى به أي يستضاء بلهبه المرتفع المشتعل فيهما ويهتدى به ويشتوى أي يشوى على جمره لحم الذبائح للرفقة والوافدين على الشواء الطالبين الرفد. ومعنى أم أبيه أمه: أنه فرع غصن أكبر منه أصلهما شجرة واحدة فهى أمهما. ومعنى بنت أخيه: رقيقات الغصون التي تجعل شعلة للنار تحت الأغصن الكبيرة الغليظة فكل فرع رقيق ابن للغصن الكبير المتصل به. ومعنى فانثنت عن ولد: عن لهب تولد من شعلتها، وفيه من الاستعارات البديعة، والكنايات. الطريفة ما فيه. وأرى الحل على هذا المعنى قريباً إلى الواقع.

(1) المرقب: الموضع العالي الذي ينظر منه إلى بعد. المخلولق: الأملس أرجاؤه: نواحيه. المستصعب: الصعب. المسلك: الطريق وجمعه مسالك ويرى مستصعب الأقذاف، والأقذاف النواحي واحدها قذف. وعر: صعب. المرتقى: المصعد، ويروى وعر المرتبى أي الموضع العالي الذي يرتبى إليه أي يرتفع فيه ويصعد عليه وهو من ربا يربو إذا ارتفع، والربوة الأرض المرتفعة، وفيها أربع لغات ربوة وربوة ورباوة والجمع الربى وقوله عز وجل: (وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار

وَالشَّخْصُ فِي الآلِ يُرَى لِنَاظِرٍ تَرْمُقُهُ حِيناً وَحِيناً لا يُرَى[1]
أَوْفَيْتُ وَالشَّمْسُ تَمُجُّ رِيْقَهَا وَالظِّلُّ مِنْ تَحتِ الحِذاءِ مُحتَذَى[2]
وَطَارِقٍ يُؤنِسُهُ الذِّئْبُ إِذَا تَضَوَّرَ الذِّئْبُ عِشَاءً وَانْضَوَى[3]

ومعين). قال قوم من العلماء إنها دمشق، وقال قوم إنها بيت المقدس، وقال قوم هي فلسطين، وقال قوم هي مصر.

(1) الشخص: هو الشيء المرتفع مأخوذ من شخص إذا ارتفع. الآل: السراب. ترمقه: أي تنظره. حيناً: وقتاً.

(2) أوفيت: أي أتيت ووصلت. الشمس تمج ريقها: أي تلقيه وريقها لعبها، ولعاب الشمس إنما يكون في وقت الظهيرة وهو وقت أشد ما يكون فيه الحر فيتبين في ذلك الوقت في الشمس مثل نسج العنكبوت خفى يقال له لعاب الشمس وريق الشمس ولا يكون لشيء في ذلك الوقت ظل إذا كانت الشمس في وسط السماء ومعنى قوله: والظل من تحت الحذاء محتذى، الحذاء: النعل ومحتذى ملصق يقول فالظل تحت النعل كأنه قد حذي معها يريد أن ظل الإنسان قد صار نعلاً لحذاء النعل أي بقبالته من تحت محاذياً له.

﴿المعنى﴾ وكم من مكان صعب المرتقى، وعر المسلك، أملس النواحي أو منقطع النواحي كالثوب الخلق، وهو نجوة في سفح جبل، أوفيته وصعدت عليه لأرقب الطريق والطراق، والحال أن الشخص في السراب المضطرب وقتذاك قد يرى وقتاً ووقتاً لا يرى، والشمس في وقت الظهيرة والهاجرة تشوي الوجوه بلهبها ووهجها المتوقد تراها تمج ما يشبه نسج العنكبوت الدقيق الخفي في وقت الهجير وحين الزوال، وفي ذلك الحين ترى ظل الشخص أضحى ولا أثر له محاذياً للشراك كأنه للنعال المحتذى.

(3) الطارق: الذي يجيء بالليل ولا يكون الطارق نهاراً. تضور: صاح من

أوَى إِلَــى نــارِيَ وَهْــيَ مَــأْلَــفٌ يَدعُو العُفاةَ ضَوْءُها إِلَى الْقِرَى[1]

الجوع، والتضـور الصـياح من الجوع. يقول إن هذا الطارق يؤنسه تضور الذئب وعواؤه ليأسه من سماع الأصوات فلما يئس من سماع أصوات بني آدم أنس بصوت الذئب.

(1) قولـه: أوى إلـى ناري: أي انضـم إلى ناري تقول أويـت إلى فلان بغير مد علـى وزن فعلت آوي إليه ممدود في المسـتقبل علـى وزن أفعل، فأما إذا كنت أنت الذي تؤويه أي تضـمه فتقول آويته بالمد على وزن أفعلته أؤويه إيواء على وزن إفعالاً قال الله عز وجل: (وفصيلته التي تؤويه) أي تضمه وقولـه: مألف: المألف الموضـع الـذي يجمع فيه الأحبـاب كأنه يؤلفهم فلذلك سـمي مألفـاً. العفاة: الفقراء واحدهم عاف مثل قاضٍ وقضـاة. القـرى: الضـيافة وقوله: يدعو العفـاة: أي يندبهم ضـوءها والكرام من العرب يوقدون النار ليسـتدل بها على أمكنتهـم قال حاتم طيئ يخاطب غلاماً له:

أوقــد فــإن الـليـل لـيـل قـر والـريـح يـا واقــد ريــح صـر
عــلّ يــرى نــارك مــن يمـر إن جلبت ضـيفاً فـأنـت حر

وهذا أجود ما روي في هذا المعنى.

﴿المعنى﴾ وكم طارق في صحراء مسيري المقفرة إلا مني ومن صحبي، يؤنسه عواء الذئب الصـارخ من شـدة الجوع المضنى لفقده من يأنس به من بنى الإنسان والحيوان المستأنس وهو سائر في هذه البيداء المترامية الأطراف، والفجـاج الواسـعة الخاويـة المخيفـة، أوى وانعطف إلى نـاري المتأججة المضيئة في أعلى مكان في هذا القفر، يدعو ضوءها العفاة وطالبي الرفد إلى الكرم بالشـواء وما إليه من حلوى ومرطبات بنفس سـمحة ووجه هاش باش، يجعلان العفاة يألفون وردها كلما تأججت وأضاءت.

لِلَّـهِ مـا طَيْـفُ خَيـالٍ زائِـرٍ تَـزُفُّـهُ لِلْقَلْبِ أَحْـلامُ الرُّؤَى[1]

يَـجُـوبُ أَجْـوَازَ الـفَـلا مُـحتَـقِـراً هَوْلَ دُجَى اللَيْلِ إذا اللَيْلُ انبَرى[2]

سـائِـلْـهُ إنْ أَفـصَـحَ عَـنْ أَنـبـائِـهِ أَنّى تَسَدَّى اللَيلَ أَم أَنّى اهْتَدَى[3]

---

(1) قولـه: للّه ما طيف: اللام فـي هذا بمعنى التعجب يقال: للّه زيد ما أكمله فـي جميع حالاته ! ومـا زائدة. والتقدير للّه طيف خيال: والطيف ما يراه الإنسـان النائم في صـورة محبوبه، والخيال الشخص الذي يتخيل لك. تزفه: تحمله من قولك زففت العروس إلى زوجها أزفها إذا حملتها إليه. الأحلام: جمع حلم. الرؤى: جمع الرؤيا.

(2) يجـوب: أي يقطـع من قول اللّه عز وجـل: (وثمود الذين جابوا الصـخر بالـواد). أجواز الفلا: أوسـاطها وهي جمع جـوز. الفلا: جمع فلاة وهي القفر من الأرض. محتقراً: أي مستصـغراً. الهول: الشدة وجمعه أهوال. دجـى الليل: والدجـى الظلمة وهي جمـع دجية. انبـرى: اعترض ينبري انبراء فهو منبر واسم المفعول منبرى إليه.

﴿المعنى﴾ ما أعجـب وألطف وأظرف طيف خيال المحبوب إذا زار تزفه أحـلام الـرؤى المنامية إلـى القلب المشـوق المتلهف لرؤيـا محياه، وسـماع أنبائه، والوقوف على أحواله، يجوب أي يقطع أوسـاط الفلاة المقفرة مستصغراً شدة مسرى الليل، ووحشة الطريق لفقد المؤنس، يحييني وأحييه.

(3) قوله: سـائله: يعني الخيال. عن أنبائه: أي عن أخباره وواحد الأنباء نبأ. إن أفصـح: أي إن أبان يقال أفصح يفصـح إفصاحاً فهو مفصح وقوله: أنـى: أي كيـف، ومنه قـول اللّه عز وجل: (أنى لك هـذا) أي من أين لك هذا. تسـدى: أي امتد في السـير، وقيل تسـدى الليل قطع الليل بالسير. يقال سـديت الوادي إذا قطعته ويقال تسـدى ركب، يقال تسديت الشيء

أَوْ كَانَ يَدْرِي قَبلَهَا مَا فَارِسٌ وَمَا مَوامِيهَا الْقِفَارَ وَالْقُرَى[1]
وَسَائِلِي بِمُزْعِجِي عَنْ وَطَنٍ مَا ضَاقَ بِي جَنَابُهُ وَلا نَبَا[2]

أتسداه تسدياً إذا ركبته وعلوت عليه ومنه قول امرئ القيس:

فلما دنوت تسديتها فثوباً نسيت وثوباً أجر

وكونه بمعنى قطع أحسن في بيت ابن دريد. وكذلك أم أنى اهتدى: معناه من أين اهتدى لزيارتنا واهتدى استدل، ومعنى اهتدى في الدين استدل على طريق الحق والرشد.

(1) قوله: أو كان يدري قبلها: يريد قبل هذه الزورة ثم أضمر وجاء بالمضمر لأن سياق الكلام يدل على الضمير وقوله: ما فارس: يريد ما أرض فارس فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وهذا كثير في القرآن، وفي لسان العرب، من ذلك قوله عز وجل: (واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها) أراد واسأل أهل القرية وأهل العير فحذف، وكان أبوبكر رحمه الله قال هذه القصيدة بعد خروجه من البصرة وهو بأرض فارس مدح بها ابن ميكال وابنه. المواميي: القفاز واحدها موماة. القرى: المدن واحدها قرية.

﴿المعنى﴾ سائله بعد التحية والبشرى بلقياه إن أبان في إخباره وأفصح في بيانه كيف قطع الليل المظلم في هذه الموماة الموحشة؟ أو كيف اهتدى إلى موضعه مع وعورة المسلك وبعد الشقة؟! ثم ما علم قبلها من الفوارس التي تقطع هذه القوائم ؟! وما قفارها والقرى التي تقع في حواشيها وأطرافها ؟! والحل على معنى علمه للفوارس خير من تقدير المضاف المحوج للتجوز.

(2) قوله: سائلي: أضاف وهو يريد الانفصال، وذلك أنه جعله نكرة لأن الواو بمعنى رب، أراد وسائل فأضاف، ومما أضيف ومعناه الانفصال قول الله

قُلْتُ القَضَاءُ مَالِكٌ أَمْرَ الفَتَى مِنْ حَيْثُ لا يَدْرِي وَمِنْ حَيْثُ دَرَى
لا تَسْأَلَنِّي وَاسْأَلِ المِقْدارَ هَلْ يَعْصِمُ مِنْهُ وَزَرٌ ومُزْدَرَى[1]

تبارك وتعالى: (كل نفس ذائقة الموت) وكذلك (هدياً بالغ الكعبة) أي كل نفس ذائقة الموت، وهدياً بالغاً الكعبة وكذلك تقول مررت برجل ضارب زيد تريد ضارب زيداً فنعت به الرجل وجعلته نكرة وإن كان مضافاً إلى معرفة لأنك تنوى فيه الانفصال وقوله: بمزعجي: أي بمزيلي ومخرجي، والباء فيه بمعنى عن كأنه قال وسائلي عن مزعجي، والعرب تقول رب سائلي بزيد أي عن زيد. الوطن: المحل وجمعه أوطان. الجناب: بفتح الجيم الناحية. ولا نبا: أي ولا ضاق، يقال نبا ينبو نبوة فهو ناب.

﴿المعنى﴾ ورب سائل لي عن الذي أزعجني وأخرجني من وطن عزيز عليّ لم تضق بي نواحيه، ولا نبت بي رحباته، فأقول إن خروجي منه لا لقلى مني له، ولا لجفاء أهله لي، بل قضاء الله في تنقل الفتى من مكان إلى مكان أمر لا شك فيه كقضائه في الآجال والأرزاق شعر المرء بذلك أم لم يشعر أقر وآمن أم لم يقر، وقد قال الله الكريم لنبيه المفضل صلى الله عليه وسلم: (قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) صدق الله ورسوله.

(1) قوله: لا تسألني: يخاطب السائل الذي حكى عنه سؤاله عن انزعاجه عن وطنه: المقدار: القدر وهو ما قدر على الإنسان من خير وشر ثم قال: هل يعصم منه: أي يمنع منه يعني من القدر، ومنه قول الله عز وجل: (لا عاصم اليوم من أمر الله) أي لا مانع. الوزر: الملجأ، وجمعه أوزار وقوله: أو مزدرى: أي مكان مرتفع مانع وهو من الذروة، والذروة أعلى الجبل، وقيل أو مذرى أراد به أو جانبا عزيزاً من قولهم فلان في ذرى فلان

لا بُـدَّ أَنْ يَلقَى امْـرُؤٌ مَـا خَطَّـهُ ذو العَرْش ممَّا هُوَ لاَقٍ وَوَحَى[1]
لا غَـرْوَ أَنْ لَـجَّ زَمَـانٌ جَـائِـرٌ فَاعْتَرَقَ العَظْمَ المُمخَّ وَانْتَقَى[2]
فَقَد تَـرَى القَاحِلُ مُخضَـرّاً وَقَـدْ تَلْقَى أَخَا الإِقْتَارِ يَوْماً قَدْ نَما[3]

بفتح الذال أي في جانبه، كأنه قال لا يعصمه ملجأ ولا جانب عزيز مانع، ويروى بالدال غير المعجمة، والمدرى المدفع، وهو من درأت أي دفعت.

(1) قولـه: لا بـد أن يلقى امرؤ ما خطه ذو العرش: يريد ما كتبه الله في اللوح المحفوظ وقوله: ووحى: معطوف على خطه، ومعنى وحى كتب يقال وحى يحي وحياً إذا كتب.

(2) لا غـرو: أي لا عجـب. لج زمان: عرض زمـان. فاعترض العظم: أي أزال عنه اللحم. الممخ: الذي فيه المخ. انتقى: استخرج منه النقى وهو المخ.

(3) القاحل: اليابس. أخو الإقتار: المقل من المال. نما: زاد واستغنى.

﴿المعنى﴾ لا تسـألني عن سبب خروجي منه على الرغم مني فإني لا أعرف سبباً ظاهراً غير القدر المحتم، والقضاء المبرم، فاسأل بدلي القدر هل يمنع شـيء من نفاذه على أي مخلوق — ولو كان ملكاً له وزراء ونصـراء، وحصـون شـماء؟! ولن تجد جواباً على سـؤالك إلا سـلباً، حيث لا بد أن يلقى المرء ما قدر عليه وكتب له في اللوح المحفوظ أزلاً. ثم لا عجب أن يلـح الزمان على ذي الفتوة فيرمي عليه بأعباء أحمال ثقال ينوء بحملها متنـه، ويعيي بهـا كاهله، فيذيب شـحمه ولحمه، حتى يبيـن منه العظم الممخ، وإنما يختار الزمان، وينتقي لحمل أثقاله من شـرف حسبه وسما قدره وقد يرفع أحط بنى الإنسـان صيادي السمك، وكم له من العجائب والغرائب، فقد ترى القاحل من الأرض مخضـراً، واليابس نضراً وقتاماً، كمـا قد ترى المقـل المعدم أثرى واغتنى، وصـار ذا أثاث ورياش وبناء، فليس للدهر مقياس، ولا لأحوال الناس المتغيرة أساس، وإنما هو القدر،

يَـا هُـؤَلِـيَّـا هَـلْ نَـشَـدْتُـنَّ لَـنَـا ناقِبَةَ البُرْقُع عَنْ عَينَيْ طَلاَ[1]
مـا أَنْصَـفَتْ أُمُّ الصَّبِيَّيْنِ الَّتِـي أَصْبَتْ أَخَا الحِلْمِ وَلَمَّا يُصْطَبَى[2]

ولله في صنعه حكم بالغة.

(1) وقوله ياهؤليا تصغير هؤلاء. نشدتن: أي طلبتن، وقيل نشدتن عرفتن من قولهم نشدت الضالة إذا عرفتها. ناقبة البرقع: أي مغطية البرقع والمتقنعة به، ويروى رافعة البرقع أي التي إذا رفعت البرقع عن وجهها رفعته عن عيني طلا: ويروى أيضاً ثاقبة البرقع بثاء مثلثة يريد المضيئة الوجه ومنه قوله عز وجل: (والنجم الثاقب) والطلا بفتح الطاء ولد البقرة الوحشية وجمعه أطلاء.

(2) قوله: ما أنصفت أم الصبيين: هذا لفظ تقوله العرب تمدح به المرأة الكاملة، وقيل أم الصبيين. يعني بالصبيين العينين سميا بذلك للشخص الذي يرى فيهما كالصبيين وهو الذي يسمى إنسان العين وهذا قول حسن، ويرى الصبيين بضم الصاد وهما الخرصان اللذان يكونان في الأذنين وقوله: أصبت أخا الحلم: أي ردته إلى الصبا وهو اللهو. الحلم: العقل. لما يصطبى: أي لم يرد إلى الصبا، فلما هنا بمعنى لم يرد قبل ذلك إلى الصبا.

﴿المعنى﴾ يا هؤلاء الكواعب، والفتيات الغيد الحسان هل طلبتن لنا رافعة البرقع فتسفر عن وجه كالقمر، وعينين سوداوين نجلاوين، كعيني ولد البقرة الوحشية فينعشنا حضورها، ويبعث فينا ريا الحياة منظرها، فيرجع للشيخ صباه ؟! ثم استدرك كأنه لا يرضى بالتشبب على الكبر فقال. ما أنصفت إلخ يعني لم تضع العدل في نصابه، والإنصاف في مكانه، تلك الفتاة الساحرة بعينها، حين ترجع بالشيخ إلى شأن الصبا فتشغل قلبه بالحسان، واللهو في غير الأوان، وقد فات الزمان!!!

اسْتَحَي بِيضاً بَيْنَ أَفْوَادِكَ أَنْ يَقْتَادَكَ الْبِيضُ اقْتِيادَ الْمُهْتَدَى[1]
هَيْهَاتَ مَا أَسْفَعَ هَاتَا زَلَّةً أَطْرَباً بَعْدَ الْمَشِيْبِ وَالْجَلاَ[2]

(1) قوله: استحي: فعل أمر هو من الحياء الذي هو ضد القحة وقوله بياض: أراد من بيض فلما أسقط من تعدي الفعل فنصب، والبيض الأول هو الشيب، والبيض الثاني النساء يخاطب نفسه ويعاتبها يقول استحي من شيبك أن تستميلك النساء فيردنك من طريق الحلم إلى التصابي، وقوله: بين أفوادك: أفوادك جمع فود، والفودان جانبا الرأس أي ناحيتاه من يمين وشمال. يقتادك: يقودك أي يسوقك. اقتياد: سوق: المهتدى: الأسير ويروى المفتدى أيضاً بالفاء وهو الأسير، ويروى المعتدى بالعين غير المعجمة، يريد المعتدى عليه فيكتفي بعلم المخاطب من الصلة وهو قبيح والمعتدى عليه هو المظلوم الذي اعتدي عليه قال الله عز وجل: (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم).

(2) هيهات: كلمة تبعيد، وهاتا للمؤنث بمنزلة هذا للمذكر، ويروى ما أشنعها نازلة أي ما أشنع هذه النازلة نازلة. وأشنع: أقبح، الزلة: الخطيئة والسقطة والنازلة المصيبة تنزل بالإنسان، ثم قال: أطرباً على المصدر كأنه قال أتطرب طرباً بعد المشيب! والطرب في هذا الموضع الفرح والطرب خفة تصيب الرجل عند شدة السرور أو عند شدة الجزع.
الجلا: بفتح الجيم مقصوراً انحسار الشعر عن مقدم الرأس.

﴿المعنى﴾ ألا رجوع عن الحسان وقد شبت!! أي ينبغي أن يدرك الشيخ الحياء من شيب فودي رأسه من أن يكون مقتاداً بخطامه كالبهائم تجره بزمامه النساء البيض، كما يجر الحيوان أو الأسير فلا يملك الأوبة حين تجب التوبة، هيهات أي بَعُد الرجوع بعد امتلاء القلب بحب منادمة الآنسات والطرب بمغازلة حسان الفتيات، ثم ما أقبح تعلّق المرء بالنساء، وقد

يا رُبَّ لَيلٍ جَمَعَتْ قِطْرَيْهِ لي بِنْتُ ثَمانِيْنَ عَرُوْساً تُجْتَلَى[1]
لَم يَمْلِكِ المَاءُ عَلَيها أَمْرَها وَلَم يُدَنِّسْها الضِّرَامُ المُحتَضَى[2]

ابيض الشعر وصار الرأس أصلع!!! أطرباً يجوز مع المشيب والصلع وهو نذير انتهاء الحياة، ورسول الموت، وإعلان الاستعداد إلى مقابلة الخالق بالعمل المرضي من الصالحات، وأنواع العبادات؟!!

(1) قوله: جمعت قطريه: أي جانبيه، وهما هنا الطرفان أول الليل وآخره، بنت ثمانين: هاهنا الخمر وإنما سماها بنت ثمانين لأنه من شربها أوجبت عليه ثمانين جلدة. تجتلى من جلوت للعروس وهو إظهارها.

(2) قوله: لم يملك الماء عليها أمرها: يريد لم تمزج ببناء فتكسر حدتها وسورتها. ولم يدنسها: لم يغيرها. الضرام: الحطب الدقيق يوقد به الحطب الغليظ. المحتضى: العود الذي تحرك به النار وهو من قولهم حضأت النار إذا حركتها وأحضأتها إذا أشعلتها ومنه قول الشاعر:

ونار قد حضأت بعيد وهن بدار ما أريد بها مقاما

وقيل الضرام: النار المضرمة والمحتضى المحرك.

﴿المعنى﴾ أتمنى ليلاً يجمع لي أوله وآخره بنت الحان، وأنا بها نشوان تقدم لي كالعروس المجلوة لم يمزجها الساقي بالماء، بل يملأها في الكأس صرفاً، وهي في دنها خالصة من الغصون الدقيقة التي تغير طعمها، حيناً تكون داء إذا مغصت بها الأمعاء، وتهيجت الصفراء فترمي بشاربها السكير في الحضيض، وحينا يشتفى بها إذا أثرت الصفراء في الدورة الدموية فيشربها لينسى الألم الناشئ من دائها، وأراد ببنت الثمانين المعتقة كناية عن طول مقامها بدنها – وعلامة الأزد وإن اتهم بحبه للخمر في صباه فلن يكون قوله هذا استحساناً لها وقد شاخ، وإنما هو تغزل على جري عادة العرب فيها

حيناً هيَ الدَّاءُ وَأَحْياناً بِهَا ... مِن دَائِها إذا يَهيجُ يُشْتَفى
قَدْ صَانَها الخَمَّارُ لَمّا اخْتَارَهَا ... ضَنّاً بِهَا عَلَى سِواهُ وَاخْتَبَى[1]
فَهْيَ تُرَى مِنْ طُولِ عَهْدٍ إنْ بَدَتْ ... في كَأْسِهَا لأَعْيُنِ الناسِ كَلاَ[2]
كَأَنَّ قَرْنَ الشَّمْسِ في ذُرورِهَا ... بِفِعْلِهَا في الصَّحْنِ وَالْكَأْسِ اقْتَدَى[3]

ولا يمكن أن يجهل وهو العلامة أنها داء بلا شفاء، ونقص بلا جبر، وعاثور الرجال، وهوة الأبطال، ومباءة الشر، وأم الخبائث، أعاذنا الله منها ومن أهلها وقد أجمع الأطباء على ضررها بالعقل والكبد والنسل، بله الخلق.

(1) قد صانها الخمار: أي حفظها. ضنّاً: أي بخلاً. واختبى: وخبى أي ستر.

(2) قوله: كلا: أي عمى يعني أنه يعمي من نظر إليها فكيف من شربها!

﴿المعنى﴾ احتفظ بها الخمار، وحافظ عليها، لما اصطفاها لنفسه، وضن بها لنفاستها على غيره، فهى ترى في كأسها سوداء مظلمة من طول عهدها وتعتيقها كظلام عمى الأعين يريد كالسواد الغربيب، والعرب في جاهليتها كانت تحب المعتقة وتعتني بها، وتعتني في شرابها، ولهذا بالغ فيها علامة الأزد على مجرى عادتهم – وليس المعنى أن من نظر إليها يعمى فكيف بمن شربها كما يقول الشارح العلامة عليه الرحمة، ولصاحب المعلقة يتغزل في المعتقة:

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ... ولا تبقي خمور الأندرينا
معتقة كأن الحص فيها ... إذا ما الحص خالطها ثخينا

(3) قرن الشمس: أي شعاعها. ذرورها: بالذال المعجمة طلوعها يقال ذرت الشمس إذا طلعت، ومنه لا أكلمك ما ذر شارق، أي ما طلع نجم، الصحن: القدح الكبير الواسع. والكأس: القدح إذا كان فيه خمر ومعنى اقتدى: اتبع أثره.

نَازَعْتُهَا أَرْوَعَ لا تَسْطُو عَلَى نَدِيمِهِ شِرَّتُهُ إِذا انْتَشَى[1]
كَأَنَّ نُورَ الرَّوْضِ نَظْمُ لَفْظِهِ مُرْتَجِلاً أَوْ مُنْشِداً أَوْ إِنْ شَدَا[2]
مِنْ كُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى قَدْ نِلْتُهُ وَالْمَرْءُ يَبْقَى بَعْدَهُ حُسْنُ الثَّنَا[3]

(1) نازعتها: أي ناولتها وأدرتها من قول الله عز وجل: يتنازعون فيها كأساً. الأروع: الحسن المنظر الجميل. لا تسطو: لا تعدو مأخوذ من السطوة يقال سطا يسطو سطوة إذا عدا عليه. النديم: الصاحب. الشدة: الحدة. انتشى: سكر.

﴿المعنى﴾ كأن شعاع الشمس حين طلوعها مشرقة ليس دون قرصها سحاب فانتشر منه السنا يضيء الأفق وتبع في هذا الانتشار أثرها في الصحن الواسع والقدح الصغير وهي تسيل فيهما وتتماع ناولتها في صحنها أو كأسها نديمي الجميل الظريف، وهو لها ألوف متعود، لا تسطو عليه شدته إلخ أي لا تؤثر في عقله وحواسه حدة الخمر إذا سكر، بل يملك مع الشراب قواه، ويظل ينادم كالذي أتمناه.

(2) النور: الزهر. المرتجل: الذي يأتي بما يخطر على بالي على البديهة بغير استعداد. أو منشداً: أي منشداً للشعر. أو إن شدا: أي أو إن تعلم شيئاً من العلم، وقيل أو إن شدا أو إن غنى، وهو أجود وأليق بالمعنى لأن هذه الأحوال التي وصفها أحوال طرب لا أحوال طلب فلا معنى هنا لطلب العلم، والشادي في كلام العرب المغني، والشدو الغناء يقال شدا يشدو شدواً إذا غنى.

(3) من كل ما نال الفتى قد نلته: أي من كل ما طلب الفتى فأدركه طلبته فأدركته من خير أو شر. النثا: هنا مقصور يكتب بالألف لأنه من نثا عليه كلاماً حسناً أو قبيحاً ينثوه نثواً، وهو بتقديم النون على الثاء إذا تكلم في جانب المذكور بذلك الكلام، فأما الثناء بتقديم الثاء على

فَـإِنْ أَمُـتْ فَقَـدْ تَـنـاهَـتْ لَـذَّتـي وَكُـلُّ شَـيْءٍ بَـلَـغَ الـحَـدَّ انْتَهى[1]
وَإِنْ أَعِشْ صاحَبْتُ دَهْـرِي عَالِماً بِما انْطَوَى مِنْ صَرْفِه وَمَا انْتَشَى[2]
حَاشَا لِمَا أَسْـأَرَهُ فِـيَّ الْحِجَا وَالْحِلْمُ أَنْ أَتْبَعَ رُوّادَ الخَنَا[3]

النون ممدوداً فلا يكون إلا في الخير خاصة، قال الشاعر في النثا الذي يكون للخير والشر:

ولـو عـن نـثـا غـيـره جـاءنـي وجـرح الـلـسـان كـجـرح الـيـد

وقال الآخر في الثناء الذي يكون للخير خاصة:

هذا الثناء فإن تسمع به حسناً فلم أعرض ـ أبيت اللعن ـ بالصفد

﴿المعنى﴾ كأن ألفاظ نديمي الحسـن الجميل ناظماً لنفسـه على البديهة أو ناثراً، منشداً لغيره أو مغنياً، زهر الرياض البهيج يضم مع حسن الرواء بداعة التنسيق، ولطافة العبير، قم قال: ما فاتني شيء من لذائذ دنياي، بـل كل ما ناله الفتـى الهمام المنزه قد نلته، وإنما يبقى للمرء بعد فراقه بالمنأى أو الموت حسن الأحدوثه وطيب الخبر.

(1) تناهت لذتي: بلغت النهاية، وهي الغاية. الحد: هو الشيء الذي لا يتجاوز.

(2) وقوله: بما انطوى من صـرفه وما انتشى: انطوى استتر وانتشى ظهر وهو بالشين المعجمة، والمستقبل ننتشي، وصرف الدهر تقلبه.

﴿المعنى﴾ إن وافاني أجلي، وعاجلتني منيتي فلست بآسف على فوات لذة لم أنلها، فقد نلت كل ما أتمنى منها، وبلغت فيها الغاية، وكل شيء بلغ الغاية القصـوى، والنهاية العليـا انتهى نموه، ووقف رقيـه، وإن امتدت حياتي، وطـال بعـد تلك الغاية أجلي صـاحبت دهري وأنا بسـائر أحواله خيرها وشرها، ونفعها وضرها، خبير وعليم، فلن أضرس بعد هذه الخبرة وتلك التجارب بأنيابه، ولن أوطأ بميسمه.

(3) حاشـا: كلمـة تبرئة والتبرئة نفـي الدنس عـن ذات المخاطب، قال الله

أَوْ أَنْ أَرَى لِنَكْبَةٍ مُخْتَضِعاً أَوْ لِابْتِهَاجٍ فَرِحاً وَمُزْدَهَى[1]

عـز وجل: (وقلن حاشـا لله). أسـأره: أبقاه ومنه الحديث «إذا شـربتم فأسـئروا» أي أبقوا في الإناء بقية، والسؤر البقية. الحجا: العقل. الحلم: التغافـل عن كل مكروه يقابل بـه ويواجه. الرواد: جمع رائد، ورائد القوم رسـولهم الذي يرتاد لهم موضـع الكلأ أي يطلبها لهم. والكلأ العشـب. الخنا: الفحش في النطق.

(1) أو أن أرى مختضـعاً: أي متذلـلاً. النكبـة: المصـيبة الحادثة. الابتهاج: السرور. المزدهى: المستخف وقيل المعجب.

﴿المعنـى﴾ أبـرئ نفسـي - وأنـا بمقدارهـا عليـم وخبير، وعلى شـرفها وكرامتهـا حارسـ ورقيب من أن أتبـع قواد الخنا، ومـا يخل بالكرامة مـن كل منقص، قل أو كثـر، عظم جرمه أو حقر، بفضـل ما أبقاه في قلبـي وبثه في روحي ودمي عقلي الراجح، وحلمي الذي عودني أن أكون الكريم المتسامح:

فأغفر عـوراء الكريم ادخـاره وأعرض عن شتم اللئيم تكرما

كما أربأ بنفسـي أن أكون ذليلاً لنكبة دهمت، ومصـيبة ألمت، أو أن أرخي لهـا العنـان فتزيد في بهجتها، أو تغتر فتعجب بنفسـها بعد ما قال الله لقـارون وقد أعطي كنوز الأرضـ وجاهاً وخدماً وحشـماً (ولا تمش في الأرضـ مرحـاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلـغ الجبال طولاً) وقول ذي الأصبع العدواني:

وذي ضغن قلمت أظفار ضغنه بحلمي عنه وهـو ليس لـه حلم

لهـذا أوطن النفس على سـلوك سـبل الاعتدال، وأوقفها عنـد حد الكمال، فتوفر وتحمد.

وإلى هنا ينتهي ما علقناه على المقصورة من الشرح الملحق، وعلنا نكون قد وفقنا لبيان ما هو في بعض ثناياها مغلق، وما يجب أن يكتب عليه ويعلق، خدمة لروّاد الأدب والعلم الشريف، من أخيهم المفتقر إلى دعائهم الصالح عيد بن الوصيف، الكردي أصلاً وأرومة، المصري جنسية، الأزهري معهداً وتربية، القرشي حسباً ونسباً.

اللهم انفع بهذا الشرح وأصله من تلقاهما بقبول حسن، واكفنا وإياه وناشريهما وسائر المسلمين سائر الفتن، ما ظهر منها وما بطن، واجعلنا وإياهم من المتقين الذين تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم، دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

قال جمال الدين بن الجوزي ملغزاً في مقصورة ابن دريد:

ما يقول سيدنا إمام أئمة الأمصار × وصدر صدور الأقطار × وجامع مسانيد السير والأخبار × في عروس جليت في ساعة على بعلين × وزفت في ليلة إلى محلين × خطباها بظهور السماح × لا بصدور الرماح × وملكاها بحل الصحاح × لا بعقد النكاح × افترعاها في الملا فلم يكن على أبيها ولا عليها من جناح × وهي من المشهورات في الأنام × والمقصورات لا في الخيام × باسقة الفرع ثابتة الأصل × فائزة عند النضال بالفضل × جامعة المناقب والفضائل × ساحبة ذيل البلاغة على سحبان وائل ؟!

ومما ينسب إلى ابن دريد أيضاً - رحمه الله -

لا تركنن إلى الهوى ... واحذر مفارقة الهواء
يوماً تسير إلى الثرى ... ويفوز غيرك بالثراء
كم من حفير في رجى ... بئر لمنقطع الرجاء

غطّى عليه بالصفا ... أهل المودة والصفاء
ذهب الفتى من أهله ... أين الفتى من الفتاء
زال السنا عن ناظريه ... وزال عن شرف السناء
مازال يلتمس الخلا ... حتى توحّد في الخلاء
قطع النسا منه الزما ... ن فلم يمتع بالنساء
وأرى العشا في العين أكثر ... ما يكون من العشاء
وأرى الخوى يذكي عقو ... ل ذوي التفكر في الخواء
ولربّ ممنوع العرى ... ولسوف ينبذ في العراء
من خاف من أم الحفا ... فليجتنب مشي الحفاء
كم من توارى بالنقى ... بعد النظافة والنقاء
وأخو الغرى من لا يزا ... ل بما يضر أخا غراء
إن الحياة مع الحيا ... وأرى البهاء مع الحياء
عقل الكبير من الورى ... في الصالحات من الوراء
لو تعلم الشاة البخا ... منها لجدت في البخاء
وأرى الدوى طول السقا ... م فلا تفرط في الدواء
وإذا سمعت وحي الزما ... ن فلا تفرط في الوحاء
فلربما ساق السفا ... نحو السفى أهل السفاء
يا ابن البري إن البري ... ـة لا تجيئك بالبراء
وأراك قد حال العمى ... ما بين عينك والعماء
فانظر لعينك في الجلا ... إن خفت من يوم الجلاء
وكل الفنى إن لم تجد ... حالاً فأنت إلى الفناء

فلربما أدى القضا ... مترورديه إلى القضاء
فالمرء أشبه بالعفا ... إن لم يفكر في العفاء
فارغب لربك في الجدا ... ما أنت عنه ذو جداء
وكأنما ريح الصبا ... تجري بطلاب الصباء
وكأنهم معز الأبا ... أو كالحطام من الأباء
وأرى الغنى يدعو الغـ ... ـنى إلى الملاهي والغناء
فاهرب هديت من الذكا ... إن كنت من أهل الذكاء
سيضيق متسع الفـ ... ـلا بالمخرجين من الفلاء
توصي وعقلك في بدا ... فلذاك رأيك في بداء
باعوا التيقظ بالكرى ... فعقولهم بذوي كراء
كم من عظام باللوى ... قد فارقت خفق اللواء
يمضي الأنا بعد الأنا ... والعمر في ماء الأناء
ولربما فضح الرجا ... ل ذوي اللحى كشف الرجاء
ولربما صاد العدى ... والسيف في صيد العداء
ولربّ مهجور البنا ... بعد التأنق في البناء
وسيستوي أهل الكبى ... وذوي التعطر والكباء
ولربّ ماء ذي روى ... يحتاج فيه إلى رواء

بحمد الله تعالى وتوفيقه تم طبع كتاب مقصورة ابن دريد مع شرحيها مصححة بمعرفة الأستاذ عيد الوصيف محمد من علماء الأزهر الشريف.

إصدارات مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية

◆ **الفائزون بالجائزة :**

1) الفائزون بالجائزة – الدورة الأولى – عبد الإله عبد القادر 1990

2) الفائزون بالجائزة – الدورة الثانية – عبد الإله عبد القادر 1992

3) الفائزون بالجائزة – الدورة الثالثة – عبد الإله عبد القادر 1994

4) الفائزون بالجائزة – الدورة الرابعة – عبد الإله عبد القادر 1996

5) الفائزون بالجائزة – الدورة الخامسة – عبد الإله عبد القادر 1998

6) الفائزون بالجائزة – الدورة السادسة – عبد الإله عبد القادر 2000

7) الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي – عبد الإله عبد القادر 2000

8) الفائزون بالجائزة – الدورة السابعة – عبد الإله عبد القادر 2002

9) مجلة العربي 2002

10) الفائزون بالجائزة – الدورة الثامنة – عبد الإله عبد القادر..... 2004

11) الفائزون بالجائزة – الدورة التاسعة – عبد الإله عبد القادر..... 2006

12) الفائزون بالجائزة – الدورة العاشرة – عبد الإله عبد القادر..... 2008

13) جمعة الماجد.. طواش الخير – عبد الإله عبد القادر..... 2008

14) الفائزون بالجائزة – الدورة الحادية عشرة – عبد الإله عبد القادر..... 2010

15) أم الإمارات .. سمو الشيخة فاطمة بنت مبارك .. الريادة والرمز
عبد الإله عبد القادر..... 2010

◆ **سلسلة الندوات :**

16) أبحاث ووثائق عن الشاعر سلطان بن علي العويس – مجموعة من الكتّاب 2000

17) سلطان العويس – دراسات وأبحاث – مجموعة من الكتّاب (ج1) 2001

18) سلطان العويس – دراسات وأبحاث – مجموعة من الكتّاب (ج2) 2001

19) الثقافة في الخليج العربي بين المتحرك والساكن – مجموعة من الكتّاب 2003

20) الثقافة العربية في مفترق الطرق – مجموعة من الكتّاب 2004

21) العراق الحضارة – مجموعة من الكتّاب 2006

22) الشام حضارة وإبداع – مجموعة من الكتّاب 2006

23) ندوة الإمارات وبعدها العربي – مجموعة من الكتّاب 2008

24) فضاءات الخيام – مجموعة من الكتّاب 2009

25) الترجمة وتحديات العصر – مجموعة من الكتّاب 2010

26) فؤاد زكريا "السيرة .. والمعارك الفكرية" – مجموعة من الكتّاب..... 2011

27) الثقافة العربية – المستقبل والتحديات – مجموعة من الكتّاب..... 2011

◆ **سلسلة الفائزين :**

28) مقدمة في النقد الأدبي – د. علي جواد الطاهر 2003

29) من الذي سرق النار (خطرات في النقد والأدب) د. إحسان عباس 2003

30) الدراسة الأدبية والوعي الثقافي – د. مصطفى ناصف 2004

31) تجديد الفكر العربي – د. زكي نجيب محمود 2004

32) آفـاق العصـر – د. جابـر عصفـور 2005

33) الفن والحلم والفعل – د. جبرا إبراهيم جبرا 2006

34) الراوي "الموقع والشكل" – د. يمنى العيد 2006

35) مجتمع ألف ليلة وليلة – د. محسن جاسم الموسوي 2007

36) غروب شمس الحلم – د. فاروق عبد القادر 2007

37) الثقافة التلفزيونية– د. عبد الله الغذامي 2007

38) النظرية النقدية في بحوث الاتصال– د. عواطف عبد الرحمن 2008

39) موسوعة تاريخ الصهيونية– د. عبد الوهاب المسيري 2008

40) دائرة الإبداع– د. شكري عياد 2008

41) تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي – د. محمد جابر الأنصاري..... 2008

42) دراسات في تطور الحركة الفكرية في صدر الإسلام– د. صالح أحمد العلي 2009

43) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية– د. ناصر الدين الأسد 2009

44) مواقف نقدية من التراث – محمد أمين العالم..... 2010

45) جمهورية أفلاطون – د. فؤاد زكريا..... 2010

46) الكوفة – د. هشام جعيط 2010

47) الماضي في الحاضر – فهمي جدعان 2011

◆ **ألبومات :**

48) سلطان "ألبوم صور" من حياة سلطان العويس 2001

49) حروف 2003

50) أوزجاي 2003

51) يا عراق 2004

52) عبد القادر الريس "الإنسان .. الوطن " 2005

53) مبدعون من الشام 2005

54) عبد اللطيف الصمودي 2006

55) المناظر الطبيعية البولندية – فرانشيك ريشارد مازوريك 2007

56) سما دبي.. لوحة وقصيدة ونغم – أجنحة عربية 2008

57) سما دبي.. لوحة وقصيدة ونغم – أجنحة عربية 2008

58) معرض الفن الصيني 2010

59) نوري الراوي 2010

متفرقات :

60) سلطان العويس محارة الزمن الجميل – أحمد علي الزين 2001

61) سلطان العويس – الجائزة والشعر – عبد الغفار حسين 2002

62) تريم عمران، لمحات من حياته – عبد الغفار حسين 2002

63) تريم كما عرفته – محمد حسن الحربي 2002

64) ديوان سلطان العويس "الأعمال الكاملة" (ط2) 2005

65) الفولكلور الفلسطيني بصمة لتأصيل الهوية (د. رمضان عبد الهادي) 2009

66) مختارات من الأدب الصيني الحديث – مجموعة من الكتاب 2010

أعلام من الإمارات:

67) الصور الإبداعية في شعر سلطان العويس – عبد الغفار حسين 2012

68) غانم غباش – نفرح ونغير العالم – شوقي رافع 2012

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

يجدر بنا أنْ نلتفت إلى ما في المقصورة من قيمها، ودلالاتها، وتعبيرها عن تجربة فكرية وأدبية ولغوية لدى عالم كبير، تكاد تجعل المقصورة، في كثير منها، صفحة من صفحات السيرة الذاتية التي يسجّل فيها الكبار بعض تجاربهم في أخريات حياتهم، مبيّنين خبرتهم بالحياة، كاشفين عما نسميه اليوم (**رؤية العالم**)، وذلك بما في تلك المطوّلة، المقصورة من مزج بين: العام والخاص، القديم والحديث، الشخصيّ، وغير الشخصي.

25
2012-1987
اليوبيل الفضي
SILVER JUBILEE

مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية
Sultan Bin Ali Al Owais Cultural Foundation
هاتف: Tel :+971-4-2243111، فاكس: Fax: +971-4-2217839
ص.ب.: P.O.Box :14300، دبي أ.ع.م.، Dubai U.A.E
Email: mail@alowaisnet.org - Website: www.alowaisnet.org